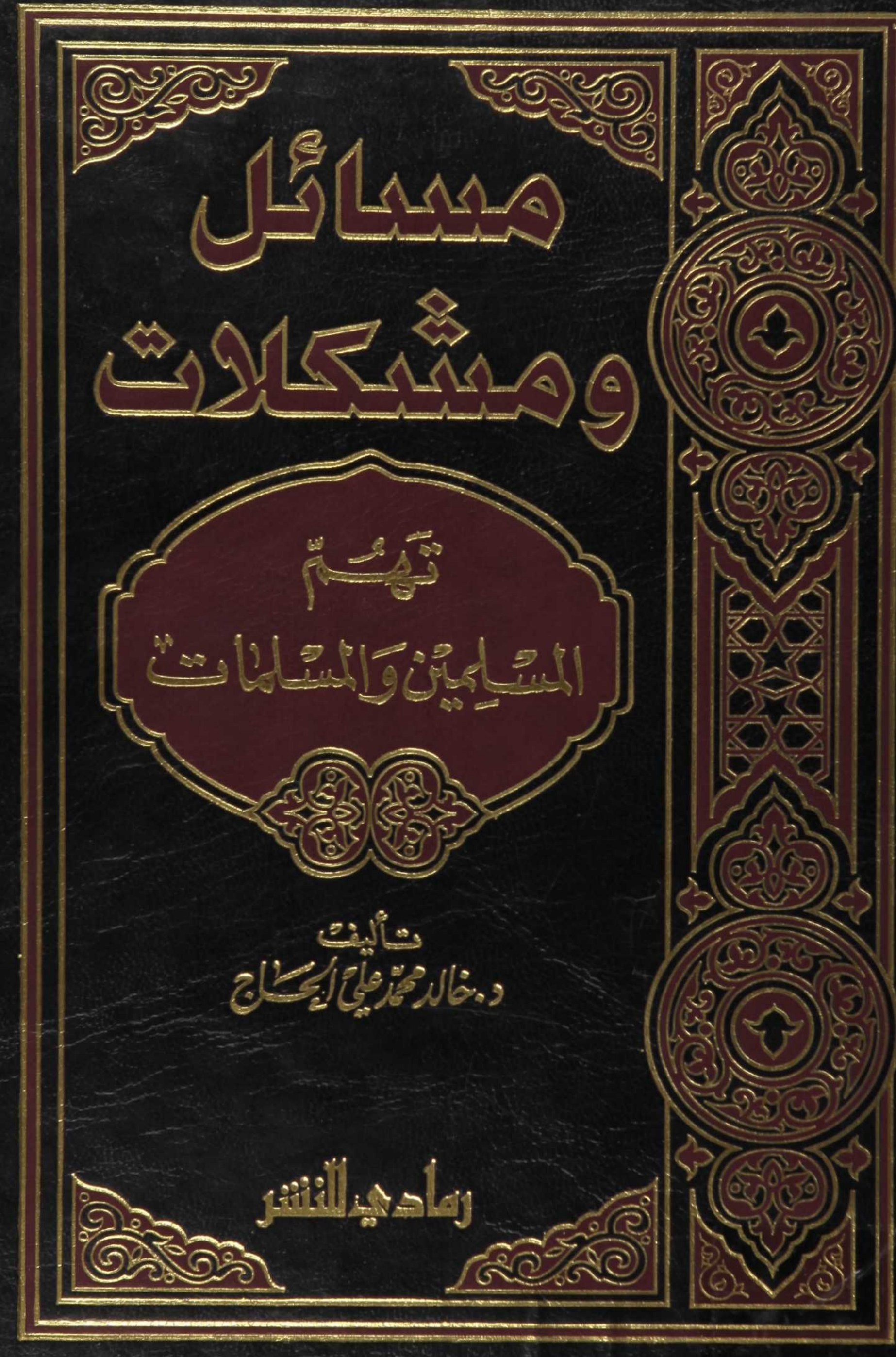

مسائل ومشكلات
تهم المسلمين والمسلمات
تأليف
د. خالد محمد علي الحاج
رمادي للنشر

مسائل ومشكلات

تهم المسلمين والمسلمات


بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل ومشكلات

تهم المسلمين والمسلمات

تأليف

د. خالد محمد علي الحاج

رمادي للنشر

طبعة دار رمادي الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

رمادي للنشر

ص.ب: ٧٤٨٦ - الدمام: ٣١٤٦٢ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٣٣٧٧٧٠ - فاكس: ٨٣٤٩٨٤٦ - ترخيص رقم: ٤٥٠٥/د

المنهاج الإلهي

قال الله عز وجل:

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الصف: ٨].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة السجدة: ١٨ ـ ٢٠].

من مشكاة النبوة

قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتّبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليهم من الإِثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإِيمان» رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله). رواه الشيخان.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.(١)

أما بعد: فقد خلق الله الخلق ليعرفوه، ويعبدوه ويخشوهُ

---

(١) تعرف هذه الخطبة باسم (خطبة الحاجة) وكان الرسول ﷺ يفتتح بها خطبه، ويعلمها لأصحابه. ومن السنة البدء بها في خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء وعقد الزواج ودروس العلم والمحاضرات وكل أمر ذي بال.

ويخافوهُ ونصب لهم الأدلّة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال والإكبار. فهو المنتقم ممّن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد. كما أنه سبحانه المكرم لمن خافه واتّقاه، بدار لهم فيها من كل خير مزيد. فسبحان من قسم خلقه، وجعلهم فريقين ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٥].

لقد ظهرت في مجتمعنا مذاهب وتيارات هدّامة مناوئة للإسلام، لذا كان من الواجب على المسلمين اليقظة والحذر من تلك التيارات الإلحادية، والهجمات الصليبية، والمذاهب الوضعية ـ فضلاً عن عربدة المعاصي وتجار الرذائل ـ التي تكيد للإسلام وأهله ليلًا ونهاراً، أملًا في تحقيق أهدافها البغيضة، ومآربها الخسيسة.

إنّ كثيراً من وسائل الإعلام والتوجيه في المجتمع الإسلامي لا ترعى للإسلام حرمة، ولا تقيم لمبادئه وزناً، بل إنّ منها من يبتغي سبيلًا غير سبيله، ويدعو إلى غاية تخالفه، وتناقضه، وترسم خططاً لنقض عراه وتوهين قوته، إنها تدعو إلى التحرر من الدين والأخلاق، ومن الضوابط والحدود وذلك هدم، ولا بدّ أن يقابله بناء...

إن عامة المسلمين يفهمون الدين على نحو خاطىء لا يميز بين الشكل والجوهر، ولا بين الأصل والفرع، وهؤلاء تتحكّم فيهم البيئة وتوجّههم العادات والخرافات.

وقد يقودنا البحث إلى سبب اختلاف الناس، وتفرقهم،

من أين يأتي؟ وفي اعتقادي أن هذا الاختلاف يرجع إلى ثلاثة أصول، فلكل واحد منها ضدّ فمن سقط عنها وقع في ضده: التوحيد وضده الشرك والسنة وضدها البدعة والطاعة وضدّها المعصية[1]. فلما كانت العلّة في تحريم كل حرام هي المضرّة في الدين أو النفس أو المال أو العرض أو العقل، وكانت الشريعة الإسلامية قد جاءت لتهذيب الأخلاق، وحفظ النفوس من كل ضارّ، فقد حرّم الشارع القمار والمعازف والأغاني الخليعة وكل الملاهي التي تفسد الأخلاق بشتى أنواعها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمعازف: هي خمرة النفوس تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميّا الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات حلّ فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم فيشركون ويقتلون النفس التي حرّم الله ويزنون، وهذه الثلاث موجودة كثيراً في أهل سماع المعازف)[2].

وبما أن كثيراً من أبناء هذا الزمان إخوان اللهو والعصيان قد غلبتْ عليهم دواعي الفسوق والخلود إلى أرض الشهوات والعقوق، والركون إلى دار الغرور والإعراض عن دار الخلود. وكأنهم أمِنوا عقاب الله ومكره، ولم يدروا أن ذلك الإمهال إنما هو ليحق عليهم قهره ويوردهم موارد سخطه...

وقياماً بحق الله علينا فإننا نتقدم لأُمتنا بهذا الكتاب الذي سميناه «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» ليكون ـ

(١) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٦.
(٢) انظر: مجموعة الرسائل المنيرية ٥/١٠١.

بمشيئة الله ـ زاجراً وواعظاً، وقامعاً للنفوس عن غيّها، ومفاسدها، وباعثاً لها على المسارعة إلى فلاحها ورشادها، فإن النفوس، ولا سيما في هذا العصر قد غلب عليها الكسل والتواني، واسترسلت في شهواتها وأهوائها، وتمنّت على الله الأماني... والشهوات لا يذهبها من القلوب إلا أحد أمرين: إما خوف مزعج محرق أو شوق مبهج مقلق.... وغاية قصدي أن يتوب العاصي إلى الله ويهتدي الضال الحائر...

أما الدراسة في هذا البحث فقد اشتملت على مقدمة وأحد عشر فصلًا وهي مرتبة على النحو التالي:

١ ـ الفصل الأول: أضواء على الكتاب والسنّة.

٢ ـ الفصل الثاني: التوحيد.

٣ ـ الفصل الثالث: الشرك.

٤ ـ الفصل الرابع: العبادات.

٥ ـ الفصل الخامس: مسائل فقهية.

٦ ـ الفصل السادس: المرأة بنتاً وزوجاً.

٧ ـ الفصل السابع: المخدرات (المسكرات).

٨ ـ الفصل الثامن: الغناء والملاهي.

٩ ـ الفصل التاسع: فواحش ومنكرات.

١٠ ـ الفصل العاشر: أشراط الساعة.

١١ ـ الفصل الحادي عشر: مسائل متفرقة.

وحسبي أن يكون هذا الجهد عوناً على نصرة الحق ورفع لوائه في عصرٍ تعددت فيه الألوية وكثرت الدعوات.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم وتقبله مني بقبول حسن، واغفر لي ما وقع فيه من الزلل والخطأ، إنك نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

الزرقاء ـ الأردن
٢٥ ذي الحجة/ ١٤١٠هـ
الموافق ١٧/ ٧/ ١٩٩٠م
خادم العلم
خالد محمد الحاج

الفصل الأول

أضواء على الكتاب والسنة

- (الوحي ـ القرآن ـ الحديث القدسي ـ السنة ـ الحديث النبوي).
- الالتزام بالسنة.
- الحديث وأنواعه.
- حجية الحديث الضعيف.
- الحديث الموضوع وحكمه.
- فضل القرآن الكريم.
- دراسة القرآن وتعليمه عن السلف والخلف.
- طريق الخلاص.
- البدع ومضارها.
- أثر تحريم البدع في الإسلام.
- موقف الزنادق من السنة.
- الإسرائيليات.
- آثار الإسرائيليات على عقائد المسلمين.

أضواء على الكتاب والسنة

(الوحي ـ القرآن ـ الحديث القدسي ـ السنة ـ الحديث النبوي):

أبين فيما يلي مدلول كل من:

١ ـ **الوحي**: ومعنى الوحي في لسان الشرع: أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد من إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريّة خفيّة غير معتادة للبشر[(١)].

والوحي في كلام العرب: يُطلق على الكتاب والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، ذكره الجوهري وغيره[(٢)].

وأصل الوحي: الإسراع، فلما كان النبي ﷺ يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحياً... وقال تعالى: ﴿... فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم: ١١] أي أومأ ورمز، وقيل: كتب. وقيل: أصل الوحي السر والإخفاء[(٣)]...

٢ ـ **القرآن**:

ومعنى القرآن: هو كلام الله المنزّل على محمد ﷺ

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ٦٣).
(٢) طرح التثريب ٤/ ١٨٠، وعلوم القرآن ص١٦ ـ ١٧ لمنّاع القطان.
(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٤٨٩).

المُتَعَبّد بتلاوته، الواصل إلينا عن طريق التواتر[1].

فالقرآن هو الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل به في ليلة مباركة (ليلة القدر) جبريل الأمين وحياً من الله رب العالمين على نبيه محمد ﷺ ليكون رحمة للعالمين.

٣ ـ الحديث القدسي:

ومعنى الحديث القدسي: نسبة إلى القدس، وهي نسبة تدلّ على التعظيم لأنه مادة الكلمة الدالة على التنزيه والتطهّر لغة، فالتقديس: تنزيه الله تعالى، والتقديس: التطهّر، وتقدس: تطهّر.. ومعنى الحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى. أي أن النبي ﷺ يرويه على أنه من كلام الله، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسنداً إلى الله عز وجل فيقول: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل[2]..

٤ ـ السنة النبوية:

ومعنى السنة: هي ما قاله رسول الله ﷺ أو فعله أو أقرّه... وهي مثل القرآن. كما قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيتُ القرآن ومثله معه»[3].

والسنة في اللغة: هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة، وكل

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص٢١.

(٢) انظر: كتابنا (السنة مفتاح الجنة ٢٦ ـ ٢٧) ومباحث في علوم القرآن ص(٢٥).

(٣) رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه (قواعد التحديث ص٥٨).

من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده. قيل: هو الذي سنّه... وتأتي أيضاً بمعنى الطريقة.

وفي الحديث الشريف: (من سنَّ في الإِسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...)[1].

فالسنة عند علماء الحديث تطلق على ما أُثر عن النبي صلوات الله عليه وسلامه من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة خَلْقيةً أو خُلُقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها. وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم[2].

الالتزام بالسنة:

وردت نصوص مستفيضة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح في الحث على اتباع الرسول ﷺ وطاعته والتمسك بسنته فمن ذلك:

أولاً: الآيات القرآنية:

١ - قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣٢].

٢ - وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٢].

٣ - وقوله جل ثناؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢٠].

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع ص٦٠ - ٦١.

٤ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء: ٥٩].

٥ ـ وقال أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

وإذا كانت هذه الآيات الكريمة تنتظم في سلك ـ خيط ـ واحد هو الأمر بإتباع الرسول ﷺ. والتحذير من مخالفته في شيء، مما جاء به، فإن آيات كثيرة تحدثت عن القرآن بصفة خاصة تبيّن هدايته وتوجه إلى اتباعه، وتحذر من مخالفته أو الابتعاد عنه. ومن هذه الآيات:

نذكر قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥].

ثانياً: الأحاديث النبوية:

وإذا كان ـ ما قدمناه ـ فيما يختص بالتوجيه القرآني، فإن الأحاديث النبوية، قد أعطت توجيهات رائدة فيما يتصل بهذا المجال، ونوعت التعبير عنه زيادة في التأكيد والتوضيح...

١ ـ يقول عليه السلام: «كل أُمتي يدخلون الجنة إلا من أبى!! قالوا: يا رسول الله ومن يأبى!؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[(١)].

(١) رواه البخاري ١٢/١٧ (فتح الباري) عن أبي هريرة.

فاتباعه ﷺ، سبب لدخول الجنة، والابتعاد عن هذا الاتباع على أي وجه كان سبباً لدخول النار، وقد وضح الرسول ﷺ هذا النفور من السنة والابتعاد عنها رغم ما فيها من النفع المادي والمعنوي في الدنيا والآخرة ـ بصورة واضحة ـ.

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[(١)].

إنا ما جاء به رسول الله ﷺ من شريعة كاملة تامة، والزيادة على ما تم وكمل لا حاجة إليها وإذا ما حاول أحد أن يزيد منها شيئاً فإنه يخرج بها عن الكمال إلى النقص ويبعد بها عن التمام لأن كل زيادة عليها لغو لا حاجة إليه.

٣ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم»[(٢)].

٤ ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه وتنزه عنه قوم فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام

(١) رواه مسلم ١٥/١٥ بروايتين إحداهما باختصار والبخاري ١٤٨/١ وأحمد وغيرهم.. وانظره في: المشكاة (٣/١٦٠١).
(٢) رواه البخاري (١٧/٢٠) ومسلم (١٥/١٠٧) والترمذي مختصراً.

يتنزّهون عن الشيء أصنعه؟!... فوالله إني أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية»[1].

٥ ـ وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما لي منه فهو رد»[2]. وفي رواية أخرى: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي كلتا الروايتين ما يبيّن أن من عمل بالبدعة كمن ابتدعها في الخروج عن الدين وإن تفاوتا في قيمة الوزر.

ثالثاً: من آثار السلف الصالح:

أما موقف السلف الصالح من السنة المطهرة والبدعة المدمرة، فذلك ما سنبينه فيما يلي:

كان عمر لا يقبل تجاوز السنة أو مخالفتها بحال، فعن يعلىٰ بن أُمية قال: (طفت مع عمر بن الخطاب، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر، أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا، قال: فأبعد عنه، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة)[3].

ويقول عمر رضي الله عنه: (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بين فسقه ولكن أخاف عليها

---

(١) البخاري (٨/ ٢٢) ومسلم (١٥/ ١٠٦ و١٠٧) وأحمد (١٠/ ٥٩) بلفظ (أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده).

(٢) متفق عليه.

(٣) مجمع الزوائد ٣/ ٣٤٠، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

رجلًا قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله)[1].

وعن ابن مسعود قال: (الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة)[2].

وابن عباس يبين نظرته إلى نشأة البدع وتكاثرها شيئاً فشيئاً حتى تقضي على السنن. فيقول: (ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن)[3].

ولعل من أبرز ما ينبغي التركيز عليه في هذا المجال: قول ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[4].

وكان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يقول: (وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع)[5].

وقال الإمام الجنيد ـ رحمه الله ـ: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ[6].

وقال عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري: (من أَمَّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٣٣٨).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣) وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي.
(٣) رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون (١/ ١٨٨) (مجمع الزوائد).
(٤) الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١/ ١٨٨).
(٥) الاعتصام (١/ ٥٧) طبعة التحرير.
(٦) الرسالة (١/ ٥٥) للقشيري.

قولًا وفعلًا نطق بالبدعة... قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[1].

الحديث وأنواعه:

الحديث إما مقبول فهو صحيح وإما مردود فهو الضعيف، هذا هو التقسيم الطبيعي، وقد اصطلح المحدّثون على تقسيم ثلاثي للحديث: (الصحيح والحسن والضعيف).

١ ـ تعريف الحديث الصحيح: هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا مُعللًا.

٢ ـ الحديث الحسن: فهو الحديث الذي نقله العدل الضابط ضبطاً أضعف من ضبط الصحيح وكان متصل السند غير معلل ولا شاذ.

٣ ـ وتعريف الحديث الضعيف: ـ (هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن) وتحت الضعيف أنواع كثيرة منها ما يلي:

الموضوع والمقلوب والمعلل والمضطرب والمرسل والمعضل وغيرها...

حجيّة الحديث الضعيف:

لا يحتجُّ بالحديث الضعيف في الأحكام ولا يعمل به إلا

---

(١) الرسالة (١٠/١١١).

في فضائل الأعمال عند بعضهم، شريطة إدراجه تحت أصل معمول به وأن لا يكون شديداً (في ضعفه).

ولعل من المناسب أن نذكر ما أخرجه البيهقي عن عبد الرحمٰن بن مهدي: إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد، وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال[1].

وقال أحمد بن حنبل عن ابن إسحاق: (ابن إسحق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام، أردنا قوماً هكذا وقبض أصابع يده الأربع)[2].

وقد ظنّ بعض العلماء أن مرادهما ومن تابعهما بمثل هذه الأقوال الضعيف على عمومه، فنقدوها جميعاً، يقول العلامة الإمام الشاطبي: ـ وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال: ـ (الحديث الضعيف، خير من القياس وظاهره يقتضي العمل بالحديث غير الصحيح، ثم قال: ـ والجواب عن هذا: ـ أنه كلام مجتهد، يحتمل اجتهاده الخطأ والصواب، إذ ليس له على ذلك دليل يقطع العذر، وإن سلم فيمكن حمله على خلاف ظاهره لإجماعهم على طرح الضعيف الإسناد، فيجب تأويله على أن يكون أراد به الحسن السند على القول بأعماله، أو أراد خيراً من القياس لو كان مأخوذاً به فكأنه يرد القياس بذلك.

(١) قواعد التحديث للشيخ جمال الدين القاسمي ص١١٤.
(٢) المصدر السابق.

الكلام مبالغة في معارضته من عارض به الأحاديث أو أراد بالقياس القياس الفاسد الذي لا أصل له في كتاب ولا سنة ولا إجماع ففضّل عليه الحديث الضعيف وإن لم يُعمل به)[1].

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية بعد أن ذكر أن من أصول الإمام أحمد: الأخذ بالمرسل والضعيف، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر، ولا في روايته مُتهم بحيث لا يسوغ إليه بالعمل به. بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن)[2].

وقال في موطن آخر: ـ (وليس المراد بالحديث الضعيف في إصطلاح السلف هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين، بل ما يسميه المتأخرون حسناً قد يسميه المتقدمون ضعيفاً)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): ـ (ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة)[4].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أن للأخذ بالحديث الضعيف في الفضائل ونحوها عند من سوَّغ ذلك ثلاثة شروط:

١ ـ أن يكون غير شديد الضعف، فيخرج من انفرد من

---

(١) الاعتصام ١٤١/١٤٢ للإمام الشاطبي، ط دار التحرير التجارية، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٨٨هـ.
(٢) أعلام الموقعين ١/ ٣١ للإمام ابن قيّم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ).
(٣) أعلام الموقعين ١/ ٨٢.
(٤) انظر مجموع الفتاوى ١/ ٢٥٠ ط الرياض.

الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه وقد نقل بعضهم الإتفاق على ذلك..

٢ ـ أن يندرج تحت أصل معمول به.

٣ ـ أن لا يعتمد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الإحتياط...

قال الشيخ طاهر الجزائري: ويظهر من الشرط الثالث. أنه يلزم بيان ضعف الضعيف الوارد في الفضائل ونحوها كي لا يعتقد ثبوته في نفس الأمر[١]...

وبهذا يتبين لنا أن هذا الرأي الأخذ بالضعيف في فضائل الأعمال ونحوها ليس على إطلاقه بل معناه ما ذكرناه، وإنه لا يعارض الاتجاه الذي وجه إليه القرآن ودل عليه الحديث من التحرّز في نقل الأخبار وقبولها...

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: (واعلم وفقك الله أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي عنها إلا ما عرف صحة مخارجه في ناقليه، وأن يتقي ما كان منها من أهل التُهم والمعاندين من أهل البدع) واستدل على ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه[٢]...

(١) توجيه النظر ص٢٩٠ وقارن بالبدعة تحديدها وموقف الإسلام منها للدكتور عزت علي عطية ص٢٥٤.
(٢) مقدمة مسلم بشرح النووي ص٦٠.

الحديث الموضوع:

تعريفه: الموضوع لغة: اسم مفعول من وضع الشيء يضعه ـ بالفتح ـ وضعاً: حطَّهُ وأسقطه. وقال الحافظ ابن دحية: الموضوع الملصق. وضع فلان على فلان كذا أَلصقه به.

واصطلاحاً: هو الحديث المختلق المصنوع، وهو شرُّ أنواع الحديث، مأخوذ من المعنى الأول، لأن رتبته أن يكون مطْرحاً ملقاً لا يستحق الرفع أصلاً: أو من المعنى الثاني لأنه ملصق بالنبي ﷺ[1].

حُكم وضع الحديث:

أجمع المسلمون على تحريم الإفتراء والكذب على رسول الله ﷺ كوضع الحديث افتراءً عليه، واعتبار ذلك من الكبائر المهلكة. ففي الحديث الشريف (من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار)[2] ولا يجوز الاغترار بأعمال المبتدعة والفسقة والملاحدة وبعض المتصوفة وأدعياء الزهد، ونشر الفضائل الذين يتاجرون بالكذب والافتراء، فيضعون الأحاديث في الترغيب والترهيب فينسبونها إلى الرسول ﷺ زوراً وبهتاناً، زاعمين أن ذلك يدعم شريعة الصادق الأمين ويقوّيها. ومن الجدير بالذكر

---

(١) انظر: تنزيه الشريعة الموضوعة (ص٥) للحافظ ابن عراق (ت٩٦٣) هـ رحمه الله.

(٢) لست أدري. لماذا يؤدب كل من ينسب قولًا إلى وزير أو أمير أو حاكم افتراءاً وبهتاناً أو يطعن في مقام الزعماء؟!! أمّا من يكذب على رسول الله ﷺ ويحارب شرع الله ويتاجر بالبدع والخرافة فلا يسأل بل قد يلاقي التشجيع؟!! فلا حول ولا قوة إلّا بالله.

أن بعض الوعاظ والأئمة لا يهتمون بما يلقونه من أقوال وما ينسبونه إلى الرسول ﷺ من أقوال دون التثبّت من صحتها وهذا ما ينتشر في المواسم والأعياد والموالد حيث تلاوة القصص الخرافية (التي لا أصل لها في الدين). قال الإمام الجويني: (يكفر كلّ من يتعمّد الكذب على الرسول ﷺ)[1].

فضل القرآن الكريم:

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى أنزله على نبيه محمد ﷺ بلفظه ومعناه للتعبد بتلاوته، وإعجاز الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

وقد أودع الله تعالى علم كل شيء، فهو يتضمن الأحكام الشرعية والقصص والأمثال والحِكم والمواعظ والنظرة الصادقة إلى الكون والحياة والإنسان.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

وقد عرف آباؤنا المسلمون فضله فعكفوا على دراسته وترتيله آناء الليل وأطراف النهار، وحفّظوه أبناءهم. . .

وقد تواترت الآيات والأحاديث الشريفة تنوّه بفضل تلاوته وترتيله والعناية به، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٩].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/٦٩ وقواعد التحديث ص١٥٢ للعلّامة القاسمي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة النمل: ٩١ ـ ٩٢].

وقال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[(١)].

وعن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[(٢)].

وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه»[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم: حرف، ولكن: ألف: حرف، ولام: حرف وميم: حرف»[(٤)]... نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن وممن يهدون بالحق وبه يعدلون...

دراسة القرآن وتعليمه عند السلف والخلف:

بعث الله تعالى خاتم النبيين محمداً عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح.

إلى الناس كافَّة بشيراً ونذيراً بكتاب عربي مبين. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم، فهو الحق القاطع والنور الساطع المستقيم، والمنهج القويم الذي فرض الله على العباد أن يؤمنوا به، ويهتدوا بهديه، وينتهجوا سبيله ويلزموا طريقه في الأقوال والأعمال، وسائر الشؤون والأحوال، وحذّرهم غاية التحذير من التفريط فيه والإِعراض عنه وسلوك غير سبيله والعمل بغير تعاليمه.

وأمر الله رسوله ﷺ أن يبلغه لعباده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]. وقال: «ما على الرسول إلى البلاغ المبين». فبلغ ﷺ رسالة ربه فبشّر وأنذر وحثّ وحذر وبيّن وأوضح وعلم وربّى على نهج كتاب ربه أمة مؤمنة قوية عادلة لم تطلع الشمس على مثلها في العالم إيماناً وطاعة وهدى وفضلًا وقوة في الدين وعدلًا.

استظلت بالقرآن واعتصمت به في كل سبيل، وعاش في كنفه منها كل قبيل، وحرصت كل الحرص على استذكار آياته وتدّبر معانيها، وتلاوتها مع فهم مقاصدها ومراميها، فكانت أعدل أمة بل أثمن درة في تاج تاريخ الأُمم. ذلك شأن أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان من أمة القرآن في عهد ازدهار الإِسلام، ونضارته وصولته وقوته وانفعال النفوس به والحفاظ على جدته...

ثم خلت قرون، وتبدلَّت شؤون، وتتابعت أحداث، وخلف من بعدهم خلف قد استهواهم الشيطان فلم يسلكوا سبيل أسلافهم في القيام بحق القرآن حفظاً وتلاوة، وتدبراً وفهماً، فنالهم بشؤم ذلك كثير من الذل والهوان أهملوا حفظ القرآن في مكاتب تحفيظه بل أهملوا بعد ذلك إنشاء هذه المكاتب نفسها فحرم الأبناء من حفظ القرآن في حداثة السن وبداية التربية. ثم أهملوا حفظ القرآن، وتدريسه في مراحل التعليم بعد في المدارس، والمعاهد، فتخرج الأبناء منها أَخلياء من القرآن حفظاً ودراسة. وحينما قررت بعض البلدان حفظ قليل منه وتدريسه بمدارسها جعلوه مادة إضافية بين مواد التعليم لا يترتب على الرّسوب فيها أثر؛ فكان كأن لم يكن.

وبذلك تقلّص ظل القرآن في المدارس في هذه الأزمنة الأخيرة في معظم البلدان حفظاً وتعليماً، وكل ذلك تنفيذاً لمخطط إجرامي أثيم اصطنعه وأحكم تدبيره أعداء القرآن والإِسلام من الأجانب المستعمرين الذين بأيديهم مقاليد التعليم في البلاد التي منيت بهم، وتبعهم في ذلك بعض الضعفاء الأمّعات، والمنافقين من أبناء البلاد، ويمكننا أن نقول ـ في غير مغالاة ـ إن الشباب المسلم محروم الآن في أكثر بلاد الإِسلام من حفظ القرآن، ودراسته في المرحلة الثانوية من مراحل التعليم، وفي الجامعات بأسرها، وهم في السن التي يحتاجون فيها أشدّ الاحتياج إلى ضبط النفوس وقمع الشهوات، والتربية الدينية والتهذيب والتوجيه إلى الخير والصلاح بوازع ديني محكم قويم، وذلك بحفظ كثير من آيات الذكر الحكيم، ودراسة

تفسيرها، وفهم معناها القويم ولا شك أن في ذلك خطراً كبيراً على المجتمع الإِسلامي، وسبباً قوياً لانحلاله وتمزّقه يحمل تبعاته الجسام من لم يحسن الرعاية من المسؤولين عن التعليم في البلاد، بل استهان بالأمر حتى استفحل الشر، وساءت العُقبىٰ وأصبح الإِسلام غريباً كما بدأ...

طريق الخلاص:

بعد هذا الذي أشرنا إليه ـ أخي القارىء ـ فإنه لا سبيل للخلاص من هذا الخطر الداهم والخروج عن عُهدة الإِثم البالغ إلا بتنفيذ ما يأتي[1]:

١ ـ الإِكثار في البلاد الإِسلامية من إنشاء مكاتب تحفيظ القرآن الكريم يذهب إليها الأطفال في بدء نشأتهم ليحفظوا بعض أجزاء من القرآن عن ظهر قلب مع قليل من المعلومات الأولية على أن يكون التعليم فيها إجبارياً.

٢ ـ وجوب حفظ أجزاء من القرآن لا تقلّ عن ثلثه في المرحلة الابتدائية للتعليم موزعة في سنواتها العديدة مع تفسير المحفوظ تفسيراً بسيطاً للمفردات والمقصود من الآيات..

٣ ـ متابعة ذلك في المرحلة الثانوية مع قليل من التوسُّع في التفسير يُناسب في هذه السّن.

٤ ـ تكميل هذه المراحل في التعليم الجامعي حيث يكون

---

(١) انظر كتابنا: (الكشاف الفريد (٢/ ٥٠٥ ـ ٥١٠) ـ بتصرف ـ.

الطالب قد كمل استعداده فيتمّ له حفظ أغلب القرآن، وفهم أكثر معانيه وحسن التوجيه إلى أحكامه ومراميه..

٥ ـ وفي كل هذه المراحل يكون هذا التعليم مادة إجبارية يترتب على الرسوب فيها عدم الانتقال إلى صف أعلى، وتوضع مناهج حفظ القرآن لكل مرحلة بل لكل سنة على غرار مناهج العلوم الأُخرى في المدارس في جميع المراحل.

٦ ـ يختار لتدريس مادة تفسير القرآن وتحفيظه للطلاب من يتوافر فيه الصلاح والتقى والغيرة الإِسلامية والاحتفاء بالدعوة إلى الإِسلام من المدرسين.

٧ ـ تخصص مكافآت شهرية أو سنوية لمن يُلبي أمر التحفيظ في مكاتب التحفيظ في سائر القرى، والمدن تشجّعهم وترغّبهم في حُسن القيام بمهمتهم الجليلة وتصرف المصاحف والأجزاء للتلاميذ مجاناً ويُمنح كل من أتم جزءاً مكافأة مالية، وهكذا في سائر الأجزاء في هذه المرحلة تشجيعاً له..

٨ ـ تخصيص مكآفات مماثلة للحفاظ من التلاميذ لهذه المراحل التعليمية تشجعهم وتتفاوت بقدر اجتهادهم في الحفظ، والفهم.

٩ ـ إنشاء معاهد في البلاد الإِسلامية لتجويد القرآن ـ بعد حفظه ـ وتلقي الروايات السبع المعروفة، وذلك لتخريج حفاظ ثقات يُعرفون بإتقان علم الروايات، والقراءات، وبذلك تبقى سلسلة الرواة متصلة وذلك من الفرائض في حق القرآن.

١٠ ـ تعميم هذا النظام بأسره في الدول الإسلامية بحيث تشتمل قوانين التعليم في كل دولة.

١١ ـ يسمح لأي طالب أن ينتسب لأي معهد من هذه المعاهد مهما كانت جنسيته ما دام مسلماً حافظاً.

١٢ ـ على المسلمين الذين يقيمون ببلاد غير عربية أن ينشئوا مكاتب لتحفيظ القرآن وتدريسه ويموّلوها بقدر الإمكان، وعليهم أن يتصلوا بالدول الإسلامية لمدّهم بما في الإمكان من المساعدة[١].

البدع ومضارّها:

معنى البدعة: قال المحقق الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) ما ملخصه: ـ أصل مادة بَدَع[٢] للاختراع على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١١٧]. أي: مخترعها من غير مثال سابق. وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٩]. أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير

(١) راجع: مجلة الجامعة الإسلامية ص٨٧ وما بعدها، العدد الثاني، سنة ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

(٢) في لسان العرب ما حاصله: بدع مثلث العين، وابتدع وأبدع، وتبدّع، وبدعه، واستبدعه، وبدع، وبدعه بدعة: أنشأه كابتدعه.
وفي القاموس: البدعة: الحدث في الدين بعد الاكمال، أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال.

من الرسل. لأنهم كانوا يعجبون من إرساله إليهم وهو بشر مثلهم.

ويقال: ابتدع فلان بدعة، إذا ابتدأ طريقةً لم يسبق إليها وهذا أمر بديع: يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن. ومن هذا المعنى سمّيت البدعة. فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة.

فالبدعة إذن هي عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى.

وعرّفها العلامة الشمتي[1]: بأنها ما أُحدث على خلاف الحق المتلقّى عن رسول الله ﷺ من علم، أو عمل، أو حال بنوع شبهة أو استحسان، وجعل ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وهو قريب من تعريف الشاطبي.

أسباب انتشار البدعة:

لانتشار البدع أسباب كثيرة أوجزها فيما يلي:

١ ـ عمل العالم بالبدعة، وتقليد الناس له لوثوقهم بأنه لا يفعل إلا ما فيه صواب.

٢ ـ سكوت العلماء عن بيان وجه الابتداع في البدعة، فيعد العامة سكوتهم إقراراً لهم على ذلك.

---

(١) للمزيد راجع؛ كتابنا (مصرع الشرك والخرافة ص٣٣٢ ـ ٣٣٤) والابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (رحمه الله).

٣ ـ تبني الحكام للبدعة، وعملهم على انتشارها لموافقتها أهواءهم كما حدث من المأمون ومن بعده في القول بخلق القرآن، أو سكوتهم عن الإنكار وتركهم الحبل على الغارب لأهل الابتداع.

٤ ـ انتشار البدعة بين الناس وتحوّلها إلى عادة يصعب الانصراف عنها إلا بعد جهد كبير، وذلك لموافقتها لأهوائهم وغرائزهم..

أثر تحريم البدع في الإسلام:

إن مجال الابتداع الحقيقي هو في الدنيا وشؤونها، وما أوسعها وما أكثر ما تحتاج إليه من طاقات الافتنان والابتكار.

ومن جهة أخرى فإننا نجد أن الإسلام قد شدّد في تحريم الابتداع في العبادة وذلك باتّباع ما جاء به الرسول ﷺ، وقد حفظ على المسلمين عبادتهم وصانها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان. ولذلك نجد أن العبادات الإسلامية واحدة في جوهرها في كل مذهب من مذاهب الإسلام.

فالصلاة وشروطها متفق عليها عند جميع المسلمين، وهكذا الصوم والزكاة والحج، كلها عبادات محددة معروفة بتفاصيلها منقولة عن رسول الله ﷺ بالتواتر القاطع جيلًا عن جيل...

وهذه ميزة لعبادات الإسلام لم يظفر بها دين من الأديان، فكل العبادات في شتى الديانات قد عدت عليها الأيام وخضعت لتحريف السَّدنة وألاعيب الكهنة وغلوّ العامة ولم تجد من يقول

من المبتدعين قفوا عند حدود الله، ولا تشرّعوا ما لم يأذن به الله.

وهل يستطيع أحد أن ينكر على الكاهن إذا ابتدع أو غيّر، وفي يديه مفاتيح الجنة وملكوت السماء؟.

إنه يستطيع أن يطرد من رحمة الله من شاء، ويدخل فيها من شاء، ويبيع من قراريط الجنة ما يشاء، أما الإِسلام فقد نفى من أول الأمر فكرة الكهنوت واحتكار أسرار الملكوت، وجعل أمر العبادة في أيدي المسلمين جميعاً، وفرضهم حراساً عليها، وأوصاهم أن لا يبتدعوا، وأن يأخذوا على يد كل مبتدع محرف كائناً من كان.

وإذا أخذنا الشريعة المسيحية مثلًا وجدناها قد تغيرت وتناسخت على يد المسيحيين أنفسهم، وخرجوا على الناموس الذي أعلن المسيح: أنه جاء ليتمه لا لينقصه، فقد استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصلوا هم إلى المشرق، ولم يعظم المسيح قط، فعظموا هم الصليب وعبدوه... إلخ[1]. فهذه هي المسيحية وذلك هو الإِسلام.

نعم إن بعض المسلمين في بعض الأزمنة قد ابتدعوا في دينهم ما لم يجيء به كتاب ولا سنة، ولكنهم وجدوا في كل عصر من يجهر فيهم بالحق ويردهم إلى سواء الصراط...

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦.

ويُحيي فيهم السنة ويطارد البدعة، تصديقاً لوعد الله الذي وعد به هذه الأمة الخاتمة على لسان رسوله ﷺ حيث قال: «إن الله يبعث لهذه الأُمة، على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها»[1].

على أن الذي امتاز به الإِسلام بلا ريب أن شعائره وعباداته الأصلية بقيت سليمة في جوهرها، مصونة من التحريف والتبديل، قال أبو بكر: لست تاركاً شيئاً كان الرسول ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. وقد خطب عمر بن الخطاب الناس فقال: أيها الناس قد سنْت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً.

وقال ابن مسعود: أيها الناس لا تبتدعوا ولا تنطّعوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق (المأثور الموروث) خذوا ما تعرفون، ودعوا ما تنكرون. ولما بويع عمر بن الخطاب بالخلافة صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة. ألا وإن الحلال ما أحلّ الله في كتابه على لسان نبيه، حلال إلى يوم القيامة. ألا وإن الحرام ما حرّم الله في كتابه على لسان نبيه، حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بمتدع، ولكني متّبع، ألا وإني لست بقاض (يعني لست بمشرّع)

(١) رواه أبو داود والحاكم وصححه البيهقي عن أبي هريرة وقال العراقي وغيره سنده صحيح، ورمز له السيوطي بعلامة الصحة. وانظر: فيض القدير للمناوي.

ولكني منفّذ.. فهذا هو موقف الخلفاء والحكام في الإسلام: متّبعون في الدين لا مبتدعون؛ ومنفّذون للشرع لا مشرّعون..

وقد وقف أئمة الإسلام في وجه كل بدعة يراد لها أن تظهر في عبادة الناس لله، حتى وإن بدت صغيرة في عين الرائي، ولكن الصغير يجرّ إلى الكبير، ومعظم النار من مُستصغر الشرر(١).

جاء رجل إلى الإمام مالك وهو بالمدينة وقال له: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة (مكان إحرام أهل المدينة) من حيث حرم الرسول الكريم ﷺ. فقال: إني أن أحرم من المسجد! فقال: لا تفعل. قال: إني أريد أن أُحرم من المسجد من عند القبر (قبر النبي ﷺ). قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة! قال: وأي فتنة من هذا، وإنما هي أميال أزيدها؟! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول(٢):

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

فمع أن الرجل كان يريد الإحرام من أشرف البقاع في المدينة، وهو مسجد الرسول ﷺ وموضع قبره، وأنه يزيد ولا ينقص، حيث يحرم من موضع أبعد من الميقات المحدد، خشي

(١) أُلفت كتب عديدة قديماً وحديثاً في الانكار على البدع المحدثة في الدين، منها: الحوادث والبدع للطرطوشي والاعتصام للشاطبي والابداع للشيخ علي محفوظ، وليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالي.

(٢) وانظر كتابنا: (السنة مفتاح الجنة ص٢٤٦ ـ ٢٤٩).

عليه الإمام مالك الفتنة في الدنيا، والعذاب في الآخرة، لما يحمل عمله في ثناياه من تفضيل لنفسه ونسبة النقص إلى عمل رسول الله ﷺ.

وقال الإمام مالك أيضاً: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ قد خان الدين، لأن الله يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً!![1].

فإذا كان الدين قد أكمله الله وأتم به النعمة، فلا مجال فيه لإحداث زيادة، لأن الكامل لا يقبل الزيادة، ومحاولة الزيادة عليه إتهام له بعدم الكمال. وقال سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)[2].

هذا ما أردت بيانه من موقف الإسلام الحنيف من البدع وكيف سدّ طرقها. فعلى كل مسلم أن يعرف أن الدين محفوظ بسياج من فولاذ، ولن يصل إليه الأعداء والملاحدة مهما بذلوا من جهود.

موقف الزنادقة من السنة:

إن كثيراً من الناس قد تنكّروا للدين وجحدوا ما جاء به الرسول ﷺ وهذا من أعظم المهالك الذي وقع فيه الزنادقة وأضرابهم قديماً وحديثاً.

(١) انظر: العبادة في الإسلام ص١٧١ وما بعدها.

(٢) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٢٨ للإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ.

وكما لا يخفىٰ فإن من أنكر كون حديث النبي ﷺ ـ قولًا كان أو فعلًا ـ حُجَةً كَفَر، وخرج عن دائرة الإِسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة.

روى الإِمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً، وقال: (إنه صحيح)، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: (يا هذا. أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً[1]؟ أروي حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا أقول به!).

وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من الغلاة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن، وهم في ذلك مختلفو المقاصد:

١ ـ فمنهم من كان يعتقد النبوة لعلي، وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين ﷺ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٢ ـ ومنهم من أقرّ للنبي ﷺ بالنبوة، ولكن قال: (إن الخلافة كانت حقاً لعلي فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه قال هؤلاء المخذولون لعنهم الله: (كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه)[2]. وكفّروا ـ لعنهم الله ـ علياً

---

(١) لأن اتخاذ الزنار من عادات قسس النصارىٰ.

(٢) ومراده: إن أولئك الأشقياء يعتقدون بكفر الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم ظلموا علياً، فحرموه من حقه بالخلافة، وجعلوها لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً.

- رضي الله عنه - أيضاً لعدم طلبه حقاً، فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، لأنها عندهم - بزعمهم - من رواية قوم كفار، فإنّا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدّى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليها(١).

الإسرائيليات:

معنى الإسرائيليات: لفظ الإسرائيليات جمع مفردة إسرائيلية. وهي قصة أو حادثة تروى من مصدر إسرائيلي. والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر(٢).

والمقصود من الإسرائيليات أو معناها الاصطلاحي، كما قال أحد الباحثين المحدثين: هي اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام، على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام، أو تظاهرهم بالدخول فيه(٣).

آثار الإسرائيليات على عقائد المسلمين:

لقد أثرت رواية الإسرائيليات تأثيراً سيئاً على الإسلام

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص١٤٨ وما بعدها للسيوطي بتحقيق عبد الرحمٰن فاخوري ط١، ١٣٩٩هـ.
(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص١٢.
(٣) الآلوسي مفسراً رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة. نقلًا عن الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. ص٧٣.

وعقائد أبنائه، وتركت آثاراً بالغة يصعب حصرها. وذلك لأسباب كثيرة، نجمل أهمها فيما يلي:

١ ـ فتحت لأعداء الله ـ من المبشرين والمستشرقين والملحدين ـ منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغرّاء، وفي الرسول الكريم حامل لواء الإسلام، حيث اتّخذ هؤلاء الأعداء من الإسرائيليات الباطلة المبثوثة في كتب التفسير وغيرها، دعامة لمنهجهم في البحث لتشويه سمعة الإسلام وأهله، والدس الرخيص على خاتمة الرسالات لينفر منها الناس.

٢ ـ استخفّ بعض كتّاب الإسلام المعاصرين، الذين لم يتسلّحوا بمعرفة حقيقة الدين، وحقيقة هذه المفاسد الدخيلة من تلك الروايات المدسوسة، فنهجوا نهج الأعداء ـ المستشرقين وأشباههم ـ وغضوا من شأن الإسلام ودستوره، بناءً على ما تلقوه من بحوث المستشرقين وغيرهم، تلك الأبحاث الفاسدة التي بنيت على أساس فاسد، هو الطعن والتلفيق ومحاربة حقائق الإسلام الصحيح.

٣ ـ أورد كثير ممن ليس من أهل الحديث، كثيراً من هذه الإسرائيليات في اجتهاداتهم ومناظراتهم وتآليفهم، وهذا أمر بالغ الخطورة على الدين وأهله، لأن جمهور الناس وعامتهم تقبلوا هذه الإسرائيليات على أنها صحيحة لا غبار عليها، وأذاعوها بين الناس مع أن الكثير منها مدسوس على الإسلام مشوّه له.

٤ ـ ألحقت هذه الإسرائيليات بالتفسير الصحيح لآي الذكر الحكيم والحديث الشريف زعزعة واضطراباً، وكادت تودي بما في القرآن والسنة المطهرة من مبادىء وأحكام... ومن جهة

أخرى فقد مزّقت المسلمين شيعاً وأحزاباً، حيث دسّ اليهود عقائد مختلفة وأحاديث موضوعة، مما أثار الجدل والخلاف والتفرقة بين صفوف المسلمين[1]، حتى أفقدهم مجدهم وعزتهم، وأصبحوا مطمعاً للغزاة وألعوبة مسخّرة لخدمة الأجنبي، وتحقيق أهداف ومخططات أعداء الدين. والذي آمل أن يعمل المسلمون على تحقيقه هو تنبيه المسلمين إلى خطر الإسرائيليات، والرقابة على الأئمة والخطباء والمتصوفة وأضرابهم، ممن تشيع على ألسنتهم الإسرائيليات ويذكرونها لاستمالة العامة. كما يجب أن تفرض الرقابة الشديدة في دور العلم ومعاهده وبخاصة كتب التفسير والوعظ[2] التي تدرّس.

(١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. ص٤٢٨ ـ ٤٢٩. باختصار.

(٢) ومن المؤسف أن نجد كثيراً من الكتب المشحونة بالإسرائيليات والروايات الفاسدة والأحاديث الموضوعة والأفكار الدخيلة الرائجة بين المسلمين دون تحذير من خطرها. وإني لآمل من الدعاة الغيورين العمل على كشف أعداء الإسلام وتشويهاتهم وتأليف الكتب والرسائل التي تكشف هذه المخطّطات المنحرفة وتطهير المكتبة الإسلامية من الكتب الفاسدة.

الفصل الثاني

التوحيد

- التوحيد جوهر الإسلام.
- فضائل التوحيد.
- معنى محمد رسول الله.
- التحرز من خلط ما لله بما للرسول من حق.
- حكم تمثيل النبي ﷺ أو آله أو أصحابه.
- أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
- أولياء الشيطان.

التوحيد

التوحيد جوهر الإسلام:

إنّ العقيدة الصحيحة هي أساس المجتمع الإسلامي، وإن التوحيد الخالص هو جوهر العقيدة وروح الإسلام كله. أما أهم ما يسعى إليه الإسلام فهو حماية العقيدة وصيانة التوحيد من عبث المفسدين ودعوات المبطلين، حتى يتحرر المجتمع المسلم من ضغوط الضلال، ولوثات المفسدين وشوائب الشرك ورواسب الخرافة.

معنى التوحيد:

ومعنى التوحيد: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، ونفي المثل والنظير عنه وعدم الإشراك به سبحانه وتعالى، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.

فالتوحيد - الذي بعث الله به رسله[1] وأنزل به كتبه، وخلق الخلق لأجله - ثلاثة أقسام:

١ - توحيد الربوبية والملك: وهو اعتقاد أن الله تعالى رب

(١) التوحيد: هو أعظم فريضة جاء بها الرسول ﷺ ومن أعظم فرائض الإسلام، كالصلاة والصوم وغيرها، وقد جاء به الإسلام قبل غيره من الفراض.

كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازقه، والمتصرف فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكمته. وهذا القسم قد أقرّ به مشركو العرب.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس: ٣١]، وهذا لا يكفي وحده ولا يدخل في الإسلام وحده، بل لا بد أن يأتي العبد معه بلازمه وهو القسم الثاني: توحيد الألوهية.

٢ ـ توحيد الأُلوهية: وهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى وإفراده بجميع العبادة. وهذا التوحيد هو الذي افتتح به الرسل دعواتهم، كما قال أول الرسل نوح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات: وهو العلم والاعتقاد بأن الله تعالى بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيء قدير، حي قيّوم لا تأخذه سِنة ولا نوم، منزّه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوىٰ، العزيز الجبّار المتكبر، سبحان الله عما يشركون له الأسماء الحُسنىٰ والصفات العُلىٰ.

فما أثبت الله لنفسه وأثبته له رسوله؛ من صفات الكمال ونعوت الجلال، وجب إثباته له على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا هو الذي

عليه الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة ومن في طبقتهم، ومن بعدهم من أهل الحديث، والفقهاء من أهل السنة والجماعة[1]. . .

فضائل كلمة التوحيد:

لكلمة التوحيد فضائل عظيمة لا يمكن هٰهنا استقصاؤها والوقوف على فضائلها التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. وهي الكلمة الطيبة التي يسعد من تمسَّك بها، وعمل بروحها ونصوصها، فهي كلمة التقوى. . . ولأجلها أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

قال ابن عيينه: ما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أعظم من أن عرّفهم لا إله إلا الله، وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أُعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أُمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه عصماً، ومن أباها فماله ودمه هدر، وهي مفتاح الجنة، ومفتاح دعوة الرسل، وبها كلم الله موسى كفاحاً ـ أي مواجهة ـ.

وباختصار فلكلمة الإخلاص ـ التوحيد ـ فضائل عديدة، أهمها ما يلي:

---

(١) بتصرف عن الجامع الفريد: ص٥٣٧ ـ ٥٣٨. وقارن الفتح المجيد وشرح العقيدة الطحاوية.

١ ـ هي ثمن الجنة. وقد ورد في الحديث: (ومن كانت آخر كلامه؟ دخل الجنة)[١].

٢ ـ وهي نجاة من النار. سمع النبي ﷺ، مؤذناً يقول: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال (خرج من النار)[٢].

٣ ـ توجب المغفرة وتمحو الذنوب والخطايا، وهي أحسن الحسنات، كما تجدد ما درس من الأَيمان في القلب.

٤ ـ ترجِّح بصحائف الذنوب، كما في حديث السّجلات والبطاقات.

٥ ـ تخرق الحُجب حتى تصل إلى الله عز وجل، وفي الحديث: (ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر)[٣].

٦ ـ وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها، وهي أفضل ما قاله النبيوه، كما ورد في دعاء يوم عرفة.

٧ ـ وهي أفضل الذكر، كما ورد في الحديث: (أفضل الذكر لا إله إلا الله)[٤].

٨ ـ أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً[٥]، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان.

---

(١) له عدة وجوه بعضها حسن وهو مخرج في المشكاة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والنسائي والترمذي، وحسّنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) حديث حسن، الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٥) أي تكثير للثواب ومضاعفة له، تعدل: تساوي.

٩ ـ إنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم: لا إله إلا الله.

١٠ ـ ومن فضائلها: أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، يدخل في أيها شاء كما في حديث عمر عن النبي ﷺ، فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء(١).

١١ ـ ومن فضائلها أيضاً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها(٢).

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرجن منها من قال: لا إله إلا الله)(٣).

معنى محمد رسول الله:

اعلم أخي القارىء (وفقك الله) أن كثيراً من المسلمين يجهلون المقصود من معنى (أشهد أن محمداً رسول الله)؛ وذلك لعدم تفقههم في دين الله واعراضهم عن سنة رسول الله ﷺ.

فالمقصود من معنى (محمد رسول الله) هو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وتأملوا قول الله

---

(١) أخرجه الإمام مسلم.

(٢) باختصار عن (كلمة الإخلاص) للإمام ابن رجب الحنبلي.

(٣) رواه الشيخان وانظر كتابنا: (مصرع الشرك والخرافة ص٣٠ ـ ٣١) وهو من منشورات دار رمادي بالدمام.

تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧].

وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء: ٦٥].

وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ[١] أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

وقوله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢].

وقوله في الحديث الشريف: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[٣].

التحرّز من خلط ما لله بما للرسول من حق:

اعلم أخي القارىء (زادك الله علماً) أنه من الأهمية بمكان التحرز من خلط ما لله من حق بما لرسولنا الأعظم من حق.

فقد يقع المسلم في هذا دون أن يشعر، أو يقع فيه متعمداً ظاناً أنه من واجب المسلم نحو الرسول ﷺ وأنه من

---

(١) أمره: أي أمر الرسول. فتنة: أي شرك أو كفر.

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ والمتفق عليه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أي مردود على صاحبه.

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

حقه على المسلم، أو أن ذلك من مزيد محبته للنبي ﷺ، فيقع في الشرك الخفي أو الجلي وبالتالي يقع في سخط الله.

إن محبة الرسول ﷺ الحقيقة هي متابعته والمسارعة إلى مرضاته، وهذا لا يتم إلا بتجريد المتابعة لشرعه الذي جاء به من ربه ولسنته القولية والعملية.

ومن المعلوم أن ما جاء به ﷺ من ربه إفراد الله بالعبادة بجميع أشكالها وصورها وعدم إعطاء ذرة منها لأحد كائناً من كان، وهذا هو معنى كلمة التوحيد كما بيّنا ذلك من قبل..

ولتحقيق هذه المعاني العالية في نفوس المسلمين بيّن القرآن الكريم أن محمداً ﷺ بشر. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وإنما المالك لهذا وذاك هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

وعلى هذا فالاستغاثة وطلب العون وكشف الضرّ من الله تعالى الذي دعانا إلى الطلب منه والتوجه إليه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

كما أن الخشية والتقوى تكون لله، والتوكل يكون على الله

فهو الكافي جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النور: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٩] فهذه الآيات صريحة في تحديد ما لله من حق وما للرسول من حق، فمن حقوق الله تعالى وحده الخشية منه والتقوى له، والكفاية لعبده والتوكل عليه والرغبة إليه، أما الطاعة فهي من حقّ الله وحقّ رسوله ﷺ، وطاعة الرسول في حقيقتها طاعة الله، وكذلك من حق الرسول إعطاء ما يراه من غنائم وفيء وغيرها من يرى إعطاءه.

وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

وقال رجل للنبي ﷺ: (ما شاء الله وشئت). فقال ﷺ: «أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله ثم شئت»[2]، وفي رواية: (ما شاء الله وحده).

فالنبي الكريم جاء بالتوحيد الخالص لله رب العالمين. ومن حرصه الشديد، على ما ينفع المسلمين كان يبيّن لهم التوحيد كما يبيّن لهم معاني الشرك، لئلا يقعوا فيه، وهذا من كمال نصحه

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه النسائي وصححه. [فتح المجيد ص٤٣٠].

ورحمته ورأفته - بأبي هو وأمي - ﷺ، فجزاه الله عنا خير الجزاء. قال تعالى في بيان بعض أوصافه الكريمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦].

حكم تمثيل النبي ﷺ أو آله أو أصحابه (رضي الله عنهم).

إن الإِقدام على تمثيل النبي ﷺ أو صحابته مسألة عظيمة لا ينبغي تجاهلها أو إهمالها، لذلك رأيت أن أُبيّن حكم الشرع فيها، لتلافي أخطارها.

أولاً: حكم تمثيل النبي ﷺ:

لقد قام بعض اليهود الذين هم أشدّ الأعداء للإِسلام والمسلمين وبعض الصليبيين الحاقدين على الإِسلام وساعدهم على ذلك بعض من انتسب إلى دين الإِسلام بغية جلب الحطام، بتمثيل النبي ﷺ. وأخرجوا فيلماً للرسول فأحدث ضجة كبيرة في أكثر الأوساط الإِسلامية، واشتد نكير أكثر العلماء على هذا العمل الشنيع، لأنه ينافي مقام الرسول الأعظم، ولا تخفى مكانة الرسول وما أوجب الله علينا من تعظيمه وتوقيره وتعزيره ومحبته وتقديمه في الحب والفداء على النفس والمال والولد، زيادة على الإِيمان بنبوته ورسالته.

قال أبو العباس ابن تيمية: إن الله سبحانه وتعالى أوجب

لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدة على مجرد التصديق بنبوته:

قال ومن حقه:

١ ـ أن يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم: قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، ومن حقه:

٢ ـ أن يكون أحب إلى المؤمنين من نفسه وولده وجميع الخلق: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وفي الصحيحين: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، ومن ذلك أمر الله تعالى بتعزيره وتوقيره. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الفتح: ٨، ٩].

قال: والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه... والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

٣ ـ ومن ذلك أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن.

٤ ـ وحرّم رفع الصوت فوق صوته.

٥ ـ وأن لا يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل.

٦ ـ وأخبر أن الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون، لكونهم رفعوا أصواتهم عليه، ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج إليهم.

٧ ـ وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر، لأن العمل لا يحبط إلّا به[1].

٨ ـ وأخبر أن الذين يغضّون أصواتهم عنده هم الذين امتحنت قلوبهم للتقوى، وأن الله يغفر لهم ويرحمهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [سورة الحجرات: ٢].

٩ ـ إن الله حرّم على الناس أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضاً، تمييزاً له، مثل أن تُنْكح أزواجه من بعده. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].

إذا تقرر ذلك فتمثيل رسول الله استخفاف به وعدم احترام

(١) انظر: تطهير المجتمعات ص٢٢٥ وما بعدها.

لمكانته. والممثّلون أهل لعب ومجون وأهل كذب واستخفاف، وقد يصل بهم اللعب في التمثيل والكذب إلى الاستخفاف بمن يجعلونه غرضاً. لذلك التمثيل وهدفاً، وإذ ذاك يصبح التمثيل كفراً وزندقة، عقوبته اللعنة لمرتكبه والساعي فيه والنفي من البلاد فقط.
ولذا كان التمثيل به من كبائر الذنوب المهلكة إن لم يصل إلى حد الاستخفاف وإلّا فيكون كفراً، وكما لا يجوز تمثيله صلوات الله عليه، لا يجوز حضور تمثيله، ولا الموافقة عليه، ولا مساعدة مرتكب ذلك بأي نوع من أنواع المساعدة، أو تصويراً للكعبة المشرفة، أو مكة المكرمة، والضريح النبوي، والمدينة المنورة، أو أي شيء في معناها، ليظهر حاكيه عليه السلام في منزل الوحي، ودار ولادته ومرتع صباه، ودار هجرته ومدفنه صلوات الله عليه، ومرتكب ذلك بالتمثيل بنفسه، أو الحضور فيه أو معاونته أو الموافقة عليه بفتوى، أو نفوذ أو أي شيء يكون منه لعمل ذلك التمثيل فاعل ذلك بنفسه، أو بتأييده، ولو باللسان، فضلًا عن المشاركة ملعون بلعنة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، ومع اللعنة يعاقب أيضاً بالطرد من بلده والنفي من بين قومه وعشيرته.
والدليل على تحريم ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

قال ابن العربي المعافري: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدّاً أو هزلًا، وهو كيفما كان كفراً فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة. ومن السنة قصة الحَكَم بن أبي العاص الأموي، قال ابن عبد البر الأندلسي: كان الحَكَم يحاكي

النبي ﷺ في مشيته وبعض حركاته أي كان الحَكَم يمثل النبي صلوات الله عليه وسلامه وكان الحكم من مسلمة الفتح ومطليقهم.

وقد ثبت أن النبي ﷺ نفاه من المدينة إلى الطائف وبقي منفياً حتى تولى الخلافة عثمان فرده. لأن عثمان استأذن من النبي صلوات الله عليه، كما وردت عدّة أحاديث أن النبي ﷺ لعنه، ومن تلك الأحاديث ما رواه ابن أبي خيثمة وغيره بعدة أسانيد عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت لمروان؛ فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه[1].

وتمثيل الحَكَم للحركات النبوية والمشية النبوية، إما أن يكون ذلك منه استهزاء برسول الله والرسالة، ولو كان استهزاء لكان الحكم مرتداً، وجزاء المرتد المستهزىء برسول الله والرسالة القتل بإجماع الأمة، كما نص على ذلك علماء جميع المذاهب، وفي هذه المسألة صنّف أبو العباس ابن تيمية كتابه الكبير «الصارم المسلول على شاتم الرسول»..

وأما أن يكون الحَكَم بتمثيله للحركات النبوية والمشية النبوية متلاعباً فقط، واكتفاء رسول الله صلوات الله عليه بلعنه ونفيه، دليل على اعتباره له يلعب ولذلك لم يقتله، وبذلك يتم المقصود من الحكم على تمثيل رسول الله ﷺ من أنه لعب وليس استهزاء.

(١) رواه النسائي والحاكم وابن مردويه وغيرهم. ورواه الإسماعيلي وسكت عنه الحافظ، وهو بسكوته عنه يعتبر صحيحاً حسب قاعدته وكذلك قال له أخوه عبد الرحمن: لعن الرسول ﷺ أباك: رواه البزار وحسنه الهيثمي.

فصح بهذا الدليل أن التمثيل برسول الله والرسالة لعب، واللعب بذلك حرام لا يجوز، ملعون اللاعب بفعله وحضوره وتأييده. ومع اللعنة حكمة أن يُنفى من بلاده إلى بلاد لا عشيرة له فيها ولا أهل، كما نفي الحَكَم من المدينة المنورة من بين أهله وولده وعشيرته إلى الطائف، حيث عاش غريباً مطروداً بقية حياة رسول الله صلوات الله عليه، وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه وإلى سنوات من خلافة عثمان رضي الله عنه.

ثانياً: حكم تمثيل آله (أهل بيته) ﷺ:

وأما تمثيل آل بيت نبينا، فهو كذلك استهتار بهم وسوء أدب معهم لم يطهرهم من رجس اللعب والمجون ومن الكذب عليهم، والافتراء بالقول والحركات والملامح والإشارات من مثلهم أو مثل واحد منهم وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1] [سورة الأحزاب: ٣٣]. وقد ورد في تفسير الآية عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيما صحّ عنه وتواتر ورواه عنه عشرة من الصحابة رجالًا ونساءاً ودونته عنهم أمهات كتب السنة. فعن أم سلمة أم المؤمنين عن سنن الترمذي وصححه، وصحيح الحاكم، وسنن البيهقي، وغيرهم قالت: في بيتي نزلت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت). وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، فجللهم رسول الله ﷺ

(١) وانظر: تطهير المجتمعات من الرجس والموبقات ص٢٢٨.

وآله وسلم بكساء كان عليه ثمّ قال هؤلاء، أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فحرمتهم حرمة رسول الله، ومحبتهم محبة لرسول الله، والأدب معهم أدب مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. ومن مثلهم أو مثل واحداً منهم لم يحترم رسول الله، ولم يحبه، ولم يتأدب معه، وكان من العصاة المستهزئين. وعليه ما على العصاة والجناة من أدب وتعزير[1].

ثالثاً: حكم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم:

وتمثيل الصحابة كذلك مجون ولعب، قد أعرض عن حبهم واحترامهم من مثّل بهم، وكذب في تمثيله عنهم وافترى عليهم بتخيلاته عنهم قولًا، وبحركاته التمثيلية لهم فعلًا، وارتكب فاعل ذلك المستهتر بهم مخالفة الله تعالى في رضاه عنهم مهاجرين وأنصاراً، واستبدل الدعاء لهم كما أمره الله باللعب بهم وعدم الأدب معهم. قال تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]. وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) ملحوظة: (ما تفعله الشيعة من تمثيل آل بيت رسول الله ﷺ بصفة المظلومين والمقهورين من ظلم يزيد وابن زياد بدعة وحرام وكبيرة).

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحشر: ٨ ـ ١٠].

وقد أوصى بهم ﷺ وأمر أن لا يتّخذوا غرضاً وهدفاً في اللعب والاستهتار بهم[١]، وأوجب حبهم وقرنه بحبه، وحرّم بغضهم وقرنه ببغضه، وجعل أذاهم أذاه. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بأصحابي»[٢].

وعن عبد الله بن المغفل المزني، قال قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتّخذونهم غرضاً بعدي، فمن أحبّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)[٣].

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

قال ابن حجر: المراد بولي الله، العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته[٤]. وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي المُضاف إلى الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

---

(١) انظر: تطهير المجتمعات ص٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٢) رواه أحمد في المسند والترمذي في الجامع والحاكم في الصحيح.
(٣) رواه أحمد في المسند والترمذي في الجامع.
(٤) انظر: فتح الباري ١٣/ ٢٩٣.

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس: ٦٢]. فأولياء الله هم خلّص عباد الله والقائمون بطاعته المخلصون له. إنّ أفضل الأولياء عند الله هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون وأفضل الرسل هم أولو العزم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

أما أفضل أولي العزم من رسل الله فهو نبينا محمد ﷺ الذي أنزل عليه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]...

فأولياء الله هم الذين عرفوا دين الله، فتولوه بالنصر والتأييد فبلغوه للناس بأمانة وحق ـ كما أمر الله سبحانه ـ فلم يكتموا من أمره شيئاً ـ نفاقاً أو مجاراة أو خوفاً من لومة لائم ـ مهما أصابهم في سبيل ذلك من إساءة وأذى، باعتقادهم أن ما يصيبهم في سبيل الله هو في الحقيقة اختبار لهم وتمحيص لإيمانهم. وهم الذين كفروا بدين الشيوخ وما عليه أكثر الناس، ولم يربطوا عقائدهم بما عليه الأهل والعشيرة، من البدع والعادات الموروثة والانحرافات المنكرة، من تقليد وجهل.

وأولياء الله هم الذين أحبو الله فأفردوه بالعبادة الخالصة وأحسنوا التوكل عليه واتّخذوه وليّاً لهم ونصيراً، كما يقول الحق سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

والمؤمنون هم الذين يتخدون بعضهم أولياء بعض، وولايتهم لبعض هي أن يناصر بعضهم بعضاً في سبيل إحياء

دين الله، وإظهار الحق وإعلاء كلمته، والدفاع عن عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك، ومقاومة البدع والضلالات المنتشرة في الناس باسم الدين وهؤلاء أيضاً يعاونون بعضهم في ما يعود بالنفع العام، والخير في أمور الدنيا وأن يكون حبهم لله وحده.

هذه هي ولاية المؤمن كما يحبها الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [سورة المائدة: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[1] [سورة التوبة: ٧١].

واعلم يا أخي ـ يرحمك الله ـ أن المعيار الذي تعرف به صحة ولاية الولي، هو أن يكون ملتزماً بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله، مؤثراً لهما على كل شيء، مقدماً لهما في إصداره وإيراده وفي كل شؤونه، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه الولاية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [سورة النساء: ٦٥].

أولياء الشيطان:

بين الله سبحانه في كتابه وسنة رسوله أن له أولياء من الناس، كما أن للشيطان أولياء. وقد فرّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان المردة، الذين لم يقبلوا لأنفسهم أن يكونوا

---

(١) وانظر: مصرع الشرك والخرافة ص٥٣٤ ـ ٥٣٦ وهو من منشورات دار رمادي بالدمام.

عبيداً لله، بل تجدهم قد تمرّدوا على أمره سبحانه وتعالى: «فحادوا الله ورسوله وكانوا قوماً بوراً».

وقد مرّ معنا أن أولياء الله هم الأتقياء الذين ينقادون لأمره، ويتّبعون تعاليم شرعه.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

وفي حق أولياء الشيطان قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

وقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء: ١١٩] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأعراف: ٣٠].

بعض علامات أولياء الشيطان

ومن علامات أولياء الشيطان التي يجب أن يعرفها المسلم، لئلا يشتبه عليه الأمر وتلتبس عليه الحقيقة فقد بيّنها شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨) فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله،

مستغيث بالمخلوقات (كالأولياء) ويتوجه إليها، أو يسجد إلى ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لربّ العالمين، أو يلابس الكلاب والنيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلى المقابر، أو يكره سماع القرآن وينفر منه، ويقدّم عليه سماع الأغاني والأشعار وسماع مزامير الشيطان، فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن.

قال ابن مسعود: (لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله).

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عزّ وجل)[١].

ويكشف لنا الشيخ (رشيد رضا) جوانب هامة عن أولياء الخيال والشيطان، فهو يرى أن أولياء الله هم الذين يشهد لهم كتابه بالولاية، وهم المؤمنون الصالحون المتّقون.

ولقد اشتهر بين المسلمين بعد عهد السلف الصالح ما يدّل على أن الأولياء عالم خيالي غير معقول، لهم من الخصائص، في عالم الغيب والتصرّف في أنبياء الله المرسلين... فهم يزعمون أن هناك الأقطاب الأربعة المتداركة وغيرهم كالدسوقي والرفاعي والبدوي الذين يتصرّفون بالكون فهذه ولاية خيالية مبتدعة من محدثات الصوفية ألبسوها ثوب الشريعة[٢].

---

(١) للمزيد: راجع (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ص٦٤ وما بعدها.

(٢) تفسير المنار ـ بتصرّف ـ.

الفصل الثالث

الشرك

- الشرك وأقسامه.
- الحلف بغير الله.
- الذبح والنذر لغير الله.
- علم الغيب.
- التطيّر (التشاؤم).
- الاستعاذة بغير الله.
- الاشتغال بالسحر.
- الأحجبة والتمائم والرقى.
- شرك الكهان والعرافين والحجابين.
- تصديق الكهان كفر.
- الاستهزاء والسخرية بالإِسلام أو بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته.
- الأحلام والرؤيا.
- البهائية (النحلة المشركة).
- الحركة القاديانية.

الشرك

معنى الشرك وأقسامه:

ومعنى الشرك: هو دعوة غير الله معه، وأن تجعل لله نداً في العبادة، وهو خلقك.

واعلم يا أخي (حفظك الله) أن الشرك أعظم شيء نهى الله عنه وهو ضد التوحيد. واعلم أن أنواعه ثلاثة: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء: ١١٦]. ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

ومعناه: اتخاذ الندّ، بأنْ يدعوه أو يرجوه، أو يخافه أو يُحبّه كمحبة الله، أو يذبح أو ينذر له... وينقسم إلى أربعة أنواع[1]:

(١) راجع الكواشف الجلية وكتاب الجامع الفريد.

١ ـ النوع الأول: شرك الدعوة ـ الدعاء. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

٢ ـ النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد. والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود: ١٥ ـ ١٦].

٣ ـ النوع الثالث: شرك المحبة. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

٤ ـ النوع الرابع: شرك الطاعة. والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: ٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعبادة في المعصية لادّعائها إياهم. كما فسرها النبي ﷺ، لعديٍّ بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم، طاعتهم في المعصية.

والنوع الثاني من الشرك: الشرك الأصغر. عرّفه بعضهم بأنه كل وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الأكبر. وذلك كقول الرجل: ما شاء الله وشئت. ولولا الله وأنت. وكحالف بغير الله، كأن يحلف بأبيه أو شيخه أو زعيمه أو شرفه... إلخ.

ودليل الشرك الأصغر ـ الرياء ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [ســـورة الكهف: ١١٠].

والنوع الثالث من أنواع الشرك: الشرك الخفي. والدليل عليه قوله، ﷺ: (الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دَبيب النَّملة السوداء على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل).

وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أُشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم). وقوله ﷺ: «اتّقوا هذا الشرك فإنه أَخفىٰ من دبيب النّمل). فقيل له: كيف نتقيه وهو أخفىٰ من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: (قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)[١]. وكان عمر يقول في دعائه: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)[٢].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١ ـ إن الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢ ـ الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه ومن تاب توبة نصوحاً قبل الموت أمن العاقبة بحول الله.

---

(١) رواه أحمد. انظر: أعلام الموقعين ٤/٣٩٩.

(٢) مقتبس عن رسالة العبودية لابن تيمية، ص١٣٨، أنصح باقتناء هذه الرسالة وغيرها من كتبه.

٣ ـ إن الشرك الأكبر مخرج عن الملة الإِسلامية، وأما الأصغر فلا يخرج منها.

٤ ـ إن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار أبداً، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب. وقيل إنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة كالأكبر، وهذا أقرب. والله أعلم[١].

الحلف بغير الله:

لقد حرّم الإِسلام الحنيف على أتباعه أن يعظموا المخلوقات أو يؤلهوهم ـ كما يفعل المبتدعة ـ أو يحلفون بهم، لأن التعظيم والتقديس والإِجلال لا ينبغي لأحد من المخلوقات، بل هي من خصائص الله جل علاه[٢]. فالحلف والتقديس والإِجلال تعظيم للمحلوف به، وقد منع رسولنا الأعظم ﷺ أن يحلف المسلم بغير الله تعالى فقال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٣]. وقال أيضاً: (ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)[٤]. لذا كان المطلوب من كل مسلم أن لا يحلف بالآباء والأمهات، أو الشيوخ، أو الزعماء، أو الأولياء، أو الأنبياء أو الكعبة، أو الشرف أو كلمة الطلاق، أو أي شيء آخر يكون عزيزاً عند الحالف.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا:

---

(١) الكواشف الجليّة. ص(١٩٤).

(٢) انظر: كتابنا (الكشاف الفريد ٢/٢٧).

(٣) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

(٤) رواه البخاري ومسلم. انظر (سبل السلام ٤/١٠١).

مـا شـاء الله وشـاء فـلان ولـكـن قـولـوا: مـا شـاء الله ثـم شـاء فلان)[١].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ من أيمان الشرك أن يحلف المرء بتربة أبيه، أو بالكعبة، أو بنعمة السلطان أو بحياة الشيخ، أو غيرهم من المخلوقات. فهذه أيمان غير منعقدة ولا كفارة فيها بالحنث باتفاق أهل العلم[٢].

أقول: إنها أيمان خطرة على الدين والدنيا، وهي ذرائع شركية وقد تهلك صاحبها بالدارين.

وعن أبي هريرة مرفوعاً (لا تحلفوا بآبائكم ولا بامّهاتكم ولا بـالأنـداد ولا تـحـلـفـوا بـالله إلا وأنـتـم صـادقـون)[٣]. وهـذا الحديث دليل واضح على النّهي عن الحلف بغير الله، وهو التحريم. . .

لقد كانت الجاهلية الأُولى تعظم الأصنام وتحلف بها لتأْكيد أيمانها؛ لهيبتها في نفوس معظميها، وثمة ما نعاني في جاهلية عصرنا من تشابه بين الجاهليتين، فتجد من يحلف بالسلطان والرئيس أو الملك أو بالأنبياء وأصحاب الأضرحة؛ كالدسوقي والحسين والسيدة زينب والبدوي، وسيدنا الخضر وأضرحة الأنبياء ـ في مدينة الخليل بفلسطين ـ وضريح الصحابي (أبي عبيدة) في غور الأُردن، وغيرهم من الأحياء والموتى، المؤلهين المقدسين من دون الله تعالى لدى جمهرة كبيرة من

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح. راجع (فتح المجيد ص٤٢٦ وما بعدها).

(٢) راجع: (الفتاوى الكبرى ٣/ ٤).

(٣) رواه النسائي وأبو داود. انظر: (سبل السلام ٤/ ١٠١).

المنحرفين، الذين استحوذ عليهم الشيطان، فعميت لديهم القلوب والأبصار.

ولنتأمل أيضاً قول الرسول ﷺ حيث قال: «ليس منّا من حلف بالأمانة ومن خَبَّبَ ـ أفسد ـ على امرئٍ زوجتهُ أو مملوكه فليس منا»[1].

من هذا وغيره يعلم[2] أن الإنسان لا يجوز أن يحلف بغير الله، لئلا يدخل في عداد المشركين المغضوب عليهم[3].

الذّبح والنذر لغير الله:

اعلم أيها القارىء، أن النذر والذَّبح من العبادات التي يتقرب العبد بها إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. وقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر: ٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله...». حديث صحيح.

قال الإمام النووي: المراد بقوله: «لعن الله من ذبح

---

(١) رواه أحمد وابن حبّان، وصحح إسناده المنذري في الترغيب. راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١/ ٣٥).

(٢) ومما يجدر ذكره أن الله سبحانه وتعالى قد نعى على الكثير الحلف فقال: **﴿ولا تطع كل حلّاف مهين﴾**.. سورة القلم: (١٠)، وكما هو معلوم فإن وقوع الحلف يكثُر من قِبلْ التجار وأرباب المهن والصنائع وأشباههم، فعلى هؤلاء وغيرهم عدم الإسراف في الإيمان لمناسبة أو غير مناسبة.

(٣) راجع العبادة في الإسلام. وصراع بين الحق والباطل: (ص١١٦).

لغير الله» أن يذبح باسم غير الله، كمن يذبح للصنم، ومثله من يذبح لصاحب القبر، أو نحو ذلك. وكل هذا حرام، ولا تحلّ هذه الذبيحة.

نصَّ عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له هذه الذبيحة - غير الله والعبادة له - كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك، صار بالذبح مرتداً. ذكره في شرح مسلم ونقله كثيرون[1].

إن الأموال والهدايا والذبائح والأطعمة التي تحمل إلى أضرحة المشايخ أو الأولياء - بقصد الوفاء بالنذر - هي عمل باطل، ومعصية لله ولا يجب الوفاء بهذا النذر، لأن الرسول ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعْه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[2].

أما ما يقوله الجهلاء والمبتدعة، بخصوص الذبائح والأطعمة والهدايا المنذورة التي تحمل للقبور وأضرحة الشيوخ والأولياء، بأن الولي أو الشيخ الذي حُملتْ إليه لا يأخذها ولا يناله منها شيء، إنما يأخذها الفقراء والمحتاجون، الذين ينتظرون بفارغ الصبر تلك الموالد المباركة والمواسم الكريمة - على حد زعمهم - ليحصلوا منها على أرزاقهم وحاجاتهم إن هذا لضلال، وأي ضلال أعظم من ضلالهم؟؟[3].

---

(١) انظر: الكشاف الفريد (٢/ ٢٢) وما بعدها، ورسالة تقاليد يجب أن تزول ص ١٤.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) انظر: كتابنا الكشاف الفريد (٢/ ٢٤).

علم الغيب:

اعلم أخي القارىء أن الله سبحانه وتعالى قد اختصّ نفسه بعلم الغيب، ومن اعتقد أن أحداً له اطّلاع على علم الغيب (باستثناء ما أعطاه الله لأنبيائه) فقد كفر بالله وأشرك. فقد قال الله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وقال أيضاً: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [سورة النمل: ٦٥]. لقد بالغ كثير من الغلاة، فاستغاثوا برسول الله ﷺ فنسبوا إليه علم الغيب؟! حتى قال بعض عُصاتهم(١): لم يفارق الرسول ﷺ الدنيا حتى علم ما كان وما يكون! وخالفوا صريح القرآن ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾. وقال تعالى مخبراً عن رسوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

وكما هو واضح فالغيب من خصائص الألوهية فلا الملائكة ولا الجن يعلمون الغيب حتى أن الرسول ﷺ لا يعلم

---

(١) ومن مزاعمهم ما قاله أحد شعرائهم في مدح الرسول الأعظم ﷺ:

ومن جودك الدنيا وضرّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

(حقائق الإيمان ص١٩).

الغيب إلا ما علمه الله، وقال الرسول ﷺ: «والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي»[(١)].

وروى البخاري أن الرسول ﷺ قال: مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلّا الله». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان: ٣٤].

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلوّ في الصالحين، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مُقرّون، كما قرّرناه وكررناه. ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ [سورة الأعراف: ٧٠][(٢)]. أي لنفرده بالعبادة وحده.

التطير (التشاؤم):

عرف الناس ضلالة التطيّر في عهد الجاهلية وما تزال رائجة حتى يومنا هذا. مع أن الإسلام قد أبطل دعوات الجاهلية وخرافاتها ومن بينها فتنة التطيّر. وقديماً قال قوم نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ له: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ [سورة النمل: ٤٧].

وكثيراً ما قال الكفار الضالون ـ حينما ينزل بهم بلاء الله ـ

(١) رواه البخاري.

(٢) وانظر: تطهير الجنان ص٢٩.

لدعاتهم ولرسل الله: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [سورة يٰس: ١٨]. وكان جواب هؤلاء المرسلين: ﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [سورة يٰس: ١٩].

أي سبب شؤمكم مصاحب لكم؛ وهو كفركم وعنادكم وعتوكم على الله ورسوله، ونظّم النبي ﷺ التطيّر مع الكهانة والسحر في سلك واحد قال:

«ليس منّا من تطيّر أو تُطيّر له، أو تَكهّن أو تُكهّن له أو سَحر أو سُحر له»[1].

فالإِسلام لا يقبل لأتباعه الإِرتماء في أحضان الشرك والضلال.

إن التطيّر أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح، إنما هو إنسياق وراء الضعف وتصديق للوهم، وإلّا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل أن النحس في شخص معين، أو ينزعج من صوت طائر ـ كالبوم ـ أو حركة عين، أو سماع كلمة؟![2]... وقال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر». وزاد مسلم: «ولا نوء ولا غُول».

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالإِنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر[3].

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس بإسناد حسن. انظر: الحلال والحرام (ص٢٣٥).
(٢) راجع: الحلال والحرام: (ص٢٣٦).
(٣) فتح المجيد: (ص٢١٣ ـ ٢١٥)، راجع: (كتابنا الكشاف الفريد ٢/ ٢٠).

الاستعاذة بغير الله:

ومن الشرك الخبيث: الاستعاذة[1] بغير الله، فالاستعاذة من أنواع العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده ليفردوه بها. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾. و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾.

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضرّه شيء حتى يرحل من منزله ذاك»[2].

شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به، بدلًا عما يفعله أهل الجاهلية أو الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته[3].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرّب إليه بما يحب، فقد عبده، وإن لم يُسم ذلك عبادة. ويسميه استخداماً؛ هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة

---

(١) معنى الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام. ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً أو ملجأ. فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، واعتصم واستجار به والتجأ إليه. (انظر: فتح المجيد ص١٦٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) فتح المجيد (ص١٦٩).

الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به»[1].

الاشتغال بالسحر:

اعلم أخي القارىء أن هذا الموضوع من المواضيع الخطيرة التي شغلت الناس (قديماً وحديثاً) ولا تزال حتى يومنا هذا.

فالسحر من الشرك الملعون الذي نهى عنه الشارع الحكيم وحرّمه على المسلمين لأنه من أقبح الأعمال ومن أظلم الظلمات والعياذ بالله.

ومعنى السحر نفسه: عبارة عما خفي ولطف سببه. ولهذا جاء الحديث: «إنّ من البيان لسحراً»[2]. وسمي السحرُ سحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل.

قال ابن فارس في معجمه: السحر ـ قال قوم ـ هو إخراج الباطل في صورة الحق. ويقال: هو الخديعة. قال أبو محمد المقدسي في الكافي: السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيمرض ويقتل ويفرّق بين المرءِ وزوجه. وقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفلق: ٤]. يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، ويَنفُثْن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة.

(١) المصدر السابق. وانظر: كتابنا (الكشاف الفريد: ٢/١٩).

(٢) رواه مالك وأحمد والبخاري وغيرهم.

وقال الراغب في المفردات: الخداع: تخيّلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وما يفعله النمام بقولٍ مزخرف عائق للأسماع. وجاء في القرآن: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه: ٦٦].

وكذلك يعني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، بقوله سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢].

وقد سَمّى الله تعالى السحر كفراً بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]. وحذرنا الله من الاشتغال بالسحر، لأن الشياطين يعلّمُونهُ للنَّاس عن طريق الوسوسة إليهم، ويعرفونهم كيف يثيرون الفتن ويوقدون نار العداوة بين الزوجة وزوجها بالوشاية، وفي هذا العمل قطع للأرحام وخراب للبيوت(١). قال عز وجل: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].

وقد ذمَّ الله عمل السحر، ووصف ما يفعله بالخسران في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه: ٦٩]. كما أن الرسول ﷺ يقول عن السحر والساحر: «من عَقد عُقدة

(١) راجع صراع بين الحق والباطل: ص١٢٧.

ثم نفث فيها فقد سَحَر ومن سَحَر فقد أشرك ومن تعلّق بشيء وكِلَ إليه»[١].

ويقول أيضاً: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا يا رسول الله وما هن؟

قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٢].

وعن حُكمْ الساحر أيكفر أو لا؟. فهناك من أقرّه، وبه قال الإِمام مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله.

وقال الشافعي إذا تعلّم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمس منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كَفَر[٣]..

وعن بجالة بن عبدة كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر[٤].

---

(١) حديث رواه النسائي.

(٢) حديث رواه الشيخان وأبو داود، وقد عدّ رسول الله ﷺ السحر من الكبائر، وذكره بعد الإِشراك، للإِشارة إلى أنه نوع منه، وأن حكم الساحر حكم المشرك والمرتد.

(٣) انظر كتابنا الكشاف الفريد ٢/٣٢، ففيه بسط وتفضيل.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.

وصحّ عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت[1].

ويلحق بالسحر ما في معناه من العرافة والعيافة التي هي (زجر الطير) والطرق بالحصى، وخط الرمل ونحو ذلك مما يدّعي أصحابه أنهم يعلمون الغيب بواسطته...

لقد تبرّأ رسول الله ﷺ من السَّحرة ومن يأتونهم كما تبرّأ رسول الله ﷺ من الكهنة وأَضرابهم (كالعرّافين والحجابين) قال ﷺ: «ليس منا من تَطَيّر أو تُطِيّر له أو تكهنّ أو تُكُهّن له أو سَحَر أو سُحَر له»: «من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[2].

الأحجبة والتمائم والرُقىٰ:

ومن الشرك الخبيث عمل الأحجبة والرقىٰ وتعليق الأوتار، وهذا من أعمال الجاهلية التي جاء الإِسلام حرباً عليها.

ونظراً لما يترتب على هذه الأعمال الشركية من شرور ومفاسد، فقد حذّر رسولنا ﷺ من ويلاتها فقال: «إنّ الرُقىٰ والتمائم والتّولة شرك»[3].

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد، وانظر: فتح المجيد ص٣١٢ وما بعدها.

(٢) رواه مالك في الموطأ. وانظر: الجامع الفريد ص١١٢ وما بعدها.

(٣) الرقى: دعاء يقرأ على المريض.
التّولة: شيء يصنعه الناس ليحبّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وقيل: هو نوع من السحر. التمائم: جمع تميمة؛ وهي خرزات زرقاء كانت العرب تعلّقها على الأولاد لردّ العين عنهم ولا زالت هذه العادة الشركية مستعملة حتى الآن.. وقد روى الحديث الإِمامان أحمد، وأبو داود.

وقال أيضاً: «من علّق تميمة فلا أتم الله له»[1] وقال: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[2]، وهذا وعيد وتهديد لمن يتعلق قلبه بالتمائم والأحجبة، وفيه أيضاً دعاء عليه بعدم تحقيق المطالب.

واعلم يا أخي أنّ الرُقىٰ نوعان:

النوع الأول: الرُقىٰ المشروعة وهي: ما كان بالقرآن الكريم وأسماء الله وصفاته وما ورد عن رسول الله من الأدعية المأثورة.

النوع الثاني: الرُقىٰ الشركية (غير شرعية) وهي ما كانت بكلام أو أرقام أو خطوط غير واضحة كالطلاسم وبغير لسان عربي، وقد تكون كفراً أو تُوقِعَ في الكُفرِ..

قال السيوطي (ت ٩١١هـ): (أجمع العلماء على جواز الرُقىٰ بثلاثة شروط:

أولاً: أن تكون بكلام الله وبأسمائه وصفاته.

ثانياً: أن تكون بلسان عربي.

ثالثاً: أن يُعتقد أن الرُقية لا تؤثّر بذاتها بل بتقدير الله تعالى.

إنّ ضلالة التمائم والحجب ما زالت فاشية، وتنتشر بين البدو والفلاحين خاصة، وسكان المدن عامة، فأينما ذهبنا نشاهد

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد. وانظر: كتابنا (مصرع الشرك والخرافة ص٢٤٣ وما بعدها).

هذه الشركيات، فبعض سائقي السيارات يضعون الخرزات الزرق في سياراتهم، حيث يُعلقونها أمامهم في السيارة على المرآة!. وبعض يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يضع نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان!. كل ذلك لدفع العين وطرد الشيطان، الذي أصبح مُهيمناً على عقولهم الزائغة بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأُنزل الكتب إلّا من أجل إبطالها والقضاء عليها ليعود للبشرية سمو فطرتها ونقاؤها.

ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعدّاه إلى التقرب بها إلى الله تعالى، فهذا الشيخ صاحب دلائل الخيرات يقول في الحزب السابع، في يوم الأحد ص١١١. ط/ بولاق: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، ما شجت الحمائم، وحمتّ الحمائم، وسرحت البهائم، ونفعت التمائم»[١].

شرك الكُهّان والعرّافين والحجّابين:

ومن الشرك ما يقوم به الكُهّان والحجّابون وأشباههم، من أعمال الدجل، والضلال، كدعوى معرفة علوم الغيب وما يبيّته المستقبل أو الإِخبار بما في ضمير الإِنسان.

وفي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله عن الكُهّان فقال: «لَيسُوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، إنهم يحدّثون أحياناً بالشيء ويكون حقاً!.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ٢٦٦.

فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنّيُّ فيقرّها في أذن وليّه قرّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من أتىٰ عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»[2].

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرّاف اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، أو كمن يدّعي علم الغيب أو يدّعي الكشف[3].

وقد جاء بعض الوفود إلى النبي ﷺ فظنوا أنه ممن يزعمون الاطّلاع على الغيب فخبّأوا له شيئاً في أيديهم وقالوا له: أخبرنا ما هو؟ فقال لهم في صراحة: «إني لستُ بكاهنٍ وإن الكاهن والكَهّانة والكُهّانَ في النار»[4].

تصديق الكُهّان كفر:

إنّ من يصدّق الكُهّان والحجّابين وأشباههم فقد تجاوز الحدود الشرعية وتنكّر للتعاليم الدينية، فقد توعّد الرسول الأعظم ﷺ الذين يلجأون إلى الكُهّان والحجابين ويسألونهم ويصدّقونهم في أوهامهم. ومما قاله عليه السلام: «من أتىٰ عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين

(١) متفق عليه. انظر شرح الطحاوية: ص٥٦٧.
(٢) رواه الأربعة والحاكم وقال: صحيح على شروطهما.
(٣) انظر فتح المجيد: ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٤) راجع الحلال والحرام: ص٢٢٩.

يوماً»[1]. وقال: «من أتىٰ كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»[2].

مما تقدم يتبيّن لنا أن الإِسلام قد نهى وحذّر المسلمين من الذهاب إلى العرافين والكهّان، وكل من كان على شاكلتهم، وذلك واضح مما ورد على لسان رسولنا عليه الصلاة والسلام، الذي أمرنا الله تعالى باتباعه والتزام شرعه الحكيم، فلا ينبغي تصديق هؤلاء الدّجالين، والإِيمان بما يدَّعون من علوم غيبية، لأن هذا يعتبر كفراً بالرسول ﷺ وخروجاً عن القرآن والسنة المطهرة.

ومن المعلوم مما أُنزل على محمد ﷺ أن الغيب لله وحده وأن محمداً ﷺ لا يعلم الغيب ولا غيره من باب أولى، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠][3].

الاستهزاء والسخرية بالإِسلام أو بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته:

إنّ كثيراً من الجهلة قد يهزأون أو يسخرون بالدين أو بالقرآن أو بالله أو بأسمائه وصفاته دون الاكتراث لما يخرج من أفواههم ويظهر من فلتات ألسنتهم، وإن كان ذلك على سبيل المزاح.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البزّار بإسناد جيد قوي. وانظر: (الحلال والحرام ص٢٣٠).
(٣) وانظر: كتابنا (الكشاف الفريد ٢/ ٤٣).

أقول: إن الاستهزاء بالله ورسوله وعدم احترام كتابه وآيته وأسمائه، أو سنة رسول الله ﷺ أو رفض دلالتها أو إلقائها في الأماكن القذرة(١). فلا شك يكفر من يفعل ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رجلًا قال في غزوة تبوك في مجلس يوماً: (ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء». فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكُبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

فالحذر الحذر من الاستهزاء بالله أو برسوله أو بشعائر هذا الدين ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. ومن الجدير بالذكر أن استحلال المنكر والرضى به يعتبر من المنكرات التي يحاربها الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

---

(١) ومن ذلك الاستهزاء باللحية أو الحجاب الشرعي أو السواك أو تطبيق الحدود الشرعية وغير ذلك، فليحذر ذلك. ﴿وما يتذكر إلاّ أولو الألباب﴾.

تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ [سورة النور: ١٩][1].

وقال عليه السلام: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإِيمان»[2].

ولهذا فإن الرضى بالمنكر وحب انتشاره واستحلاله يُعدُّ كفراً بالله رب العالمين وإن زعم صاحبه أنه مسلم، وقد أخبر عليه السلام أن من لم يوجد إنكار المنكر في قلبه ـ وهو أضعف الإِيمان ـ فليس فيه من الإِيمان حبة خردل.

فكيف بمن يبارك بالمنكر ويحب انتشاره أو يسبُّ دينه أو ربه أو رسوله أو جماعة المسلمين لإِسلامها ويستهزىء بالمتمسكين بالسنة ويسخر منهم ويتّهمهم بالرجعية أو يخشىٰ تطبيق الحدود حتى لا تغيب الفواحش والمنكرات التي يهواها، ولا شك أن هذا كله أو بعضه كفر صريح لا يتفوَّه[3] به إلّا فاقد الإِيمان...

الأحلام والرؤيا:

اعلم يا أخي (حفظك الله) أن الأحلام التي تُرى في النوم قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة. فالرؤيا الصادقة أكثر ما تقع لأصحاب النفوس الصافية كالأنبياء والصالحين ومنه رؤيا

(١) وانظر: (الشفاء ٢/ ٥٨٣ وما بعدها) للقاضي عيّاض ـ رحمه الله ـ.
(٢) رواه مسلم وغيره.
(٣) انظر: كتابنا (السنة مفتاح الجنة ص١٦٩ وما بعدها، وجهالات خطيرة ص٣٨ للدكتور عاصم القريوتي (حفظه الله).

النبي ﷺ وهو في المدينة أنه هو وأصحابه يدخلون المسجد الحرام، وقد ذكرها القرآن في سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح: ٢٧].

ومن الأحلام الرمزية ما رآه يوسف عليه السلام رمزاً لإخوته وأبويه وهو ما حكاه القرآن: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٤].

وجاء في آخر القصة حينما دخلوا عليه: ﴿سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [سورة يوسف: ١٠٠].

وقد جاء في الرؤيا الصادقة ما يختصّ برسول الله ﷺ قول عائشة: (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فَلَق الصبح)[1].

وصحَّ في الرؤيا عامة قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[2]. وفي بعض الروايات وصفها بالمبشرات.

والرؤيا الصادقة من غير الأنبياء ثابتة ولا شك في حصولها. وهي لا تختصُّ بأهل الصلاح والتقوى.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٩.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٥.

وفي صدق رؤيا صاحبيّ يوسف ـ عليه السلام ـ ما يرشد إلى أنها قد تقع لغير المؤمنين والصالحين، وهذا مما شهد به الواقع الذي نعلمه من رؤى بعض الناس حتى المعروفين فيهم بالفِسق والفجور، وهي في هذه الحالة تكون كما قال العلماء الشرعيون: (إمّا بشرى بالهداية إلى الإيمان والتوبة أو إنذار من الاستمرار على الكفر والفسق)[1].

ومما يجدر ذكره أن للشيطان قُدرة عجيبة في إزعاج الإنسان في منامه، حيث يريه أحلاماً تزعجه وتضايقه في أثناء نومه[2]..

فقد أخبر الرسول ﷺ أن الرؤىٰ التي يراها المرء في منامه ثلاث: «رؤيا من الرحمن ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا حديث نفس)[3].

وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبّها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، ولْيحدّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله، ولا يذكرها لأحد، فإنّها لا تضرّه)[4].

البهائية ـ النِّحلة المشركة:

بعد انتهاء دور البابية ظهرت البهائية على يد الميرزا

---

(١) انظر: الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٧٦ وما بعدها.

(٢) فالرؤيا قد تكون أثراً لاشتغال النفس بأشياء خاصة في اليقظة ومنها ما يكون أثره الإرهاق أو تعب أو اضطراب في الجهاز الهضمي.
أما الرؤيا الصادقة فهي من فضل الله على الناس، والله ذو الفضل العظيم.

(٣) انظر: (صحيح الجامع ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، وانظر: لقط المرجان ص٢٩٢.

(٤) انظر: كتابنا حقائق الإيمان ص٢٩٣.

«حسين علي بن الميرزا عباس النووي» الذي تسمى بالبهاء، فقد ولد سنة ١٢٣٣هـ ـ ١٨١٧م.

لقد تربّى (الميرزا حسين) مع إخوته في طهران وكان يعاشر الصوفية، ويقرأ كتبهم، وقد دفن في عكا (بفلسطين) سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٨٩٢م. وأوصى بعده بالأمر لولده الذي سماه (عبد البهاء عباس)(١). والبهائية يزعمون أن الإسلام نسخته البهائية كما نسخ الإسلام الديانات السابقة، كما أنهم أسقطوا أركان الإسلام، وادّعى البهاء النبوة، ثم تجاوزها فادّعى الألوهية كما ادعاها سلفه (الباب) من قبل، وكما ادّعى الحاكم الفاطمي الألوهية من قبل. وهذه صفة من صفات دعوات الباطنية الخبيثة. وقد حذّر الرسول ﷺ من أصحاب الدعوات الكاذبة في عدة أحاديث حتى لا ينساق الناس وراء أهل الباطل من المبتدعة والأدعياء. والله تعالى يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

وثبت أن الرسول لله، قال: «... وأنه سيكون من أُمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»(٢).

وعلى الجملة: فدعاة البهائية المشركة منتشرون في دول العالم يبثّون فسادهم وضلالهم بين الناس، بمساعدة الاستعمار

(١) انظر: كتاب البابيون والبهائيون (ص٥٣ ـ ٥٩).

(٢) رواه البرقاني في صحيحه وأبو داود.

والصهيونية، والملاحدة، كل ذلك للكيد للإِسلام، والطعن في عقائد المسلمين. . .

وقد صدرت عدة فتاوى بتكفير معتنقي هذه البدعة الضلالة. وقد أفتى شيخ الأزهر (الشيخ سليم البشري) عندما سُئل عن رأيه في زعيمهم (الميرزا عباس) فأجاب بقوله: (إنه كافر)[1]. فعلى المسلمين الحذر من أتْباع هذه النحلة الدسيسة وضلالها، وعلى علماء المسلمين كشف أعداء الأُمة والتحذير من مكائدهم.

الحركة القاديانية:

تنسب القاديانية الهدّامة إلى مدينة قاديان بالهند بناحية البنجاب ومؤسسها هو (غلام أحمد) المولود سنة **١٢٥٢**هـ، وتنسب إليه ـ أحياناً ـ وتسمى (الأحمدية) وقد ادعى (غلام أحمد) أنه المسيح المعهود والمهدي الموعود في وقت واحد. زعم أنه نزل عليه الوحي.

أن دعوة هذه الفرقة الملحدة مبثوثة في أرجاء العالم وخاصة في الهند والصين وأفريقيا وأمريكا وأوروبا والعراق وسوريا وفلسطين ومصر. وهي تمثّل إسفيناً دفيناً في قلب الأمة الإِسلامية لتدمير العقيدة وتشويه سمعة المسلمين[2].

---

(١) صدرت هذه الفتوى في جريدة مصر الفتاة، في ٢٥ ذي الحجة ١٣٢٨هـ، العدد ٦٩٢. وانظر: كتابنا (مصرع الشرك والخرافة ص٣١٣).

(٢) انظر: كتابنا (الكشاف الفريد ١/٢٦٦) وما بعدها. ورسالة (طائفة القاديانية ص٦٥). للشيخ محمد الخضر حسين.

لقد دعا القاديانيون بتكفير من لم يدخل في نحلتهم، كما حاربوا دعوة الجهاد لأنهم من صنع بريطانيا عدوة الإِسلام.

ومن أعمالهم الهدّامة: تحريف القرآن الكريم، وتكفير المسلمين، وارتباطهم بالحركات الهدّامة... ومن نشاطاتهم: بناء المدارس ودور الأيتام، ونشر المجلات والصحف التي تنشر الفساد في معظم دول العالم[1].

لقد نشط المفكرون المسلمون في مقاومة هذه الدعوة الشاذة، وصدرت فتاوى صريحة بتكفير معتنقيها. فقد أصدرت محكمة (بهادلبور) عام ١٩٣٥م بعد مناقشة دامت عامين كاملين ـ واشترك فيها علماء السنة وكبار القاديانية ـ أصدرت حكمها بكفر القاديانية وعدم حِلّ نكاح المسلمة بالقادياني... إلخ[2].

وعلى المسلمين اليقظة والحذر من مكائد الباطنية والملاحدة والقاديانية... ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

---

(١) مصرع الشرك والخرافة ص٣١٥ ـ ٣١٦، وتاريخ المذاهب الإِسلامية (١/ ٢٥٧).

(٢) نشر ذلك القرار جريدة أخبار العالم الإِسلامي وغيرها من الصحف. وانظر: كتابنا (مصرع الشرك والخرافة ص٣١٧).

الفصل الرابع

العبادات

- دعاء الوضوء والغسل والأذان.
- حكمة استقبال القبلة.
- أركان الصلاة.
- مكروهات الصلاة.
- نصيحة للإمام ابن حنبل.
- حكم تارك الصلاة.
- أنواع الصيام.
- صوم الكفارات.
- الدعاء المستجاب وشروط.
- سيد الاستغفار.
- أحكام الوفاة.
- زيارة القبور.
- القبور والزهور.

العبادات

دعاء الوضوء والغسل والأذان:

من السنة لمن يتوضأ أو يغتسل أو يسمع الأذان أن يدعو بالأدعية المأثورة التالية:

١ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: (أتيت رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فسمعته يقول: اللهم اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي) قلت: يا نبيّ الله لقد سمعتك تدعو بكذا وكذا؟ قال: وهل تراهُنَّ تركنْ من شيء[١].

٢ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضّأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التّوابين، واجعلني من المتطهّرين فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)[٢].

٣ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن

(١) رواه النسائي وابن السُّنّي.

(٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد. انظر: (نيل الأوطار ١/ ٢٠٤).

رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء[1]: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ مُحمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة»[2].

وبعد: فهذه بعض السنن النبوية الشريفة التي هجرها المسلمون في هذه الأيام بالرغم من فضلها العظيم، لذا فعلى المسلم الغيور التقيّد بها ونشرها بين الناس، وفي هذا اقتداء بالنبي ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

حكمة استقبال القبلة:

في استقبال القبلة جهة واحدة يتجه إليها جميع المسلمين في صلاتهم تنظيم لصفوفهم وتوحيد لحركاتهم وتسكين لجوارحهم فتتحد مقاصدهم وتخشع قلوبهم فتكمل الخدمة ويطيب الوقوف بين يديه تعالى، وبذلك يتكاتفون في جميع أعمالهم ويجتمعون على قلب رجل واحد، ففيه برهان صادق على الاتحاد واجتماع الكلمة بخلاف اختلال النظام وتفريق الجهات واضطراب الحركات، ففي ذلك تفريق القلوب والاخلال في الخشوع والعبادة وتمزيق الجماعة.

---

(١) النداء: الأذان. ومعنى الوسيلة: منزلة في الجنة. والفضيلة: المرتبة الزائدة على الخلائق. والمقام المحمود: هو شفاعة النبي ﷺ العظمىٰ يوم القيامة.
وروى الحديث: أحمد والبخاري وغيرهما (صحيح الجامع ٦٤٢٣). ومن السنة لمن يسمع النداء أن يقول مثل ما يقول المؤذن إلا عند الحيعلتين فيقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله). للحديث الشريف: (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن). ثم يصلّي على النبي ﷺ ويسأل له الوسيلة...

(٢) والحديث أخرجه البخاري. [اللؤلؤ والمرجان ٢١٥].

لقد كان رسول الله ﷺ والمسلمون يصلّون إلى بيت المقدس، ومضىٰ على ذلك ستة عشر شهراً بعدما قدم المدينة، وكان رسول الله ﷺ يُحبّ أن يصرف إلى الكعبة، وكان المسلمون العرب ـ قد رضعوا بلبان حبّ الكعبة وتعظيمها، وامتزج ذلك بلحومهم ودمائهم لا يعدلون بالكعبة بيتاً، ولا بقبلة إبراهيم وإسماعيل قبلة، وكانوا يحبّون أن يصرف إلى الكعبة، وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس محنة للمسلمين، ولكنّهم قالوا: سمعنا وأطعناه وقالوا: (آمنا به كل من عند ربنا)، فلم يكونوا يعرفون إلّا الطّاعة لرسول الله ﷺ والخضوع لأوامر الله، وافقت هواهم أم لم توافقها، واتفقت مع عاداتهم أم لم تتفق.

فلما امتحن الله قلوبهم للتّقوىٰ وإستسلامهم لأمر الله، صرف رسوله والمسلمين إلى الكعبة يقول القرآن العزيز:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٤٣][١].

وانصرف المسلمون إلى الكعبة مطيعين لله ولرسوله، وصارت قبلة المسلمين إلى يوم القيامة أينما كانوا ولّوا وجوههم شطرها[٢].

---

(١) وانظر: السيرة النبوية ص٢٣٣ وما بعدها لأبي الحسن الندويّ.

(٢) راجع الصحاح الستة، وتفسير الآيات التي نزلت في تحويل القبلة في كتب التفسير.

أركان الصلاة:

اعلم أيها المؤمن أن للصلاة أركاناً هي فرائضها التي لا تصح إلا بها ومعرفتها في الجملة ضرورية، وذلك للتفرقة بينها وبين ما ليس فرضاً من أجزاء الصلاة، إذ الفرض لا بد من الإِتيان به وإلّا بطلت الصلاة وأما غير الفرض من السنن الواجبة إذا تُرك سهواً فإنه يجبر بالسجود للسهو.

وفيما يلي أركان الصلاة وفرائضها:

١ ـ النية: وهي قصد الصلاة، وتعينُّها بالقلب.

٢ ـ تكبيرة الإِحرام: الله أكبر، وأنت قائم، معتدل.

٣ ـ قراءة الفاتحة: الحمد لله رب العالمين إلى آخرها.

٤ ـ الركوع: انحناء الظهر، ووضع اليدين فوق الركبتين، مع الاعتدال والطمأنينة فيه.

٥ ـ الرفع من الركوع قائم، معتدل، مطمئن. (مراعاة الفصل بين الركوع والسجود).

٦ ـ السجود: وضع الجبهة والأنف على الأرض مع الكفين، والركبتين، وأطراف أصابع الرجلين في اعتدال، وطمأنينة.

٧ ـ الرفع من السجود: جالس، معتدل، مطمئن.

٨ ـ السلام عن اليمين ثم عن الشمال.

هذه جملة الأركان التي هي فرائض الصلاة التي متى ترك منها فرض بطلت الصلاة إلّا أن يتدارك، ويؤتى به.

مكروهات الصلاة:

هناك أمور مكروهة تقع من المصلّي أثناء صلاته قد تنقص من أجره، ولكنها لا تبطل الصلاة، لذلك ينبغي الحذر منها وهي:

١ ـ رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة(١)، ويجب على المصلي أن ينظر إلى مكان سجوده.

٢ ـ الالتفات بالرأس أو بالبصر فيها(٢).

٣ ـ التخصّر: أي وضع اليد على الخاصرة(٣).

٤ ـ كف ما استرسل من الشعر أو الكم أو الثوب(٤).

٥ ـ تشبيك الأصابع، أو فرقعتها في الصلاة(٥).

٦ ـ مسح الحصا للسجود أكثر من مرة(٦).

٧ ـ قراءة القرآن في الركوع أو السجود(٧).

---

(١) لحديث: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السَّماء في الصلاة لينتهن عن ذلك أو لتخطفَّن أبصارهم). رواه البخاري ومسلم.

(٢) لقوله ﷺ: (هو، أي الألتفات، اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد). رواه البخاري.

(٣) لقول أبي هريرة: (نهى رسول الله أن يصلي الرجل مختصراً، والمرأة في هذا كالرجل)، والحديث رواه الشيخان.

(٤) لقول رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، ولا أكف ثوباً ولا شعراً» رواه مسلم.

(٥) لحديث: «لا تفقع أصابعك وأنت في الصلاة» رواه ابن ماجه، وانظر؛ [نيل الأوطار ٢/ ٣٧٣].

(٦) لحديث: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى) وقوله: (إن كنت فاعلًا فمرة واحدة) رواه أبو داود وغيره.

(٧) لحديث: (نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً) رواه مسلم.

٨ ـ اللعب باللحية، أو الخاتم، أو الثوب وهو يصلي[١].

٩ ـ مدافعة الأخبثين: البول، أو الغائط[٢].

١٠ ـ الصلاة بحضرة الطعام.

١١ ـ الإقعاء: أن يلصق اليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب[٣].

نصيحة للإمام ابن حنبل:

ومما لا يخفى على العاقل المتبصّر أن الصلاة هي عمود الإسلام، وأن من حافظ عليها وأداها على شروطها وفق المنهج الرباني المرسوم لها، أمِن عاقبة أمره؛ لأن في صلاحها وقبولها صلاح للعبد وقبول له عند الله سبحانه لذلك فقد اهتم بها علماء المسلمين واعتنوا بأمرها وهذا ما نجده في نصيحة الإمام ابن حنبل[٤] التي نقتطف منها الآتي:

(جاء في الحديث: أن العبد إذا افتتح الصلاة استقبله الله بوجهه فلا يصرفه عنه حتى يكون هو الذي ينصرف أو يلتفت يميناً وشمالًا)[٥].

وفي الحديث: أن العبد ما دام في صلاته فله ثلاث

---

(١) لحديث: (اسكنوا في الصلاة) رواه مسلم.

(٢) لحديث: (لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان) رواه مسلم.

(٣) لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع)، رواه مسلم..

(٤) هو الإمام المجدّد أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١) وهو أحد المجتهدين الأربعة وقد تعرض لعدد من المحن، وسجن وقد عصمه الله من المبتدعة..

(٥) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

خصال[1]: البرّ يتناثر عليه من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملائكة يحفون به من لدن قدميه إلى عنان السماء، ومُناد ينادي لو علم العبد من يناجي ما انفتل.

أما سمعت يا أخي قول العبد الصالح؟ عجبت للنار كيف ينام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها، فوالله لئن كنت خارجاً من الطلب لقد هلكت وعظم شقاؤك، وطال حزنك وبكاؤك غداً مع الأشقياء المعذبين، ولقد كنت تزعم أنك هارب طالب، فأغذّ[2] في ذلك على قدر ما أنت عليه من هذا الخطر ولا تغرّنك الأماني.

ثم قال: وقد أصبح الناس في نقص عظيم شديد من دينهم عامة، وصلاتهم خاصة، فأصبح الناس في صلاتهم ثلاثة أصناف: صنفان لا صلاة لهم. أحدهم: الخوارج والروافض، وأهل البدع يحقّرون الصلاة في الجماعات ويحقّرونها مع المسلمين في مساجدهم بشهادتهم علينا بالكفر وبالخروج من الإِسلام.

والصنف الثاني: من أهل اللهو واللعب، والعكوف في هذه المجالس الرديئة على الأشربة والأعمال السيئة.

والصنف الثالث: هم أهل الجماعة الذين لا يدعون حضور الصلاة مع ابتدائها ومشاهدتها مع المسلمين في مساجدهم، فهؤلاء خير الأصناف الثلاثة. وهؤلاء مع خيرهم

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي.
(٢) اغذّ: أسرع في السير.

وفضلهم على غيرهم قد ضيّعوها ورفضوها إلا ما شاء الله. لمسابقتهم الإِمام في الركوع والسجود والخفض، والرفع أو مع فعله، وإنما ينبغي لهم أن يكونوا بعد الإِمام في جميع حالاتهم[(١)].

حكم تارك الصلاة:

نظراً لأهمية هذه المسألة فقد رأيت أن أُبيّن الحُكم الشرعي فيها، وذلك لأن كثيراً من الناس يجهلون حكم تارك الصلاة، لذلك تراهم يستهترون بها فلا يؤدونها مع أن تاركها كافر ـ والعياذ بالله ـ بدليل الكتاب والسنة وقول الصحابة.

أما في القرآن فقوله تعالى عن المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة: ١١].

وأما من السنة فقول النبي ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[(٢)].

وقوله في حديث بريدة رضي الله عنه في السنن: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

أما أقوال الصحابة: قال أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ: (لا حظّ في الإِسلام لمن ترك الصلاة) والحظ: النصيب.

---

(١) انظر: الصلاة وما يلزم فيها ص١٩ ـ ٢١ للإِمام أحمد بن حنبل، مطبعة الإِمام، القاهرة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وإذا تبيّن لك (يا أخي) أن تارك الصلاة كافر، فإنه يترتب عليه أحكام المرتدين ومن هذه الأحكام المترتبة على المرتد كتارك الصلاة. نذكر ما يلي:

١ ـ أنه لا يصح أن يُزَوجْ فإن عقد له وهو لا يصلي فالنكاح باطل ولا تحل له الزوجة. لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠].

٢ ـ أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة...

٣ ـ إن هذا الرجل الذي لا يصلي[١] إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته؛ لأنها حرام، ولو ذبح يهودي أو نصراني فذبيحته يحل لنا أن نأكلها، فيكون ذبحه أخبث من ذبح اليهود والنصارى[٢].

٤ ـ إنه لا يحل للرجل أو المرأة أن يدخلا مكة أو حدود حرمها. لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٢٨].

٥ ـ أنه لو مات أحد من أقارب الزوج أو الزوجة فلا حق

(١) من المعلوم أن الحكم الذي يترتب على الرجل الذي يترك الصلاة يترتّب أيضاً على المرأة. فالمرأة التي لا تصلي وهي في عصمة زوجها المسلم هي كافرة ولا يحلّ لها أن تبقى في عصمة الرجل المسلم. وقس على هذا سائر الأحكام...

(٢) المحلّى ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٤٢ ونيل الأوطار ١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣ والزواجر ١/ ١٣٨ وفقه السنة ١/ ٩٢ ـ ٩٥ وغيرها.

لهما في الميراث. فلو مات عن ابن له لا يصلي (الرجل مسلم) يصلي والابن لا يصلي، وعن ابن عم له بعيد (عاصب) فإن ابن عمه البعيد هو الذي يرثه دون ابنه لقول النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»[1].

٦ ـ أنه إذا مات لا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه، ولا يدفن مع المسلمين؟! بل يخرج به ويحمل إلى الصحراء، ويحفر له، ويدفن بثيابه، لأنه لا حرمة له[2]...

٧ ـ أنه (تارك الصلاة) يحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأئمة الكفر، (والعياذ بالله) ولا يدخل الجنة، ولا يحل لأحد من أهله أن يدعو له بالمغفرة والرحمة، لأنه كافر، لا يستحقها. لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

هذا هو حكم تارك الصلاة، (رجلًا أو امرأة). فعلى من ترك الصلاة أن يحذر عاقبة أمره فالعمر قصير، ونذكّره بقوله تعالى لعله يتذكّر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة طه: ٧٤].

أنواع الصيام:

الصيام في الإسلام من حيث دلالته الشرعية نوع واحد إذ هو الإمساك عن المفطّرات، من طعام وشراب وغيرها مما يفسد

---

(١) متفق عليه.

(٢) وعلى المسلم أن يعلم أنه لا يحلّ لأحد مات عنده ميّت وهو يعلم أنه لا يصلي أن يقدّمه للمسلمين ليصلوا عليه.

الصيام مع اقتران النيّة به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولكنه من حيث الفرضية وعدمها يتضمّن خمسة أنواع تحدّث عنها جميعها القرآن الكريم حديثاً مجملًا يقوم على المزج بين الأحكام التكليفية ومعاني الترغيب والترهيب، وهي ظاهرة ينفرد بها الكتاب العزيز، وتضفي على أحكامه طابعاً خاصاً يتميّز بالهيبة والمراقبة ورعاية أدائها، إيماناً بها وخشية من الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وإلى القارىء الكريم نذكر أنواع الصيّام الخمسة وهي:

١ ـ صيام الفرض ٢ ـ صيام القضاء ٣ ـ صيام الكفارة

٤ ـ صيام النذر ٥ ـ صيام التطوع.

وصيام الفرض هو صيام شهر رمضان وقد فرضه الله على المسلمين في السنة الثانية للهجرة، وعلى الراجح في شهر شعبان من تلك السنة[١]. وقد ثبت فرضية هذا الصيام بالكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

صوم الكفارات:

إن صيام الكفارة[٢] يلزم في الأمور الآتية:

(١) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

(٢) تكفير الشيء: ستره، وسمي المزارع كافراً، لستره البذر بالتراب، قال تعالى: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾، فالكفارة سميت بذلك لأنها تستر الذنوب، أي تمحوها.

١ ـ ارتكاب بعض المحظورات في فترة الإحرام وعدم قدرة المتمتع على تقديم هدي لإعساره، وكذلك المحصر: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾ [سورة البقرة: ١٩٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)﴾ [سورة المائدة: ٩٥].

٢ ـ القتل الخطأ وما في حكمه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)﴾ [سورة النساء: ٩٢].

٣ ـ الحنث في اليمين: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المائدة: ٨٩].

٤ ـ الظهار: وهو قول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة المجادلة: ٣ ـ ٤].

٥ ـ الإفطار العمد في رمضان بدون عذر في رأي بعض الفقهاء، لأن الذي يتعمّد الإفطار قد ارتكب إثمين: إثم العمد، وإثم ضياع يوم مفروض، فوجب تشديد الجزاء عليه حتى لا يعود إلى ما فعله مرة أخرى، وحتى يبقى لشهر الصيام حرمته وقدسيته، فكان عليه مع القضاء الكفارة.

أما الإفطار بالجماع فقد أَطبقت كلمة الأئمة على أنه يوجب القضاء والكفارة بشرط أن يكون الصائم عامداً مختاراً عالماً بالتحريم.

والكفارة الواجبة في الإفطار العمد هي: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

الدعاء المستجاب وشروطه:

أمر النبي ﷺ بالإكثار من الدعاء وبخاصة في السجود وقال: (إنه قَمِنٌ أن يستجاب لكم)[1]. والدعاء معناه: الرغبة إلى الله ما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال[2]. والدعاء هو العبادة. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

والدعاء: دعاء المسألة وطلب حصول ما ينفع أو دفع ما يضر، (كاللهم ارحمني، واغفر لي، وكّره إليَّ الكفر والعصيان والفسوق، وأزل همي وفرّج كربي، واقل عثرتي، واستر عورتي، وآمن روعتي).

وأفضل الدعاء ما كان من تعليم الله لأنبيائه، والصالحين من عباده، كالذي ورد في القرآن الكريم. أو كان من تعليم رسولنا المصطفى ﷺ كالذي ورد في الأحاديث الصحيحة..

مَنْ الداعي المُجاب؟!

الله تعالى يُجيب دعوة عباده المذكورين في آخر سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]. إلى آخر أما وصفهم الله تعالى به، من قيام الليل وإحيائه بالصلاة

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٩٦).

(٢) فالدعاء نوع من العبادة كالذبح، والنذر فلا يُدعى أو يستغاث بغير الله ومن يدعو أو يستغيث بغير الله فقد أشرك شركاً أكبر، فليحذر ذلك.

والذكر، وقراءة القرآن، ومذاكرة العلم، والمحافظة على الصلاة في أوقاتها، والخوف من عذاب جهنم، واعتدالهم في إنفاق الأموال، وإخلاصهم في الطاعة والتوحيد، والتزامهم حدود الله تعالى، فلا يقتلون، ولا يزنون، ولا يشهدون الزور، ولا يقضون أوقاتهم في اللغو أو الباطل، وهم الذين يتأثرون بوعظ القرآن، ويسألون الله الذرية الصالحة، والقدوة الطيبة. عباد الله الذين حاربوا الشيطان فانتصروا عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [سورة الإسراء: ٦٥].

ومن الدعاء المجاب:

أن يدعو المسلم بأحسن الأسماء كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. وأن يخلص النية، ويظهر حاجته إلى مولاه، ويقبل بقلب يقظ، ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، وأن يكون طعامه طيباً، قال الرسول الكريم ﷺ فيما رواه الحاكم: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإِجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه»[1].

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين». فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ [سورة المؤمنون: ٥١][2]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟

(١) رواه الترمذي والحاكم (الجامع الصغير).

(٢) وانظر: الأجوبة النافعة ص٢٣٥ ـ ٢٣٦.

لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب، يا رب،. ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟.

ومن الشروط التي لا يستعجل العبد فيها أو يستبطىء الإجابة، فيترك الدعاء.

روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي». ومما يقرّب الإِجابة أن يصادف وقتاً من أوقات الإِجابة الستة وهي:

١ ـ الثُّلث الأخير من الليل. ٢ ـ عند الأذان للصلاة.

٣ ـ بين الأذان وإقامة الصلاة. ٤ ـ بعد الصلوات الخمس المفروضة.

٥ ـ آخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم. ٦ ـ عند صعود الإِمام يوم الجمعة على المنبر حتى تنتهي الصلاة.

ومنها: أن يصادف خشوعاً في القلب، وإنكساراً بين يدي الرب، وذلّاً وتضرّعاً، ورقة، إذا استقبل الداعي القبلة، وبدأ بحمد الله، والثناء عليه، وتوسل إلى الله بأسمائه الحُسنى، وقدم بين يدي دعوته صدقة. وأن يتمثل دعوة ذي النون يونس ـ عليه السلام ـ إذ دعا وهو في بطن الحوت بـ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧][١].

(١) وانظر: الجواب الكافي ص٨ ـ ٩ للإمام ابن القيّم ط٢ سنة ١٣٩٧هـ.

وقال نبينا ﷺ في ذلك: «إنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[١] فذلك دعاء يفرج الكرب ويزيل الهم، وكما كان ﷺ يقول عند الشدائد: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم)[٢].

والدعاء كالسلاح، والسلاح بضاربه وحامله، فإذا كان السلاح ماضياً والساعد قوياً، والمانع مفقوداً حصلت له هلكة العدو، وهكذا الداعي إذا ضعفت نفسه، أو فسد دعاؤه، أو ثمّة مانع من الإجابة لم يحصل التأثير[٣]، والدعاء سبب من أسباب الإجابة. كالطعام للشبع، والماء لإذهاب الظمأ، والبذر للزرع، وإزهاق الروح بالذبح، ودخول الجنة بالأعمال الصالحة... أسأل الله العظيم أن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن يرحمنا برحمته إن يستجيب لنا دعاءنا، وإنه وحده القادر على ذلك، إنه سميع مُجيب..

سيد الاستغفار:

قال الرسول ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء[٤] بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت»[٥].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري ومسلم. وانظر الأجوبة النافعة ص٢٣٧.
(٣) الجواب الكافي ص١٢.
(٤) معنى أبوء بنعمتك: أي أعترف وأُقر.
(٥) رواه البخاري.

هذا الحديث جامع مانع، وهو أفضل الأُدعية، ففيه الإِقرار بالأُلوهية لله وحده، والاعتراف بأنه الخالق. وفيه إضافة النعماء إلى خالقها وإضافة الذنب إلى العبد رغبة في المغفرة، واعتراف بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله..

كفارة المجلس:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»[1].

أحكام الوفاة (الميت):

اعلم أَخي القارئ (حفظك الله) أن للموت أحكاماً فهاك جملة منها:

١ ـ يُسنُّ عيادة المريض وزيارته وهي من حق المسلم على أخيه المسلم.

٢ ـ إذا احتضر المريض يستحب توجيهه إلى القبلة، وتلقينه لا إله إلا الله محمداً رسول الله. وتغميض عينيه، وتغطيته بثوب، وأن لا يقال عنده إلا خيراً نحو «اللهم اغفر له وأرحمه».

٣ ـ يجب تغسيل الميت غسلًا كغسل الجنابة، ثم يغسل

---

(١) رواه الترمذي. وقال حديث حسن.

جسمه بالماء والصابون حتى ينظف، ثم يحفظ بأن يوضع شيء من الحنوط على مواضع السجود منه.

٤ ـ يجب تكفين الميت فتكفن المرأة في خمس لفائف، والرجل في ثلاث[١].

٥ ـ لا تغسل المرأة إلا المرأة، ولا بأس أن يغسّل الرجل امرأته.

٦ ـ إذا ماتت امرأة بين رجال ولا نساء معهم، أو العكس يُيَمم الميت بمسح وجهه، وكفيه بالتراب، ويصلى عليه، ويُدفن.

٧ ـ لا تشيّع المؤمنة الجنازة لقول أُم عطية: نهينا أن نشيّع الجنائز ولم يُعزم علينا)[٢].

٨ ـ تصلي المرأة على الجنائز كما يصلي الرجل، وتؤجر كما يؤجر، والصلاة على الميت فرض كفاية، إذا حضرها البعض سقط الإِثم عن البعض الآخر الذي لم يحضر.

٩ ـ ويجب دفن الميت أي مواراته بالتراب بعد غسله، وتكفينه، والصلاة عليه[٣]، ويضع المرأة في قبرها أحد محارمها إن وجد وإلا فليضعها غيرهم ولا حرج.

---

(١) على وجه الإِستحباب، وإلا فالواجب ستر المتوفي بثوب سابغ يغطى به بحيث لا يبدو رأسه ولا رجلاه. وما زاد على الثوب فهو حسن والنبي ﷺ كفن في ثلاث ثياب بيض فلذا يستحب الأبيض في الكفن.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم ونصه: (كنا نُنهىٰ عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا).

(٣) ويجب التنبّه لبعض المنكرات والبدع المحدثة أثناء تشييع الجنائز، كتزيين الجنائز وحمل الأعلام والأكاليل والزهور وصور الميت أمام الجنازة وغيرها من البدع كحمل الميت على مدفع... «مضار الابتداع لعلي محفوظ».

١٠ ـ يستحب تعزية أهل الميت بالدعاء للميت ولهم بنحو قول: اعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك. ويردّ عليه المعزي: آجرك الله ولا أراك مكروهاً.

١١ ـ تحرم النياحة على الميت وكذا خمش الوجوه، وشق الثياب[١]، ويجوز البكاء بدون رفع صوت، وكذا حزن القلب كقول الرسول ﷺ: «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى الرب»[٢].

١٢ ـ يحرم الحداد على الميت فوق ثلاث ليال[٣] إلا على زوج فأربعة أشهر وعشراً. والحداد أن تلزم المحدة بيتها فلا تفارقه إلا من ضرورة، ولا تكتحل، ولا تلبس زينة، ولا تتخضّب بالحناء حتى تنقضي عدتها.

زيارة القبور:

أمر الشارع الحكيم بزيارة القبور للاتعاظ والاعتبار، وفي ذلك خير، وإحسان للأحياء، والأموات، إذ ينتفع الميت بالدعاء والسلام عليه والاستغفار له. عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) لحديث: (إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة) رواه الشيخان.

والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصائب، والحالقة: التي تحلق شعرها عند المصائب، والشاقة: التي تشق ثيابها في المصائب.

(٢) لحديث: (إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضي ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون). رواه الشيخان.

(٣) الحديث: (لا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحدُّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً). رواه الشيخان.

(إن النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم، فسألته عن ذلك، فقال: إني أُمرت أن أدعو لهم)[1].

ومن الجدير بالذكر: أن كثيراً من المسلمين يجهلون أحكام زيارة القبور ـ الشرعية ـ ويقعون في المنكرات والضلالات التي نهىٰ عنها الشرع الحنيف، وقد يقع أحدهم في الشرك بغير علم، وهذا ما عمّ بلاؤه واستعصى داؤه، فيذهب بعض الزوّار لمناجاة الموتى والتوسل بهم لقضاء الحوائج وتحقيق المطالب، وهذا ما حذّر منه الإِسلام، لأن التوسل والدعاء والسؤال من حقوق الله وخصائصه سبحانه وتعالى، والله تعالى وحده هو القريب، والسميع للشكوى والقادر على الإِجابة، ولا يستطيع الأموات ولا الأحياء تحقيق شيء منها.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[2].

وسؤال غير الله كدعائه، هو شرك بالله لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: (الدعاء هو العبادة). ومن البدع المنكرة ما يفعله بعض ما لا علم لهم من المسح بالأضرحة والقبور وتقبيلها والطواف حولها، وتقديم النذور والهدايا إليها، وهذا ونظائره من صنيع أهل الكتاب وأشباههم من المبتدعة والمقلّدين الذين زينوا للكثير من المسلمين هذه المفاسد فاستحوذت عليهم وأسرتهم الأوهام فباؤوا بالويل والخسران[3].

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين.
(٢) فقرة من حديث شريف. رواه أحمد والترمذي. صحيح: (المشكاة ٣/٤٥٩).
(٣) قارن بكتابنا (مصرع الشرك والخرافة ص٢٩٢ ـ ٢٩٣).

إن زيارة القبور سنة مشروعة، شرعها نبي الإِسلام بقوله: (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة)[1].

هذه بعض الأدعية المشروعة التي علمها النبي لأصحابه ليدعوا بها عند زيارة القبور، وقد عمل بها الصحابة والتابعون من بعدهم.

أما قراءة القرآن عند القبور فلم يثبت شيء من ذلك في السُنَّة أو عن سلف هذه الأمة والأدعية المتقدمة خير دليل على ذلك.

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عما تقول إذا زارت القبور، فعلّمها السلام والدعاء، ولم يُعلّمها قراءة القرآن أو (سورة الفاتحة) ـ مثلًا ـ كما لم يعرف عن أحد من الصحابة الكرام أنه كان يقرأ شيئاً من القرآن في زيارته للقبور...

ولم تكن قراءة القرآن عند القبور المحظور الوحيد الذي يقع، بل تعدّى الأمر ذلك حتى بلغ السيل الزُّبىٰ، فمن جملة المحظورات وبخاصة في أيام الأعياد حيث اختلاط الرجال بالنساء وتوزيع الحلوى والشراب لزوّارها، وشدّ الرحال إليها وكذلك الطواف حولها والسجود لها والتبرّك بها، والتوسّل بأصحابها الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً، فضلاً عن نفع غيرهم من الناس، وفاقد الشيء لا يعطيه...!!؟

---

(١) رواه مسلم.

هذه بعض المنكرات الشنيعة والشركيات الخبيثة التي يزاولها بعض منتسبي الإِسلام بلا منكر أو نكير، وكأنها شرع من عند الله... وإلى الله المشتكى!!.. ولا شك أن المسؤولية الكبرى يتحمّلها الحكام والعلماء لعظم مسؤوليتهم إذ لا يسوّغ لهم السكوت على الباطل، ومما يؤسف له أن الكثير من العلماء، وبخاصة النفعيين منهم لم يعد يهمهم سوى إرضاء الغوغاء والجهلة، فهم يسكتون عن كل ذلك من أجل مصالحهم الدنيوية، مع أنَّ الله قد أخذ عليهم الميثاق ليبيّنوا الحق للناس ولايكتمونه، وإلا لعنهم الله ولعنهم اللاعنون؟! وإني استصرخ ضمائر المسلمين الحيّة وبخاصة المسؤولين من الحكّام والأمراء والعلماء وكل قادر وغيور لمنع المفسدين من ارتكاب المحرمات، وإشاعة المنكرات حول القبور، اللهم إن ديننا الحنيف بريء من أعمال هؤلاء كبراءة الذئب من دم يوسف.

وكان النهي في بداية الدعوة والمسلمون على قرب عهد بالجاهلية، وذلك سدّاً للذرائع، ولما عرفوا أحكام الإِسلام، وعمرت قلوبهم بالإِيمان، أذن لهم الشارع الحكيم بزيارتها...

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ زار قبر أُمه فبكى وأبكى من حوله، فقال النبي ﷺ «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكّر الموت»[1].

---

(١) رواه مسلم.

وبمناسبة الكلام عن زيارة القبور، أذكر بعض آداب زيارة قبره ﷺ تنبيهاً وتحذيراً مما يقع فيه العامة.

جاء في الفتاوى الهندية: (وزائر قبره ﷺ يقف عند رأسه مستقبل القبلة ـ أي لا مستقبل القبر الشريف ـ ويدنو ثلاثة أذرع أو أربعة، لا يدنو أكثر من ذلك، ولا يضع يده على جدار التربة! ثم يقول: (السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله، قد بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وجاهدت في أمر الله، حتى قبض روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى الله عليك أفضل الصلاة وأزكاها، اللهم اسقنا من كأسه وارزقنا شفاعته)[1].

ومن الأدعية المشروعة التي يدعو بها زائر القبور نذكر ما يلي:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ (تعني زيارة القبور) قال: (قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[2].

وعنها رضي الله عنها أيضاً قالت: (كان رسول الله ﷺ، يخرج من آخر الليل فيقول: السلام ـ أهل ـ دار قوم مؤمنين،

---

(١) الفتاوى الهندية (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم وغيره، انظر في (المشكاة ١/ ٥٥٣).

وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد)[١].

القبور والزهور:

أودّ أن أحدّثك (أخي القارئ) عن بعض المعتقدات السائدة لدى جمهور المسلمين وبخاصة ما يتعلق منها بوضع الزهور على القبور. فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ مرّ على قبرين فقال: «إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول). ثم أخذ النبي ﷺ جريدة رطبة (يعني جريدة نخل) فشقها نصفين ووضع على كل قبر واحداً منهما. ثم قال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[٢].

هذا الحديث يحتج به بعض الناس إذا سئلوا عن وضع أكاليل الزهور أو غرس الأشجار على القبور والأضرحة.

لكن لننظر معنى هذا الحديث. فالرسول ﷺ علم بإعلام الله له ـ أعني بالوحي، أو بطريق آخر خاص به ـ علم أن صاحبي القبرين يعذبان، ثم هو أراد أن يشفع لهما لمدة محدّدة ليخفّ العذاب عنهما.

وهذه المدة هي إلى أن تجف أوراق الجريدتين. وهذا المعنى لا يمكن حصوله من غير النبي ﷺ لأنه لا يعلم أحد من

(١) رواه مسلم، ومعنى الغرقد: أي مقبرة المدينة.
(٢) صحيحا البخاري ومسلم (مشكاة المصابيح ١/ ١١٠).

سائر الناس بحال صاحب القبر المعين أَنه في نعيم أو في عذاب.

لننظر الآن في مقصد من يضع الزهور علىٰ القبر. ما مقصده؟ هل مقصده أن يخفف عنه من العذاب إن كان في عذاب؟ إن الذين يضعون الزهور إنما يقصدون إظهار كرامة الميت عليهم، ومحبته عندهم، وبيان امتيازه على من لم توضع الزهور على قبورهم.

وبعبارة أخرى هو تعظيم صاحب ذلك القبر. وهناك طرق أخرى لذلك التعظيم يتبعها بعض الناس كأن يبني القبر ويرفع بنيانه، وكأن يكتب عليه عبارات الثناء على الميت وبيان مآثره، وكأن يجعل عليه قبة، إلى غير ذلك.

فما قيمة ذلك كله بالنسبة للميت، ومانفعه له؟ إن الحقيقة بالنسبة إلى الميت هي أنه قد أفضى إلى ما قدّم من عمل صالح أو عمل سيء. وإنه قد التقى بعمله وخلا به خلواً كاملًا بحيث لا يدرك أي شيء مما حوله إلا عمله. وسواء كان ذلك بنياناً على قبره أو زهراً أو أي شيء آخر!!

وفي الحديث: (يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله)[1]. إذن كل ما يجعل على القبر مما يتكلفه الناس لا ينتفع به الميت. إن كان الميت عزيزاً ولله محسناً لم يزده عزة وإحساناً، وإن كان الميت حقيراً

---

(١) صحيح البخاري: ١٤/١٥٣.

ومسيئاً لم يَمحُ ذلك حقارته ولا إساءته. فليس بعد الموت إلا الحقائق، سواء كانت حلوة أو مرّة.

فما الفائدة إذن في تلك الجهود التي تُبذل لرفع البنيان على القبور وتشييدها وتفخيمها؟ لا شيء.

ولذلك كان أصلح الطرق طريقة الشريعة الإسلامية في ذلك. وهي ما ورد عن النبي ﷺ أنه: «نهى أن يُجصَّص القبر وأن يكتب عليه وأن يبنىٰ عليه»[1].

وكان النبي ﷺ إذا دفن أحداً من أصحابه لا يرفع القبر إلا بترابه الذي خرج منه. ثم لا يزيد على ذلك شيئاً إلا بأن يعلّمه بأن ينصب عليه علامة يعرف بها قبر من ذلك القبر.

فإذن نرى الأدلة الشرعية متضافرة على منع وضع الزهور وغرس الأشجار على القبور. والله أعلم وأحكم[2].

---

(١) رواه أحمد ومسلم (فيض القدير ٦/٣٠٩) وليس عندهما (أن يكتب) وهي في سنن أبي داود.

(٢) انظر: كتاب (الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة) ١٤٦ وما بعدها.

الفصل الخامس

مسائل فقهية

- مكيدة تحديد النسل.
- مسوغات لتنظيم النسل.
- أحكام الحيض والنفاس.
- ما يمنع بالحيض والنفاس.
- اسقاط الحمل.
- التلقيح الصناعي.
- حكم الشريعة في التلقيح.
- نقص الكيل والميزان والذراع.
- الاحتكار.
- أكل الربا.
- السمسرة والتقسيط.
- التماثيل والتصوير.
- حرمة التصوير.
- الصورة التي لا ظل لها.
- أحكام الصور والمصورين.

- زكاة الحلي وعروض التجارة.
- صبغ الشيب.
- حكم اللحية.
- المسابقة والمراهنة.
- حكم الغش في الامتحانات.

مسائل فقهية

نتناول في هذا الفصل بعض المسائل الفقهيّة التي تمسّ الحاجة إليها وهي مرتّبة كما يلي:

مكيدة تحديد النَّسل:

لم يترك أعداء الإِسلام باب سوء إلا وقد فتحوه ليلجه أبناء الإِسلام، وقد أفلحوا في كثير من دسائسهم هذه، وكما هو معلوم فقد اتخذ أعداءُ هذه الأمة أسلحة عديدة لمحاربة اتباعها، فمرة يستخدمون الجيوش والغزو المسلح، وتارة الغزو الفكري وأدواته المختلفة، وتارة يفتعلون الأكاذيب ويشوّهون الحقائق وينشرون الفساد والضلال والإِباحية.

ولا عجب فقد استخدم دعاة الباطل أَخسّ الوسائل وأخبثها في حروبهم ـ المتعددة الجوانب ـ لتخريب الإِسلام وتضليل أبنائه، وقد تبنّى الغزاة نظريات اقتصادية ثم قذفوها في وجوه المسلمين، فتعلق بها المقلدون للغرب، ودعاة الأخذ بما لدى الغربيين من حضارة ونظريات جديدة، وروّجوا لها بين المسلمين عن طريق التناسل، وقد سمّوا هذه الضلالة الجديدة تحديد النسل. . .

وقد حاول الغربيون ـ أصحاب النظريات الاقتصادية، ومبتكرو ضلالة تحديد النسل ـ أن يوهموا أبناء الشرق ـ المسلمين خاصة ـ بصدق دعواهم وحسن نواياهم، فضربوا

الأمثلة وقدموا الحجج والنظريات المختلفة لتأييد دعواهم ومع ذلك فلم تثبت لمعارضتها لطبائع الأشياء، وبالتالي فهي تصطدم مع تعاليم الإِسلام وعقائد المسلمين[1].

وقد تسابقت أجهزة الدوائر المعادية للإِسلام بدفع عملائها، لنشر هذه الفكرة الخبيثة في معاقل المسلمين، وتشجيعهم على الأخذ بها، بتدبير محكم وخطط بالغة الكيد...

والمقصود بتحديد النسل: هو الإِيقاف عن الإِنجاب البتّة، ويكون هذا بمنع الحمل، وقد حرّمه الإِسلام، وهو بخلاف تنظيم النسل، الذي يعني الحمل والإِنجاب على فترات منتظمة، وكما هو معلوم فقد حثّ الرسول ﷺ على الزواج من المرأة الودود الولود ليكاثر الأمم بالسلالات الإِسلامية. فقد قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[2] إن حمل أُمة الإِسلام أو تشجيعها على تطبيق فكرة تحديد النسل، جريمة بحق هذه الأمة لا يقوم بها إلا جاهل غافل عن النتائج أو ملحد مأجور.

مسوغات لتنظيم النسل:

اهتم الإِسلام ببقاء النوع الإِنساني واستمراره اهتماماً كبيراً، كما حبَّب في كثرة التناسل وبارك المواليد، وأثنىٰ على المرأة الولود الودود، ومن جهة ثانية رخّص الإِسلام في تنظيم النسل، إذا دعت لذلك ضرورة معقولة...

---

(١) انظر كتابنا (الكشاف الفريد: ٢/ ٣٢٥).

(٢) رواه أبو داود والنسائي.

وفي عهد النبوة عرفت وسيلة منع النسل وتقليله، وكانت تتم بواسطة العزل وهو قذف النطفة خارج الرحم عند الإِحساس بنزولها[1].

وقد كان الصحابة الأبرار يفعلون ذلك، والوحي ينزل على رسول الله ﷺ، كما ورد في الصحيحين عن جابر: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، والقرآن ينزل. وفي صحيح مسلم قال: (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فلم ينهنا...).

وفيما يلي أهم مسوّغات تنظيم النسل:

١ ـ الخشية على حياة الأُم أوصحتها من الحمل أو الوضع، إذا عرف بتجربة أو إخبار طبيب ثقة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٩].

٢ ـ الخشية في وقوع حرج دنيوي، قد يفضي به إلى حرج في دينه فيقبل الحرام، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [سورة المائدة: ٦].

٣ ـ الخشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أو تضطرب تربيتهم. وفي صحيح مسلم عن أسامة بن زيد أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ـ يا رسول الله، إني أعزل عن امرأتي. فقال له رسول الله ﷺ: «لمَ تفعل ذلك؟». فقال الرجل: ـ

(١) راجع الحلال والحرام: ص١٩١.

أُشفق على ولدها أو قال: ـ على أولادها. فقال رسول الله ﷺ: ـ لو كان ضاراً لضرّ فارس والروم»[1].

٤ ـ ومن الضرورات المعتبرة شرعاً الخوف على الرضيع من حمل جديد ووليد جديد وقد سمّى الرسول ﷺ الوطء ـ في حالة الرضاع ـ وطء الغيلة أو الغيل، كما يترتب عليه من حمل يفسد اللبن ويُضعف اللبن، وإنما سماه غيلًا أو غيلة لأنه جناية خفيّة على الرضيع فأشبه القتل سراً[2]...

٥ ـ وقرر الإِمام أحمد وغيره أن تنظيم النسل يُباح إذا أذنت به الزوجة، لأن لها حقاً في الولد وحقاً في الاستمتاع. وروي عن عمر أنه نهى عن العزل إلا بإذن الزوجة. وهي لفتة بارعة من لفتات الإِسلام إلى حق المرأة، في عصر لم يكن يعترف لها بحقوق[3].

وقد استحدث في عصرنا الوسائل التي تمنع الحمل، ممّا يحقق المصلحة التي هدف إليها الرسول ﷺ وهي حماية الرضيع من الضرر مع تجنب المفسدة الأخرى، وهي الامتناع عن النساء مدة الرضاع، وما في ذلك من مشقّة.

أحكام الحيض والنفاس:

للحيض والنفاس أحكام لا بدّ من معرفتها، وفيما يلي تفصيل لذلك:

---

(١) أخرجه مسلم، راجع الحلال والحرام: ص١٩٣. وكتاب تحديد النسل للدكتور محمد سعيد البوطي.

(٢) الحلال والحرام: ص١٩٢ ـ ١٩٣ بتصرف.

(٣) انظر كتابنا الكشاف الفريد ٢/ ٣٣٥، والحلال الحرام ص١٩٤.

أ ـ الحيض: هو الدم الخارج من الرحم عند انعدام الجنين غالباً، وهو دم أحمر قد يميل إلى السواد، وقد تكون له رائحة كريهة أحياناً. وأقل مدته يوم وليلة وأكثرها خمسة عشر يوماً[1]. والنساء فيه ثلاث:

١ ـ المبتدأة: وهي التي ترى الحيض لأول مرة، وحكمها: أنها إذا رأت الدم قد خرج منها لأول مرة تعلم أنها أصبحت حائضاً فتترك الصلاة، والجماع، ودخول المساجد، وقراءة القرآن ـ إلّا للضرورة ـ حتى تطهر بانقطاع دمها، ويعرف ذلك بالجفاف؛ بأن تدخل قطنة في فرجها وتخرجها فتجدها جافة ما فيها من بللِ الدم.

كما يُعرف بخروج القصة البيضاء وهو ماء أبيض كالجير.

وقد ينقطع دم المبتدأة بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض، وهي خمسة عشر يوماً، فإذا انقطع وجب عليها الغسل فتغتسل، وتصلّي، وتوطأ[2] وتأتي كل ما كان محظوراً عليها بالحيض..

٢ ـ المعتادة: وهي التي لها عادة من كل شهر يأتيها الحيض فيها، وقد تكون يوماً أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض وهي خمسة عشر يوماً.

---

(١) نيل الأوطار (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

(٢) قولنا: توطأ: نريد إذا كان لها زوج وأراد منها ذلك فلا يفهم أن الوطء بعد الطهر لازم، أو عبادة فاضلة، وإنما بما أنها كان محظوراً عليها ذلك بسبب الحيض فإذا انتهى الحيض جاز لها فعل ما كان محظوراً عليها ومن بين ذلك الجماع.

فالمعتادة هذه تترك الصلاة، والوطء، وكل ما يمنع بالحيض أيام عادتها، فإذا انتهت أيام عادتها، وانقطع الدم عنها اغتسلت وصلّت.

وإن رأت بعد انقضاء عادتها، وحصول طهرها بالجفاف أو القُصّة البيضاء صُفرةً أو كدرةً لا تلتفت إليها لقول أم عطية[(١)] الصحابية: (ما كنا نعد الصفرة أو الكدرة بعد الطهر شيئاً)[(٢)].

أما إذا انقطع الدم عنها قبل نهاية أيام عادتها فاغتسلت ثم عاودها الدم فإن عليها أن تقف عن الصلاة، وتعلم أنها حائض فإذا انقطع الدم بعد كمال عادتها اغتسلت، وصلّت، وإن رأت بعد ذلك صفرة أو كدرة فلا تبالي بها فإنها طاهرة.

٣ ـ المستحاضة: وهي من دمها يجري دائماً بلا انقطاع. وحكمها إن كانت لها عادة قبل أن تصاب بالاستحاضة، وكانت تعرف أيامها من كل شهر فإنها إذا جاءت تلك الأيام قعدت عن الصلاة، وغيرها حتى تنقضي تلك الأيام ثم تغتسل، وتصلي، وتفعل كل ما كان ممنوعاً منها بسبب الحيض.

وإن لم تكن لها عادة، أو كانت لها. ولكنها نسيت أيامها، فإن عليها أن تنظر في دمها الجاري منها، فإن كان يتغيّر من حمرة إلى سواد، وثخونة بعدما كان خفيفاً أحمر فقط، فإنها

---

(١) صحابية مجاهدة عالمة فاضلة، روي عنها هذا في صحيح البخاري (بدون ذكر الطهر) وهو في الدارمي (بلفظ بعد الغسل).

(٢) أبو داود والبخاري ولم يذكر بعد الطهر (نيل الأوطار ١/ ٣٢٠).

إذا رأت دمها تغيَّر علمت أنها حائض، وتركت الصلاة، فإذا عاد الدم إلى صفته اغتسلت وصلّت.

وإن كان دمها لا يتغيّر فحكمها تقعد من كل شهر مدة غالب الحيض[1]، فلا تصلي ولا تصوم، ولا توطأ، فإذا انقضت تلك المدة اغتسلت، وصلّت[2] وهي طاهرة إلى دخول الشهر التالي.

ب ـ النفاس: وهو الدم الخارج بعد الولادة مباشرة أو قبلها بيوم أو يومين.

وحكمه: أنه يمنع ما يمنعه دم الحيض سواء بسواء، حتى ينقطع فإذا انقطع بعد الولادة، ولو بيوم أو أكثر اغتسلت المؤمنة، وصلّت لأنها طاهرة. وإن استمر جارياً فهي نفساء لا تصلي، ولا تصوم إلى انقطاعه، فإن انقطع قبل أربعين يوماً فذاك. وإلا اغتسلت وصلّت، بعد كمال الأربعين، ولو لم

---

(١) مدة غالب الحيض ستة أيام أو سبعة.

(٢) (أن أم سلمة استفتت الرسول ﷺ في امرأة تهراق الدم؟ فقال: لتنظر عدة الليالي والأيام التي كانت تحيض من الشهر قبل أن يصيبها الذي أصابها فتترك الصلاة قدر ذلك من الشهر فإذا خلفت ذلك فلتغتسل، ثم لتستنفر بثوب ثم لتصلِّ) الحديث لأبي داود والنسائي. ففي هذا الحديث دليل المستحاضة ذات العادة.

أما المستحاضة غير المعتادة فإنها تتحيض من كل شهر غالب الحيض تقعد فيه، ثم تغتسل وتصلّي، ودليلها حديث فاطمة بنت جحش رضي الله عنها: إذ قال لها الرسول ﷺ: «إذا كان دم الحيض فإنه أسود تعرف، فإذا كان كذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي (بعد الاغتسال) وصلّي فإنما هو عرق). رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم. وانظر: (نيل الأوطار ١/ ٣٣٢).

ينقطع دمها، وهذا أحوط لدينها من انتظار انقطاعه إلى الستين[1] يوماً، وهي أقصى مدة النفاس عند أهل العلم[2].

ما يمنع بالحيض والنفاس:

من المعلوم أن دم الحيض والنفاس يمنع أموراً ينبغي أن تعرفها المؤمنة وهذه الأمور هي:

١ ـ الصلاة فريضة كانت أو نافلة.

٢ ـ الصيام مطلقاً إلا أن ما أفطرته من صيام رمضان وجب عليها قضاؤه بعد انقضاء رمضان في حال طهرها، أما الصلاة فلا قضاء عليها فيها.

٣ ـ دخول المساجد مطلقاً لحديث: (لا أُحل المسجد لحائض ولا لجنب).

٤ ـ قراءة القرآن الكريم، إلا أنه يرخّص لها (الحائض) في قراءة القرآن ما تخشى أن تنساه مما حفظته من كتاب الله تعالى. وكذلك يرخّص لمن تزاول مهنة التعليم وأضرابها، وذلك للضرورة[3]..

---

(١) القائل بالستين يوماً مدة لنهاية النفاس الفقهاء المالكية ومن وافقهم كالشافعية.

(٢) انظر: (نيل الأوطار ١/ ٣٣٢).

(٣) اختلف العلماء في قراءة المرأة للقرآن وفيه ثلاثة أقوال: (١) إباحتها للحائض والنفساء وهو اختيار القاضي (أبي يعلى). (٢) منع الحائض والنفساء. (٣) إباحتها للنفساء دون الحائض. اختاره (الخلّال) من أصحاب أحمد. للمزيد: راجع (الفتاوى الكبرى ٢/ ٥٢٣) لابن تيمية.

٥ ـ الطواف مطلقاً لحج، أو عمرة، أو تطوُّع، لأن المسجد ممنوع عنها، والبيت في المسجد الحرام، ولأن الطواف يشترط فيه الطهارة كذلك...

إسقاط الحمل:

أباح الإِسلام للمسلم أن يمنع الحمل لضرورات تقتضي ذلك، ولم يُبح له إسقاط الحمل بعد أن يوجد فعلًا.

اتفق العلماء على أن إسقاطه بعد نفخ الروح فيه، حرام وجريمة، لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حيّ، متكامل الخلق، ظاهر الحياة قالوا: ولذلك وجبت بإسقاطه الديّة إن نزل حياً ثم مات، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتاً.

ولكنهم قالوا: إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه ـ بعد تحقق حياته هكذا ـ يؤدي لا محالة إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين فإذا كان في بقائه موت الأم، وكان لا منفذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحالة متعيّناً ولا يُضحى بها في سبيل إنقاذه؛ لأنها أصله، وقد استقرّت حياتها، ولها حظ مستقِل في الحياة، ولها حقوق وعليها حقوق، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة. وليس من المعقول أن نضحي بها في سبيل الحياة لجنين لم تستقلّ حياته، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات[(١)]...

وقال الإِمام الغزالي، يُفرُّق بين منع الحمل وإسقاطه:

(١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت: (٤٦٤).

(وليس هذا ـ أي منع الحمل ـ كالإِجهاض، والوأد؛ لأن ذلك جناية على موجود حاصل. والوجود له مراتب.

وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة فعلقة، كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حياً)[1].

التلقيح الصناعي:

هذه المسألة من المسائل الشائعة التي ذاعت في هذا العصر والتي هي بحق تحتاج إلى بيان وتوضيح حتى ينجو الإِنسان من الإِثم والعصيان. ومن المعلوم أن تخلّق الولد إنما هو من السائل المنوي الذي يخرج من الرجل فيصل إلى الرحم المستعد للتفاعل. قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [سورة الطارق: ٦ ـ ٧].

يتخلق الولد من هذا السائل متى وصل إلى الرحم المستعد للتفاعل وإن لم يكن وصوله عن طريق الاتصال الجسماني المعروف. وهذا قدر عرفه الناس جميعاً، وعرفه فقهاؤنا، وجاء في كلامهم: (إن الحمل قد يكون بإدخال الماء للمحل دون اتصال).

والواقع أن التلقيح الصناعي، وقصد التوليد عن طريقه،

---

(١) إحياء علوم الدين (كتاب النكاح ص٤٧). وانظر: الحلال والحرام ص١٩٥.

قد ألهمه الإنسان من قديم وعرفه من فجر حياته في الحيوان والنبات واستخدمه فيهما، وظهر له فعلًا نجاحه، وحصل منه على أنواع حسنة من الحيوان وعلى ثمار جيدة من النبات.

ومن العجب أن يسوي أرباب فلسفة التلقيح الصناعي بآرائهم بين التلقيح في الإنسان بالتلقيح بالحيوان والنبات، وكان جديراً بهم أن يذكروا أن الإنسان ـ وهم من أفراده ـ له مجتمعات وشعوب، وقبائل تتكون من أفراد تنتظمها سلسلة واحدة تعرف بها وتنسب إليها، وأنهم بإنسانيتهم ليسوا كأفراد الحيوان والنبات مفككّة لا يجمعها رباط ولا تشعر في حياتها بالحاجة إلى الرباط، وهذه خاصة الحيوان والنبات، وتلك خاصة الإنسان.

فالإنسان يرتبط في تصرّفاته، وسلوكه وانتظامه في مجتمعاته التي تخضع لقوانين بشرية وشرائع سماوية، تلبي داعي الفطرة الإنسانية[1].

ولعل الزواج وإعلانه ـ وهو شأن فطري ـ كان أهم الشؤون التي تخضع المجتمعات لحكمها وترتب عليها آثار معينة معروفة فيما يتعلق بحياة الأسرة ونسب الأبناء..

حكم الشريعة في التلقيح:

ومن هنا نستطيع أن نقرر ـ بالنسبة لحكم الشريعة في التلقيح الصناعي الإنساني ـ أنه إذا كان بماء الرجل لزوجه كان

(١) انظر: الفتاوى ص٣٢٥ ـ ٣٢٧ للشيخ شلتوت.

تصرفاً واقعاً في دائرة القانون والشرائع التي تخضع لحكمها المجتمعات الإنسانية الفاضلة وكان عملًا مشروعاً لا إثم فيه ولا حرج، وهو بعد هذا قد يكون في تلك الحالة سبيلًا للحصول على ولد شرعي، يذكر به والده وبه تمتد حياتهما، وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية، ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المودة بينهما. . .

أما إذا كان التلقيح بماء رجل أجنبي عن المرأة ـ لا يربط بينهما عقد زواج (ولعل هذه الحالة هي أكثر ما يراد من التلقيح الصناعي عندما يتحدث الناس عنه) فإنه يزج بالإنسان دون شك في دائرتي الحيوان والنبات، ويخرجه عن المستوى الإنساني مستوى المجتمعات الفاضلة التي تنسج حياتها بالتعاقد الزوجي وإعلانه. . .

إن التلقيح الصناعي يجمع بين إدخال عنصر غريب في النسب وبين خسَّة أخرى هي التقاؤه مع الزنا في إطار واحد، تنبو عنه الشرائع والقوانين، وينبو عنه المستوى الإنساني الفاضل. . . وينزلق به إلى المستوىٰ الحيواني، الذي لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة(١).

وحسب من يدعون إلى هذا التلقيح المنكر، ويشيرون به على أرباب العقم، تلك النتيجة المزدوجة التي تجمع بين الخسَّتين: دخلٌ في النسب وعار مستمر إلى الأبد.

أسأل الله أن يجنبنا مزالق الفتن ومواطن الشبهات.

(١) المرجع السابق ص٣٢٧ وما بعدها.

نقص الكيل والميزان والذراع:

ومن الأعمال الموبقة والكبائر المهلكة نقص الكيل والميزان والذراع.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [سورة المطففين: ١]. يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾. يعني يستوفون حقوقهم منها.

قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا لم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن، فأحدهما يدل على الآخر. (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون). أي: ينقصون في الكيل والوزن. وقال السدي: لمّا قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس» قالوا: يا رسول الله ما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلّا سلّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أَنزل الله إلّا فشى فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلّا أنزل الله بهم الطاعون (يعني كثرة الموت)، ولا طفّفوا الكيل إلّا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلّا حبس عنهم المطر. وقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾.

قال الزجّاج: المعنى لو ظنّوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ أي يوم القيامة. ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي لأمره ولجزائه وحسابه، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء[1].

وعن مالك بن دينار قال: دخل عليّ جار لي وقد نزل به الموت وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار، قال: قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيىٰ: كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر. وقال مالك بن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيىٰ كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة فمات في مرضه.

والمطفّف: هو الذي ينقص الكيل والوزن مطفّفاً لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف. وذلك ضربٌ من السرقة والخيانة وأكل الحرام. ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب. وقيل: وادٍ في جهنم، لو سُيّرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حرّه.

وقال بعض السلف: أشهد على كل كيّال أو وزّان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله، وقال بعضهم: دخلت على مريض، وقد نزل به الموت فجعلت أُلقّنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها؟ فلما أفاق قلت له: يا أخي مالي أُلقّنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟ قال يا أخي: لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها. فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟ قال:

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٣ والكبائر ص٢٢٦.

لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني. فهذا من لا يعتبر صحة ميزانه. فكيف حال من يزن ناقصاً[1]؟!؟

وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم، وكذا التاجر إذا شدّ يده في الذراع وقت البيع وأرخىٰ وقت الشراء، وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبّة يعطيها ناقصة جنّة عرضها السموات والأرض، وويح لمن يشتري الويل بحبّة يأخذها زائدة... فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم...

الإحتكار:

ومعنى الإِحتكار هو: شراء الشيء وحبسه ليقلَّ بين الناس فيغلو سعره ويصيبهم بسبب ذلك الضرر.

حكمه: والإِحتكار حرَّمه الشارع ونهى عنه لما فيه من الجشع والطمع وسوءِ الخُلق والتضييق على الناس.

وفيما يلي بعض النصوص الدّالة على فساد المحتكرين وضلالهم:

١ ـ فعن سعيد بن المسيّب عن معمر بن عبد الله أنّ النبي ﷺ قال: «لا يحتكر إلا خاطىء». قال أهل اللغة: الخاطىء: العاصي الآثم...

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٢٢٧.

٢ ـ وعن النبي ﷺ قال: «من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله تعالى وبرىءَ الله تعالى منه»[١].

٣ ـ وذكر رزين في جامعه أنه ﷺ قال: «بئس العبد المحتكر: إن سمع برخصٍ ساءَه، وإن سمع بغلاءٍ فرح».

٤ ـ وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»[٢].

٥ ـ وعن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين لِيُغلِيَهُ عليهم كان حقاً على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»[٣].

متى يحرم الإِحتكار؟!:

ذهب كثير من الفقهاء إلى أن الإِحتكار المحرم هو الاحتكار الذي توفر فيه شروط ثلاثة:

١ ـ أن يكون الشيء المُحْتَكَرْ فاضلًا عن حاجته وحاجة من يَعُولُهُم سنة كاملة، لأنّه يجوز أن يدّخر الإِنسان نفقته ونفقة أهله هذه المدة، كما كان يفعله الرسول ﷺ.

٢ ـ أن يكون قد انتظر الوقت الذي تغلو فيه السلع ليبيع بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليه.

٣ ـ أن يكون الاحتكار في الوقت الذي يحتاج الناس فيه

(١) قال النووي: (هذا الحديث صريح في تحريم الإِحتكار. صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٤٣.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم.

(٣) رواه أحمد والطبراني.

إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب ونحوها. فلو كانت هذه المواد لدى عدد من التجار ـ ولكن لا يحتاج الناس إليها ـ فإن ذلك لا يُعدّ احتكاراً، حيث لا ضرر يقع بالناس.

أكل الربا:

حرّم الإِسلام الربا لعظم شأنه وخطورته على المجتمع، فهو من الكبائر المهلكة، وقد ورد في ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تبيّن أضراره، وتؤكد حرمته، ولنستمع لبعض هذه النصوص:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٥] وقال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٦].

قال ابن كثير معلقاً على آكلي الربا: (لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبّط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً. وقال ابن عباس: آكل الربا يُبعثُ يوم القيامة مجنوناً يُخنق...)(١).

قال ﷺ: «لعن الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، هم فيه سواء»(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٢٦) وما بعدها.

(٢) رواه أحمد ومسلم (مختصر مسلم ٩٥٥) وصحيح الجامع (٥٠٩٠).

وقال رسول الله ﷺ: «ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون، ولا ظهر في قوم الزنا إلا وظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر»[(١)].

كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربعة حقّ على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه، إلا أن يتوبوا».

ومن ألوان الربا الفائدة المأخوذة عن إيداع المال في المصارف والبنوك بفائدة، ولا حجة لمن يقول بحِلّ الفوائد عن الأموال التي قصد منها الاستثمار؛ لأن الربا المحرّم هو ما كان على الأموال المأخوذة للاستهلاك...

السمسرة والتقسيط:

أباح الإِسلام السمسرة والتقسيط... والسمسرة هي إعطاء الأجرة المتفق عليها للسمسار مقابل ما بذل من جهد...

فالسمسار هو الذي يتوسط بين البائع والمشتري لتسهيل عملية البيع...

قال الإِمام البخاري: لم ير ابن سيرين وعطاء وإبراهيم والحسن بأجر السمسار بأساً.

وقال ابن عباس: لا بأس بأن تقول: بعْ هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك.

(١) ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم. وقال على شرط مسلم (المنذري).

وقال ابن سيرين: إذا قال بعهُ بكذا فما كان من ربح فهو لك أو بيني وبينك فلا بأس به.

وقال الرسول ﷺ: «المسلمون على شروطهم»[1].

وأما بيع التقسيط [المسمى ببيع الأجل] فهو جائز بحيث يكون الثمن مؤجلًا ويدفع على أقساط وذلك عندما يتم التراضي بين المتبايعين.

جاء في المغنى لابن قدامة: (إنه إذا عرض البائع ثمناً للنقد وثمناً للتأجيل، وخرج المشتري بعد أن استقرّ الأمر على أحد الثمنين فهو مباح»[2].

وهكذا، فإذا كان الثمن مؤجلًا وزاد البائع فيه من أجل التأجيل جاز، لأن للأجل حصة من الثمن، كما لا يخفىٰ...

وإلى هذا ذهب الأحناف والشافعية وزيد بن علي وجمهور الفقهاء، وذلك لعموم الأدلة القاضية بجوازه[3]، وذلك ما رجّحهُ الإِمام الشوكاني[4]. ولكن بعض علماء الحديث قالوا بحرمة بيع التقسيط...

وحجّتهم أن هذه المعاملة هي بيعتان في بيعة... وقد ردّ على هذا علماء المذاهب الأربعة، لأنهم اعتبروا عرض السعرين من باب المساومة.. ـ والله أعلم ـ.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وانظر: فقه السنة: (٣/ ٧٤).

(٢) انظر: المغني: (٤/ ١٧٧) ونيل الأوطار (٥/ ١٧٢) وفقه السنة (٣/ ٧٣).

(٣) نيل الأوطار (٥/ ١٧٢) وفقه السنة (٣/ ٧٣).

(٤) هو الإِمام المجتهد قاضي قضاة اليمن (محمد بن علي بن محمد الشوكاني) صاحب المصنفات النافعة وقد توفاه الله سنة (١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى.

التماثيل والتصوير:

إن التصوير والتماثيل في الأصل حرام، سواء أكانت هذه الصور مجسّمة أو غير مجسّمة، أكانت ظلّا أو غير ذات ظل، وسواء أَكان التصوير باليد أو بالآلة.

أما إذا كان هناك نوع من التماثيل لا يظهر فيه قصد التعظيم ولا الترف فهو مباح، وفيه رخصة كما في لعب الأطفال التي تصنع على شكل عرائس أو قطط أو غير ذلك من الحيوانات. فهذه الصور تُمتَهنُ باللعب وعبث الأولاد بها.

قال القاضي عياض: (إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة)[(١)].

ومثل لعب الأطفال، التماثيل التي تصنع من الحلوىٰ وتباع في الأعياد وغيرها ثم لا تلبث أن تؤكل[(٢)].

هذا فإنه يجوز تصوير ما لا روح فيه كالأشجار والأزهار ونحوها، وهذا ما اتفق عليه العلماء والفقهاء، وفي الحديث الشريف عن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل لابن عباس رضي الله عنه فقال: إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير. فقال ابن عباس: لا أُحدثك إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة فإن الله مُعذّبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً»[(٣)].

---

(١) انظر: الحلال والحرام في الإِسلام ص١٠٣.
(٢) انظر: المرجع السابق نفسه.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

فربىٰ الرجل ربوة شديدة (أي فزع) فقال له ابن عباس: ويحك إن أبيت إلّا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح.

حرمة التصوير:

جاءت أحاديث نبوية صحيحة صريحة بالنهي عن صناعة التماثيل والتصوير، وإليك بعضها:

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صوَّر صورة في الدنيا كُلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصوّرون هذه الصور». وفي رواية: «الذين يضاهون بخلق الله»[2].

النهي عن وضع الصور في البيت:

وكما يحرم صنع التماثيل والصور يحرم اقتناؤها ووضعها في البيت، ومن الواجب كسرها حتى لا تبقى على صورة التمثال.

١ - (روى البخاري أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب[3] إلّا نفضه).

---

(١) رواه البخاري. وانظر: فتح المجيد ص٤٩٢ وما بعدها ففيه بسط وتفصيل.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) صورة الصليب. وانظر: فقه السنة ٣/ ٥٠٠ ـ ٥٠١.

٢ ـ وروى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة تماثيل»[١].

الصورة التي لا ظل لها:

كل ما سبق ذكره خاص بالصور المجسّدة التي لها ظل.

أما الصور التي لا ظل لها، كالنقوش في الحوائط وعلى الورق والصور التي توجد في الملابس والستور والصور الفوتوغرافية فهذه كلها جائزة.

وكانت ممنوعة في أول الأمر ثم رُخّص فيها بعد. والذي يدل على المنع ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوةً[٢] لي بقِرام (الستر الرقيق) فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلّون وجهه وقال: يا عائشة: «أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله». رواه الشيخان. قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين.

والذي يدل على الترخيص ما رواه بُسْرٌ بن سعيد: عن زيد بن خالد عن أبي طلحة عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب».

قال بُسْر: ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صور؛ فقلت لعبيد الله ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ، ألم يخبرنا

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الطاق يوضع فيه الشيء.

زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: إلا رقماً في ثوب[1].

وقال ابن حزم: وجائز للصبايا خاصة اللعب بالصور ولا يحل لغيرهن. والصور محرّمة إلا هذا وإلا ما كان رقماً في ثوب. ثم ذكر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة الأنصاري[2].

أحكام الصور والمصورين:

ويمكننا أن نُجملَ أحكام الصور والمصوّرين في الخلاصة التالية:

١ - إن أشد أنواع الصور في الحُرمة والإِثم، صور ما يُعبد من دون الله - كالمسيح عند النصارى - فهذه تؤدي بمصورها إلى الكفر إن كان عارفاً بذلك قاصداً له.

وكل من روّج هذه الصور أو عظّمها بوجه من الوجوه داخل في الإِثم بقدر مشاركته.

٢ - ويليه بالإِثم من صوّر ما لا يُعبد - من دون الله - ولكنه قصد مضاهاة خلق الله تعالى أي ادّعىٰ أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله فهو بهذا يكفر وهذا يتعلق بنية المصوّر وحده..

٣ - ودون ذلك الصور المجسّمة لما لا يُعبد ولكنها مما يعظّم - كصور الملوك والقادة والزعماء - المعظّمين من

---

(١) رواه الخمسة، وانظر الكبائر (ص١٨١ - ١٨٢).

(٢) انظر: فقه السنة ٣/٥٠١ وما بعدها.

دون الله ـ وغيرهم، ممن يزعمون تخليدهم بإقامة التماثيل لهم ونصبها في الميادين العامة ونحوها. ويستوي في ذلك أن يكون التمثال كاملًا أو نصفياً.

٤ ـ ودونها الصور المجسمة لكل ذي روح مما لا يقدّس ولا يعظّم، فإنه متفق على حرمته يستثنى من ذلك ما يُمتهن كلعب الأطفال ومثلها ما يؤكل من تماثيل الحلوى.

٥ ـ وبعدها الصور غير المجسّمة ـ اللوحات الفنية ـ التي يعظم أصحابها، كصور الحكّام والزعماء وغيرهم وخاصة إذا نصبت وعُلّقت. وتتأكد الحرمة إذا كان هؤلاء من الملاحدة والفسقة والظلمة فإن تعظيمهم هدمٌ للإسلام.

٦ ـ ودون ذلك أن تكون الصورة غير المجسّمة لذي روح لا يعُظّم، ولكن تُعدّ من مظاهر الترف والتنعّم، كأن تستر بها الجدر ونحوها، فهذا من المكروهات فحسب.

٧ ـ أما صور غير ذي الروح من الشجر والنخيل والبحار والسفن والجبال ونحوها من المناظر الطبيعية، فلا جناح على من صوّرها أو اقتناها، ما لم تشغل عن طاعة أو تؤدّ إلى ترف فتُكره.

٨ ـ وأما الصور الشمسية (الفتوغرافية) فالأصل فيها الإِباحة، ما لم يشتمل موضوع الصورة على محرّم، كتقديس صاحبها تقديساً دينياً، أو تعظيمه دنيوياً، وخاصة إذا كان المعُظّم من أهل الكفر والفساق كالوثنيين والشيوعيين والفنانين المنحرفين..

٩ ـ وأخيراً. . . . إن التماثيل والصور المحرّمة إذا شوّهت أو امتهنت، انتقلت من دائرة الحرمة إلى دائرة الحل، كصور البسط التي تدوسها الأقدام النِّعال[١] ونحوها.

زكاة الحُليّ وعروض التجارة:

حُليّ المرأة إن كان المقصود من اتّخاذه للتزيّن كان من الحاجة الأصلية للمرأة ولهذا لا تتعلق به زكاة، أما إذا اتّخذته كنزاً وادخاراً باسم الحُلي ـ وإنما وضعته في يديها حفظاً له من الضياع ـ فقد صار نقداً لم تتعلق به حاجة أصلية لصاحبه، وبهذا تجب فيه الزكاة.

وهكذا فإن قصد به مع الزينة الإِدخار لوقت الحاجة فإنه تجب فيه الزكاة لما شابه من معنىٰ الادخار.

وهذا الحال كحال من يشتري لزوجته بعض الحُليّ على أمل إذا كثر جعله في شراء أرض أو عمارة أو غيرها، فعليه أن يزكي هذه الحُليّ كل سنة[٢].

الأحوط في حُليّ النساء: الزكاة على كل حال لما ورد من الأحاديث ومن ذلك قوله ﷺ لعائشة وقد رأى في يديها فتخات (خواتم) من فضة: «ما هذا يا عائشة»؟ فقالت: صنعتهن أتزيّن لك يا رسول الله. فقال: «أتؤدين زكاتهن»؟ قالت: لا. قال: «هو حسبك من النار»[٣].

---

(١) انظر: الحلال والحرام في الإِسلام ص١١٥ وما بعدها. . .

(٢) انظر: فتاوى الشيخ محمود شلتوت ص١٢٠، ومنهاج المسلم ص٢٨٩ (بتصرف).

(٣) رواه الحاكم، وانظر: فقه الزكاة ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ للدكتور يوسف القرضاوي.

أما الجواهر الكريمة كالزمرد والياقوت واللؤلؤ، وسائر الجواهر فلا زكاة فيها. إلا أن تكون للتجارة فيجب الزكاة في قيمتها كعروض التجارة.

وأما عروض التجارة، فالرأي الذي يجب التعويل عليه - وهو رأي جماهير العلماء - أنه تجب فيها الزكاة متى بلغت قيمتها في آخر الحول نصاباً نقدياً.

ومعنى هذا: أن التاجر المؤمن يجب عليه في آخر كل عام أن يجرّد بضائعه جميعاً، ويقدّر قيمتها ويخرج زكاتها متى بلغت نصاباً (٨٥ غم) من الذهب. مع ملاحظة أنه لا يدخل في التقدير المحل الذي تُدار فيه التجارة ولا أثاثه الثابت[١]..

صبغ الشيب:

أمر النبي عليه الصلاة والسلام بصبغ الشعر إذا اشتعل شيباً. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[٢]. وقال: «إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم»[٣].

ومن هنا قال العلماء: إن الصبغ سُنّةٌ أو مستحب، وقد كثر اشتغال السلف به. ونرى المؤرخين في تراجم الصحابة والأئمة يقولون عن فلان (كان يخضب) وعن غيره (كان لا

(١) الفتاوى ص١٢١ للشيخ محمود شلتوت (رحمه الله).
(٢) صحيحا البخاري ومسلم (الجامع الصغير).
(٣) أحمد وأصحاب السنن (الجامع الصغير) والكتم: نبات جبلي يخرج منه صبغ أسود يميل إلى الحُمرة.

يخضب). وقالوا: إن في الخضاب فائدتين: تنظيف الشعر، وتحقيق المخالفة التي يُخشى من تركها.

غير أن بعضهم قالوا بكراهة الصبغ بالسواد، أو حرمته أخذاً من قوله ﷺ في شأن أبي قحافة والد أبي بكر، وكان شعر لحيته ورأسه شديد البياض، (غيروا هذا وجنبوه السواد)[1].

ولكن جمهور الفقهاء رأوا أن هذا خاص بمن كان كأبي قحافة طاعناً في السن شديد بياض الشعر، أما من لم يكن كذلك فلا بأس أن يصبغ بالسواد، وقد صبغ به جماعة من الصحابة والتابعين، صبغ به عثمان، والحسن والحسين، وعقبة بن عامر، وصبغ به ابن سيرين وغيرهم.

ومُجمل القول: أن الأمر في الصبغ ولونه أيسر من أن يتشدّد فيه مُتشدّد فيرى منعه أو إباحته، أو يرى منعه بلون خاص، فللسن والهيئة والتناسب دخل في حُسن الاختيار في الصبغ أو عدمه، وفي اللون الذي يصبغ به[2].

حكم اللحية:

نظراً للجهل المحدق بالكثير من المسلمين لأَحكام دينهم، ومن ذلك حكم اللحية، فقد رأيت أن أُبين حكم الدين في هذه المسألة التي يتهاون فيها المسلمون وبخاصة في هذا الزمن، وقد ورد في ذلك عدة أحاديث نبوية نذكر منها ما يلي:

---

(١) رواه أحمد (الجامع الصغير). وانظر: نيل الأوطار ١/١٤١، ١٤٢.

(٢) للمزيد انظر: الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص ٢٥٥ وما بعدها.

١ ـ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين وفرّوا[١] اللحى وأحفّوا الشوارب»[٢]،

٢ ـ وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أُمرنا بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحية»[٣].

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعفوا اللحى وجزّوا الشوارب، ولا تشبّهوا باليهود والنصارى»[٤].

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية (يحرم حلق اللحية).

وقال القرطبي: (لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قصّها)[٥].

وقال الإِمام ابن حزم: الإِجماع على أن قصّ الشارب وإعفاء اللحية فرض مستنداً بحديث ابن عمر (خالفوا المشركين احفّوا الشوارب وأعفوا اللحى)، وبحديث زيد ابن أرقم المرفوع (من لم يأخذ شاربه فليس منا).

وبعد: فهذه بعض الأحاديث الشريفة التي تحضّ على إعفاء اللحية وقصّ الشارب. فعلى المسلم أن يلتزم بأمر

---

(١) قال ابن حجر: وفّروا بتشديد الفاء من التوفير وهو الإِبقاء. أي اتركوها وافرةً. وإعفائها: تركها على حالها.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد. وانظر: نيل الأوطار ١/١٣٧ وما بعدها.

(٥) انظر: رسالة (تحريم حلق اللحية ٢ ـ ٣) للشيخ عبد الرحمن العاصمي الحنبلي...

الرسول ﷺ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور: ٦٣].

فاللحية زينة الرجال ومن تمام الخلق وبها ميّز الله الرجال من النساء وهي من علامات الكمال...

ونظراً للأمر النبوي الشريف كما في قوله: (أعفوا ووفّروا وجزّوا اللحى...) والأمر فيها يفيد الوجوب، الذي يثاب فاعله، ويُعاقب تاركه، لذلك حرّم العلماء والفقهاء ومنهم الأئمة الأربعة وغيرهم حلق اللحية، لأن في حلقها تشبّه بالنساء وبالمشركين وأهل الكتاب فضلًا عن تغيير خلق الله سبحانه وتعالى.

وجاء في كتاب (الأم) للشافعي: تحريم حلق اللحية، كما ذكر الإمام ابن حزم أن الحلق حرام[1].

حكم مصافحة المرأة:

يظن كثير من المسلمين أن مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية (من غير المحارم) أنه جائز ولا حُرمة فيه، والصحيح أن مصافحة المرأة الأجنبية حرام ولم يأذن به الشرع المطّهر...

(١) المحلى (٢/ ٢٢٠).

وقد ورد في ذلك عدة نصوص شرعية نذكر منها ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط (مسلّة) من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحل له»[1].

إن مصافحة الرجال الأجانب للمرأة حتى لو كان شقيق زوجها أو ابن عمها أو ابن خالها أو ابن خالتها أو صديق زوجها أو زوج صديقتها أو جارها حرام؛ لقوله ﷺ: «إني لا أصافح النساء»[2].

وقال أيضاً: «لا أمسُّ أيدي النساء»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة: ١٢].

قال الحافظ ابن كثير معلقاً على هذه الآية الكريمة: قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم ابن أخي شهاب عن عمه، قال: أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ..﴾. قال

(١) رواه الطبراني والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح. (السلسلة الصحيحة ٢٢٦).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (٤٢٩).

(٣) انظر: صحيح الجامع رقم (٧٠٥٤).

عروة: قالت عائشة فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك على ذلك» كلاماً يكلمها، والله ما مسّت يده يد امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله.

وروى البخاري أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: (لا يشركن بالله شيئاً) قالت: وما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها) أي يملك نكاحها.

وروى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وصححه وغيرهم عن (أميمة بنت رقية) قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن على أن لا نشرك بالله شيئاً حتى بلغ (ولا يعصيننّك في معروف) فقال: فيما استطعتنّ وأطقتنّ) قلنا: الله ورسوله أرحم بنا في أنفسنا ألا تصافحنا؟!

قال: (إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة، كقولي لإمرأة واحدة)[1].

وبعد: فهذه الأحاديث صريحة في أنه ﷺ لم يبايع النساء باليد ولم تكن منه مصافحة لهن، وفي هذا ما يشفي الغليل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

المسابقة والمراهنة:

حثَّ الإِسلام الحنيف على الفروسية ورغّب فيها وبخاصة

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٢ - ٣٥٣) ففيه بسط وتفصيل.

ما كان منها محموداً كالرياضة، وسباق الخيل، والمصارعة، والسباحة... وتكون بالعدو ـ الجري ـ بين الأشخاص كما تكون بالسهام والأسلحة، وبالخيل، والبغال، والحمير وغير ذلك.

ففي المسابقة بالعدو بين الأشخاص، ثبت أن عائشة رضي الله عنها قالت: (سابقت النبي ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقته فسبقني: قلت: هذه بتلك)[1].

والمسابقة بالسهام والرماح وكل سلاح يمكن أن يُرمى به. يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦٠].

١ ـ وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقرأ: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي)[2].

٢ ـ ويقول عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالرَّمي فإنه من خير لهوكم»[3].

٣ ـ ويقول ﷺ: «كل لعب حرام إلا ثلاثة: ملاعبة الرجل أهله، ورميه عن قوسه، وتأديبه فرسه». ويحرم أثناء الرمي أن

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

يتخذ ما فيه الروح غرضاً، فقد رأىٰ عبد الله بن عمر جماعة اتخذوا دجاجة هدفاً لهم فقال: «إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»[(١)]. والمسابقة بين الحيوانات ثبتت في الأحاديث، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا سبق إلا في خف[(٢)] أو نصل[(٣)] أو حافر[(٤)]»[(٥)].

جواز المراهنة:

المسابقة دون رهان جائزة بإجماع العلماء كما سبق، أما المسابقة برهان فإنها تجوز في الصور الآتية:

١ ـ يجوز أخذ المال في المسابقة إذا كان من الحاكم أو غيره، كأن يقول للمتسابقين: من سبق منكم فله هذا القدر من المال.

٢ ـ أو يخرج أحد المتسابقين مالًا فيقول لصاحبه: إن سبقتني فهو لك، وإن سبقتك فلا شيء عليّ ولا شيء عليك.

٣ ـ إن كان المال من الاثنين المتسابقين أو من الجماعة المتسابقين ومعهم محلّل بأخذ هذا المال إن سَبَق. ولا يُغرم إن سُبق.

قيل لأنس: أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ؟ أكان

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) الخف: الإبل.
(٣) النّصل: السهم.
(٤) الحافر: الخيل. (نيل الأوطار ٨/٨٨ ـ ٨٩).
(٥) رواه أحمد والثلاثة وصحّحه ابن حبان.

رسول الله ﷺ يراهن؟ قال: نعم؛ والله لقد راهن على فرس يقال له (سبحة) فسبق الناس فهشّ لذلك وأعجبه)[١].

جاء في كتاب فقه السنة: لا يجوز الرهان في حالة ما إذا كان من كل واحد على أنه إذا سَبَق فله الرهان وإن سُبِق فيغرّم لصاحبه مثله؛ لأن هذا من باب القمار المحرّم.

قال رسول الله ﷺ: الخيل ثلاثة، فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمٰن فالذي يرتبط في سبيل الله؛ فعلفه وروثه وبوله، (وذكر... ما شاء الله)[٢].

وأما فرس الشيطان: فالذي يقامر أو يراهن عليه.

وأما فرس الإنسان: فالذي يرتبطه الإنسان يلتمس بطنها[٣] فهي ستر من الفقر[٤].

حكم الغش في الامتحانات:

من المؤسف أن تنتشر عادة الغش في الامتحانات بين الطلاب في المدارس والجامعات، مع أنها عادة ذميمة يأباها الدين وأصحاب الذوق السليم.

إن مؤدى الغش في الامتحانات أن يحصل المغشّش على مستوى في التقدير أعلى لا يحصل عليه بجهده الفردي، وبذلك ينال من الحق ما ليس له أهلًا. وهذا الحق الذي يناله بغير

---

(١) رواه أحمد. وانظر: نيل الأوطار ٨/ ٩٢.
(٢) يعني أن كل ذلك له حسنات.
(٣) أي للنتاج.
(٤) للمزيد: راجع فقه السنة ٣/ ٥٠٤، ونيل الأوطار ٨/ ٩٠ وما بعدها.

استحقاق يساعد في الوقت نفسه على تفويت حق لشخص آخر معه. وبذلك ينال ما لا يستحق... ويحرم من يستحق. والظلم كما يتجسد في حرمان صاحب الحق من حقه، يتمثل أيضاً في إعطاء غير صاحب حق، حق غيره والغش في الامتحان، إذن قوامه الظلم والاعتداء وهو لهذا جريمة اجتماعية يشترك فيها المغشّش نفسه ومن قام بمساعدته على الغش من زملائه أو من المراقبين عليه في إجراء الامتحان.

وضحية هذه الجريمة اثنان: المغشّش ذاته، لأن ما يحصل عليه بطريق الغش يظل أمراً غير ذاتي له. أي يظل وهماً أو سراباً لا يفيد منه في واقع أمره شيئاً بل ربما يكون سبباً في ضرر له، يظهر بالتدريج في حياته المقبلة.

فمثلًا ماذا يكون وضع طالب التحق بكلية الطب، بعد أن حصل على مجموع الثانوية العامة لا يستحقه بجدّه، وسلبه عن طريق الغش من غيره، ممن هو صاحب الحق فيه؟ إنه لا يتخلف في دراسته فحسب. بل ستلازمه خيبة الأمل في دراسته العالية بوجه عام... أما الضحية الثانية: فهو ذلك الذي سُلب منه حق التقدير لو لم ينتقل منه هذا الحق بطريق الغش إلى آخر معه. وهو ضحية على معنى: أنه يجب عليه أن يجتاز بعض الصعاب في سبيل تحقيق هدفه..

والغش في الامتحانات بما ينتهي إليه من نتائج هو سلب لحق من صاحبه، كسرقة المال من مالكه والمنتفع به. بل هو أدخل في معنى الجريمة؛ لأنه يتعلق بأمر نفسي وهو قيم الأفراد ومستوياتها في الدراسة والتحصيل.

وربما يمس هذا التقييم الخاطىء ـ بناء على الغش في الامتحانات ـ مستقبل المجتمع نفسه في تولي من لا يصلح للولاية بذاته لأن المجتمع قد خُدع بما أعلن له من تقدير في معاهده وكلياته[1].

وهذه الجريمة: (الغش في الامتحانات) إذا كان لها من ضحايا، وهو المتجمع، والمغشّش، ومن أخذ منه الحق من زملائه، فصاحب الجريمة في الدرجة الأولى هو من تولى الغش أو تستر عليه...

(١) انظر: رأي الدين بين السائل والمجيب (٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

الفصل السادس

المرأة بنتاً وزوجاً

- التبتل بدعة.
- آداب الخطبة والزواج.
- اختيار الزوجة والزوج الصالحين.
- وجوب النظر إلى الخاطب والمخطوبة.
- الفحص الطبي قبل الزواج.
- عرض الرجل ابنته على الصالحين.
- وجوب استئذان الفتاة قبل الزواج.
- تيسير المهر.
- نصيحة لأولياء أمور البنات.
- حفل العقد.
- آداب ليلة العرس.
- بدع ومنكرات الزفاف.
- آداب الخلوة بالعروس.
- وليمة العرس.
- شهر العسل.

- حقوق الزوجين - حق الزوجة على زوجها.
- حق الزوج على زوجته.
- نكاح المجوسيات والوثنيات.
- زواج نساء أهل الكتاب.
- حكمة إباحة التزوج منهن.
- الملابس الشرعية للمرأة.
- أزياء النساء الفاضحة.
- من هم مبتكرو الملابس القصيرة.
- لزوم المرأة البيت.
- فتنة الاختلاط.
- ذهاب المرأة إلى الكوافير.
- لبس الباروكة.

المرأة بنتاً وزوجاً

التبتّل بدعة:

ومن الأمور المبتدعة الإِنفراد وترك النكاح، رغبة منه[1] وذماً له.

لقد رغّب الرسول ﷺ في الزواج وحثّ عليه. وقال: (النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني)[2].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: (ردّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتّل، ولو أذن له لأختصينا)[3].

ومن الجدير بالذكر: أن النبي ﷺ نفّر من التبتّل ونهى عنه.

فعن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ

---

(١) رغب عن الشيء: زهد فيه وتركه، أما رغب فيه فمعناه: أقبل عليه وأحبه. وانظر: (نيل الأوطار ٦/١١٧).

(٢) متفق على آخره وأوله (النكاح سنتي). أخرجه أبو يعلى في مسنده، انظر: الأمر بالاتّباع والنهي عن الابتداع ص ١٠١ للإمام السيوطي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند والدارمي في السنن، ومعنى لاختصينا: لأجرينا (عملية) نقطع بها الناحية الجنسية لنتفرغ للعبادة وهو ما يسمى بالخصاء والوِجاء.

سألوا أزواج النبي ﷺ، عن عمله في السرِّ، فأخبرنهم، فقال بعضهم: أما أنا فلا أنام على فراش، وقال بعضهم: لا آكلُ اللّحم، وقال بعضهم: أما أنا لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر.

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله مخنّثي الرجال الذين يتشبّهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، والمتبتّلين من الرجال، الذين يقولون لا نتزوج، والمتبتّلات من النساء اللاتي يقلْن ذلك)[٢].

فلا يحل للمسلم أن يعرض عن الزواج مع القدرة عليه بدعوى التبتل لله، أو التفرّغ للعبادة والترهّب، والإِنقطاع عن الدنيا.

ولقد وجّه عليه الصلاة والسلام نداءه إلى الشباب عامة فقال: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»[٣].

---

(١) متفق عليه. (صحيح الجامع ٥٥٧٢).

(٢) أخرجه أحمد بنحوه في المسند. وفي مختصر المقاصد الحسنة حديث رقم (٥٤٤) (شراركم عزابكم) ضعيف. انظر: المقاصد ص ٢٥١، والدرر ص ٢٦٨، والموضوعات (٢/٢٥٨).

(٣) رواه البخاري.

آداب الخطبة والزفاف:

اهتم الإِسلام بتكوين الأُسرة المسلمة ورغب في النكاح وحبّب فيه..

قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣].

وفي الصفحات التالية بعض التفصيل للخطوات المتّبعة التي تسبق ليلة الزفاف بل هي على عتبة الزواج.

اختيار الزوجة والزوج الصالحين:

وضع الاسلام قواعد محكمة لاختيار الزوجة وعلى المسلمين أن يراعوا هذه الآداب عند اختيار الزوجة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك[١])[٢].

ومن أهم المزايا التي يجب توفرها في المرأة المخطوبة، أن تكون من أسرة كريمة صالحة ذات خلق ودين، وأن ترعى حق زوجها.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يأمر بالباءة،

---

(١) ومعنى قوله تربت يداك: أي لصقت بالتراب وهي كناية عن الفقر. (نيل الأوطار ٦/ ١٢٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: (مشكاة المصابيح ٢/ ٩٢٧).

وينهى عن التبتّل نهياً شديداً، ويقول: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي»[2].

اختيار الزوج:

وكذلك فقد اهتم الإسلام باختيار الزوج الصالح كما طلب من الزوج التحري في اختيار الزوجة الصالحة التقية، وفيما يلي بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النور: ٣٢][3].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزّوجوه!! إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[4].

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه وغيرهما. (مشكاة المصابيح ٢/ ٢٢٩).

(٢) رواه البيهقي في (شعب الإيمان). وانظر: (مشكاة المصابيح ٢/ ٩٣٠).

(٣) والأيامى: جمع أيّم ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له سواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما..
ويقال: رجل أيّم، وامرأة أيّم (تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٦).

(٤) رواه الترمذي (حديث حسن) انظر في (مشكاة المصابيح ٢/ ٩٢٩).

توجّهنا هذه النصوص إلى تقديم الخلق والدين عند اختيار الزوج على ما سواهما وفيها التحذير من الإِعراض عنهما لما يؤدي إليه هذا الإِعراض من فتنة وفساد.

وقال رجل للحسن بن علي رضي الله عنه: «إن لي بنتاً فمن ترى أن أُزوجها له؟؟ قال: زوّجها لمن يتقي الله، فإن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»[1].

وقد اعتنى الإِسلام عناية عظيمة باختيار الزوج الصالح ونهى أن يزوج الرجل كريمته من فاسق أو مبتدع ضال، تارك للصلاة والصوم أو غيرها من شعائر الإِسلام.

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية: (ومن كان مصّراً على الفسوق لا ينبغي أن يزوج)[2].

وجوب النظر إلى الخاطب والمخطوبة:

أباح الإِسلام للخاطب ـ إذا صدق في عزمه للزواج ـ أن ينظر إلى وجه المخطوبة وكفيها وأن يرسل من السيدات المخلصات من يتعرف على أخلاق مخطوبته وسلوكها، وله أن يتخّير لنطفته فإن العِرق دسَّاس.

وكذلك الحال بالنسبة للمخطوبة فلها أن تنظر خطيبها وأن تتعرّف على سلوكه وأخلاقه[3].

---

(١) انظر كتابنا (السنة مفتاح الجنة ص ٥٣١)، (وفقة السنة ٢/ ٢٤).

(٢) انظر فقه السنة (٢/ ٢٤).

(٣) بمناسبة الكلام على وجوب النظر إلى الخاطب والمخطوبة نلفت الانتباه إلى عادة سيئة تفشت وهي عادة الاختلاط المحرمة قبل عقد الزواج بقصد التجربة والأختيار؟!

وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تحضّ على هذا الأمر.

ومن ذلك، قوله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه لنكاحها فليفعل»[(١)].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (كنت مع النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج إمرأة من الأنصار فقال ﷺ: أنظرت إليها؟؟ قال: لا! قال فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً - يعني الصفر -)[(٢)].

وقد جاء تعليل هذا الأمر في حديث صحيح وهو: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم[(٣)] بينكما»[(٤)].

كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «إذا خطب أحدكم إمرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم)[(٥)].

الفحص الطبي قبل الزواج:

لقد أباح الإِسلام لكل من الخطيبين أن يخضعا للفحص الطبي قبل الزواج تحرزاً من العدوى السارية، وقد سنّت الحكومات الحديثة القوانين في وجوب الفحص الطبي قبل الزواج وكان السبق للإِسلام في هذا التوجيه.

---

(١) رواه أبو داود والطحاوي وابن ماجه (صحيح).

(٢) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

(٣) والمعنى: أي أنه أدعى لدوام المحبة والأُلفة.

(٤) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما (صحيح).

(٥) رواه الطحاويّ (حديث صحيح).

ومن الأحاديث التي تحضّ على ذلك، قوله ﷺ: «فرّ من الجذام فرارك من الأسد»[1] وكذلك فقد قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[2].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «لا يوردَّن ممرض على مصحٍ»[3]. أي الابتعاد من المصابين بالمرض خوفاً من العدوى.

ولعل من المفيد أن أذكر أن كثيراً من الأزواج يتهربون من الفحص الطبي، ويتساهلون فيه، كما هو شأن بعض الأطباء (غير الملتزمين) مما يسبب للأبناء نتائج سيئة.

وإني لأنصح أن من واجب كل واحد من الزوجين الديني عدم الإِقبال على الزواج إذا كان مصاباً بمرض سار. وقد جاء في الحديث الشريف الصحيح: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[4].

عرض الرجل ابنته على الصالحين:

كان من عادة السلف الصالح وغيرهم أن يعرض الرجل ابنته على الصالحين ـ لتزويجها ـ وقد حدّثنا القرآن الكريم عن نبي الله شعيب كيف عرض ابنته على كليم الله موسى عليهما الصلاة والسلام، حيث تم النكاح في جو هادىء بسيط.

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد وابن ماجه (صحيح).
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الشيخان [اللؤلؤ والمرجان ص ٢٨].

وقد حكى القرآن الكريم هذه القصة الخالدة...

قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة القصص: ٢٧ ـ ٢٨][1].

وكذلك ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ـ بعد أن مات زوج ابنته حفصة ـ قال: لقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟!.

فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيته، فعرضت ذلك عليه، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج، فلقيت أبا بكر، فقلت له: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت ولم يرجع إليّ شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إليه. فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً؟ فقلت: نعم. فقال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمت رسول الله ﷺ قد ذكرها. فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها.

لقد كان زواج المصطفى وصحابته الكرام يتم بسهولة

(١) وانظر: تحفة العروس: (٥٥ ـ ٥٦).

ويسر... إن هذه التقاليد التي تمسكنا بها (في هذه الأيام) إنها طقوس جهنمية لهدم الأُسرة، وقطع النسل.

فمتى تصحو أُمتنا من تقاليد جاهلية القرن العشرين؟!!

وما أعظم صنيع عمر وما أوعاه، وإلى هذا ذهب المثل العربي: (تخيّر لابنتك وأخطب لها، ولا تتخّير لولدك أو تخطب له).

ولا شك أن القسم الثاني من هذا المثل غير صحيح(١).

وجوب إستئذان الفتاة قبل الزواج:

حثّ الإِسلام على استئذان الفتاة قبل زواجها، وقد أغفل كثير من الآباء وأولياء الأمور هذه السنة الشريفة فكان لها نتائج سيئة وعواقب مدمّرة دفع ثمنها الزوجان للتفريط في تعاليم الدين وأحكامه.

وقد حثّ الرسول ﷺ، على هذه الشعيرة ودعا إلى تطبيقها.

وفيما يلي بعض إرشاداته التوجيهية:

١ ـ فعن خنساء بنت خذام، أن أباها زوّجها بدون إذنها (وهي ثيّب)(٢) فأَتت رسول الله ﷺ فردّ نكاحها)(٣).

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيّم حتى تُستأمر،

---

(١) انظر: تحفة العروس: (٥٧ ـ ٥٨).
(٢) الثّيب: هي المتزوجة وغير البكر.
(٣) رواه الجماعة إلا مسلم.

ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله؟ وكيف إذنها؟! قال: أن تسكت)[1].

هذه بعض آداب الإسلام التي منحها للفتاة قبل الزواج، لذلك على الفتاة المؤمنة أن تحسن إستخدام هذا الحق، ولا تغتر بجمال الزوج وحده، فإن الجمال (عارية مستردة) قد تزول، بل من واجبها أن تختار الزوج الصالح، ذي الأخلاق الطيبة، المتحصّن بتعاليم الإسلام..

تيسير المهر الصداق:

نظر الإسلام إلى المهر نظرة اليسر وأزال الحرج والتعقيد من وجه طالبي الزواج، لأن الزواج إمضاء لسنة أزلية وإنفاذ لفريضة إلَهية وهو ركن من أركان الزواج، وقد شرعه الله تعالى، بقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [سورة النساء: ٤][2].

فالإسلام دعا إلى تيسير المهر وعدم التغالي به؛ لأنه مُنافٍ لليسر الذي سنّه الله عز وجل وأمر عباده به، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨]. وقال الرسول ﷺ: «إنّ أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة»[3].

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الصداق أيسره»[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) (والنحلة: العطية).
(٣) رواه البيهقي في الشعب، وأحمد في مسنده (سبل السلام ٤/ ٢٩).
(٤) أخرجه أبو داود وصححه الحاكم (سبل السلام ٣/ ١٥٠).

فمن هذين الحديثين الشريفين وغيرهما نستدل على تخفيف المهر وتيسيره. وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما تزوّج علي فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ: «أعطها شيئاً؟! قال ما عندي شيء! قال أين درعك الحُطميّة؟ فأعطاها إياه»[١].

ومن العجب العجاب أن نتمسك بالتقاليد الجاهلية في هذا الزمان، حتى بات الزواج يسبّب للزوج النكبات والمحن؟!!.

وعن أبي سلمة قال: سألت عائشة كم كان صداق النبي ﷺ؟! قال: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشّاً.

قالت: أتدري ما النش؟

قلت: لا.

قالت: نصف أوقية، فقلت خمسمائة درهم[٢].

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألزموا النساء الرجال ولا تغالوا في المهور»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨): (ويكره للرجل أن يصدق المرأة صداقاً يُضرّ به إن نقده ويعجزه عن وفائه إن كان دَيناً»[٤].

---

(١) رواه النسائي وأبو داود وغيرهما.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى (٢/١٧٨) لإبن تيمية.

(٤) المرجع السابق نفسه.

هذه بعض آداب الإسلام في المهر وعلى المسلمين أن يتدبروا ما في دينهم من رحمة ويسر: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥][١].

نصيحة لأولياء أمور البنات:

عملاً وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ القائل: «الدين النصيحة» فقد رأيت أن أُقدم هذه النصيحة إلى كل مسلم مُنْصف.. إلى كل من استرعاه الله رعية من بنات وأقرباء ـ أسوق هذا الرجاء الحار ـ فأوصيك أيها المسلم الكريم ونفسي بتقوى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢ ـ ٣]. وأوصيك بالإحسان إلى مولياتك من بنات وأخوات وأقارب فهن أمانة في عنقك وقد استرعاك الله عليهن، ففي الحديث الصحيح: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... إلخ»[٢].

ومن الإحسان إليهن تزويج البالغة من الخاطب الكفؤ والمبادرة بذلك حينما يتقدم لخطبتها واتخاذ جانب اليسر والتسامح من باب التعاون على البر والتقوى، والحذر كل الحذر من وضع العوائق دون تحقيق الزواج، أو رفع المهور بحيث يتعذر على الخاطب إحضار المطلوب فيتعطّل هو ويلتمس غيرها، وقد يجد من يقنع باليسير مع الكفاف والعفاف بينما تبقى مخطوبته الأُولى في سجن الوحدة والإنفراد والحرمان الذي

(١) وانظر: (كتابنا السنة مفتاح الجنة ص ٣٥٦ ـ ٣٥٩). وتحفة العروس (ص ٦٠ ـ ٦٢) للشيخ محمود الاستانبولي، نفع الله به واكرمه.

(٢) قطعة من حديث نبوي شريف رواه الشيخان.

قد يُفضي بها يوماً إلى الترمّل والعجز، فاتقِ الله يا أخي المسلم وأحسن إلى مولياتك كما أحسن كثيرون جداً إلى مولياتهنّ، بالمبادرة إلى تزويجهن وتسهيل أمور الزواج وإعانتهن من أموالهنّ لإِظهارهنّ بالمظهر المناسب، ومنهم من يدفعون تكاليف الزواج والمهور من جيوبهم لوجه الله حينما تكون أحوال الزوج المادية تقتضي ذلك، ومنهم من إذا شعر بحاجة ابنته أو موليته للزواج التمس لها من أقاربه أو من غير أقاربه ممن يتفرس فيه الكفاءة والصلاحية ويدفع المهر من ماله وقد يؤمّنْ لهما مع ذلك النفقة والمسكن،كل ذلك لراحة ابنته وانقاذها من زوبعة الوحدة، والوساوس والأفكار السوداء، والخواطر المتجهّمة، وليفوز بثواب إحسانه، عند الله، حيث أحسن إليها بإخراجها إلى دنيا الحياة الزوجية، فأصبحت زوجة وأماً ومدبرة في بيتها وراعية أمينة بعد أن كانت معطّلة مطمورة مقهورة معذّبة. فأحسن إلى نفسه بحُسن الإِختيار لها وسلم من ظلمها وحرمانها ومآسيها، ورعى الأمانة وأصاب السنة والفطرة فأحسن الله إلى كل من أحسن إلى موليته كهذا المحسن، ولم يوصد الباب دون الخطّاب ولم يعرقل زواجها لأغراضه ومن يفعل ذلك فقد خان أمانته وظلم نفسه وعرضها لأعظم مسؤولية أمام الله، حينما يسأله الله تعالى لما حَرَم موليته من الزواج الشرعي، ومن الذرية ومن معنوياتها ومقامها في المجتمع؟ ولما أيّمها وأرملها وحسّرها وقسرها وأذلّها وأضاع نصيبها وحقوقها في الحياة وعرَّضها للأخطار والأضرار والأمراض؟ ولما خالف فيهن وصية رسول الله ﷺ القائل: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم ـ أي أسيرات ـ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن

بكلمة الله»[1]. الحديث، وقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي...»[2]. فهي وصية نبوية شاملة لازمة الامتثال لما تضمنته من معاني السمو والعطف والرحمة وفيض الإِحسان من نبي الرحمة ورسول الهُدى ﷺ.

حفل العقد:

سنَّ الإِسلام الاحتفال بعقد الزواج، إذ هو من الأمور الجليلة، التي ينبغي أن يشهدها أولو الفضل والتقى والصلاح...

فيجتمعون تشملهم مشاعر الحمد وأماني النجاح والتوفيق، وفي هذا الجو الطهور تتردد كلمات الحق والهدى وتؤكد عزائم الإِيمان والتقوى.

وقد كان من هدي المصطفى ﷺ، إفتتاح حفل عقد الزواج (بخطبة الحاجة) تلك الخطبة التي كان يبدأ بها الرسول ﷺ كل أمر ذي بال، ولقد واظب المسلمون على هذه السنة الشريفة، خلال القرون المتعاقبة ولا يزالون، وستبقى إلى ما شاء الله، وإن هجرها جمهرتهم في هذه الأيام كما لا يخفىٰ.

وعند إجراء العقد يسنّ للعاقد (المأذون الشرعي) أن يفتتح حفل عقد الزواج بهذه الخطبة المسنونة المأثورة عن رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي والدارمي (وإسناده صحيح نظر: مشكاة المصابيح رقم (٣٢٥٢).

علمنا رسول الله ﷺ التشهد في الحاجة. زاد فيه ابن كثير في الإرشاد (في النكاح وغيره).. وفيما يلي نص خطبة الحاجة:

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

ثم يذكر العاقد (المأذون الشرعي) حاجته ويمضي في إجراء مراسيم العقد.

إن هذه الآيات الكريمة المختارة لتلك المناسبة الميمونة توحي بجو الحق والصدق والعدل الذي يريده الإسلام لهذه العلاقة الطيبة.

آداب ليلة العُرس:

بعد اختيار الزوجين والاتفاق على المهر والجهاز وغيره

من لوازم الخطبة وعقد الزواج ـ كما بيّنا ـ ثم يعقب ذلك ليلة الزفاف وهي الساعة الأولى التي تبدأ بها الحياة الزوجية.

والمنهج الذي وضعه الإِسلام لآداب الزفاف هو منهج حكيم، ويرتكز على أمرين:

أولاً: آداب العرس.

ثانياً: آداب الخلوة بالعروس.

أولاً: آداب العرس:

أباح الإِسلام الحنيف ألواناً من اللهو النافع والحلال وأشكال من الترفيه المناسب للفطرة البشرية، ولا يتعدى دائرة النظام الإِسلامي. ومن أمثلة ذلك: (ركوب الخيل، السباحة، الصيد الرياضة، ومسابقة العدو، والتدريب على الأسلحة، والترفيه في أوقات الأعياد، والأعراس والمناسبات البهيجة).

وأما في العرس فقد ندب الإِسلام إلى إعلان النكاح بالضرب على الدُّف فقط، وبالغناء المباح الذي ليس فيه ميوعة ومجون.

١ ـ ففي الحديث الشريف الذي ترويه لنا السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها زُفَّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[1].

٢ ـ وعن أبي بُلج يحيى بن سليم قلت لمحمد بن

(١) أخرجه البخاري (٩٨٤)، والحاكم (٢/ ١٨٤).

حاطب: تزوجت امرأتين ما كان في واحدة منهما صوت[1] ـ يعني دُفاً ـ فقال محمد رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدُّف»[2].

٣ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «أعلنوا النكاح»[3].

بدع ومنكرات الزفاف:

تقع كثير من البدع المنكرة في المناسبات الاجتماعية كحفلات الأفراح والأعراس وعلى المؤمن الغيور أن يتجنبها. وفيما يلي بعضها:

أولاً: إختلاط الرجال بالنساء، ولا سيما عند دخول الزوج إلى عروسه فيدخل ومعه إخوته وبعض أقاربه ومعارفه حيث تكون العروس في أبهى زينة وفي أفتن مظهر، وهذا ما نهى عنه الإِسلام أشدّ النهي، ففي الحديث «إياكم والدخول على النساء...»[4].

ثانياً: اتخاذ المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات. فيغنون ويرقصون في بيوت المسلمين أو في الصالات والساحات الواسعة المستأجرة لهذا الغرض الذميم، وفي هذا أيضاً إسراف وتبذير لا يقرّه الشرع.

(١) ويباح الغناء الشريف دون أن يسمعه الرجال، والترويح عن النفس أثناء السفر والحداء الذي يحدو به الأعراب إبلهم، والشعر الوعظي أو الإرشادي وغناء النساء لابنائهن الصغار ليناموا...

(٢) أخرجه النسائي (٢/ ٩١) والترمذي (٢/ ١٧٠) وقال حديث حسن.

(٣) رواه ابن حبان (١٢٨٥) والطبراني وغيرهما وسنده حسن (آداب الزفاف ص ٩٧ للألباني).

(٤) متفق عليه.

ثالثاً: استعمال آلات المعازف والطرب وغيرها، وهي منافية للشرع، وتشبُّه النساء المسلمات بالراقصات العاهرات في رقصهن وإمالتهن وانتهاكهن لحرمة الأخلاق، وفي الحديث «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[1].

رابعاً: نتف الوجه والحواجب، ووصل الشعر وقصّ النساء شعورهن كالرجال.

قال ابن حزم: (لا يحل للمرأة نتف الشعر من وجهها)[2].

وفي الحديث الشريف: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبّهات من النساء بالرجال»[3].

هذه بعض البدع والمنكرات التي تشيع وتنتشر في أوقات الأعياد والأعراس ممّن ينتسبون إلى الإسلام (ولا يلتزمون بآدابه) فعلى المسلم الغيور أن يتجنب هذه الخبائث والمنكرات في ليالي أفراحه وزفافه، إن أراد أن يكون يوم القيامة في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء (وحسن أولئك رفيقاً).

ثانياً: آداب الخلوة بالعروس:

وضع الإسلام للخلوة بالعروس آداباً قيّمة يجدر بكل مسلم معرفتها والإلتزام بها، وأهم هذه الآداب:

---

(١) رواه البخاري والترمذي.
(٢) انظر: المحلّى (٢/٢١٨).
(٣) رواه البخاري وأبو داود.

١ ـ يستحب أن يضع يده على رأس عروسه ويسمي الله تعالى ويقول: (بارك الله لكل واحد منا في صاحبه، لما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا تزوج أحدكم امرأة، أو اشترى خادماً فليأخذ بناصيتها وليسمي الله عز وجل وليدع بالبركة، وليقل: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك)[١].

٢ ـ التوبة والاستغفار: على العروسين ليلة الدخول أن يطهّرا باطنهما وظاهرهما ويزيناه بالتوبة من جميع الذنوب والعيوب، فيدخلان طاهرين نظيفين حساً، ومعنى. لعل الله يكمل لهما أمر دينهما بالزواج من بعض.

٣ ـ دخول البيت: ومن السنة عند دخول البيت أن يقدما الرجل اليمنى ثم يدعوان بما جاء بالحديث الشريف: (إذا ولج الرجل بيته ـ أي دخل بيته ـ فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله، ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا، ثم ليسلّم على أهله)[٢].

٤ ـ الصلاة في مخدع الزوجية: يستحب للعروسين أن يصليا معاً في خلوتهما ركعتين ويدعوان الله سبحانه بعد الصلاة. وقد جاء في ذلك عدة آثار.

فعن أبي سعيد مولى أبي أُسيد قال: (تزوجت وأنا مملوك فدعوت نفراً فيهم: (ابن مسعود وحذيفة وأبو ذر. . . .).

---

(١) رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود.

قال: وأقيمت الصلاة، قال: فذهب أبو ذر ليتقدم المصلين إليك!

قال: أو كذلك!؟ قالوا: نعم. قال: فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك وعلموني، فقالوا: إذا دخل عليك أهلك فصلِ ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك، وتعوذ به من شره، ثم شأنك وشأن أهلك»[1].

٥ ـ ملاطفة الزوجة ومباسطتها: وبعد الفراغ من الصلاة والدعاء يقبل الزوج بوجهه إلى عروسه ويجلس بإزائها، ويسلم عليها ويباسطها بالكلام الحسن لزوال الوحشة عنهما ويقدم إليها ما تيسر من الشراب أو الحلوى وما أشبه.

٦ ـ ما يقول حين يجامعها: وبعد الفراغ مما تقدم يمضي الزوج إلى شأنه وما أحل الله عز وجل له، وقبل الجماع يستحسن أن يمازح زوجه ويلاعبها ويعانقها ولا يأتيها غفلة.

ومن السنة أن يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، قال رسول الله ﷺ: «فإن قضى الله بينهما ولداً لم يضرّه الشيطان أبداً»[2]. ويجوز له أن يأتي أهله في أية كيفية ما دام الإِتيان في الفرج (القُبل) للآية

(١) أخرجه أبو بكر ابن أبي شيبة في (المصنف) (جـ ٧) ورقمه (٥٠). وسنده. صحيح. (آداب الزفاف ص ٢٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٧/٩)، وأصحاب السنن إلا النسائي. وانظر: كتابنا (السنة مفتاح الجنة ص ٣٦٥ وما بعدها.

الكريمة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1]. ومن يأتي المرأة في دبرها فهو ملعون ولا ينظر الله إليه.

٧ ـ ما يفعل الزوج صبيحة بنائه بأهله: يستحب للزوج صبيحة بنائه بأهله أن يأتي أقاربه الذين أتوه في داره ويسلم عليهم، ويدعو لهم، ويجب عليهم هم أيضاً أن يقابلوه بالمثل ويدعون له بالخير والبركة، فقد ثبت عن الرسول ﷺ ذلك، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: «أولم رسول الله ﷺ إذ بنى بزينب فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلّم عليهن ودعا لهن، وسلمن عليه، ودعون له فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه»[2].

وليمة العرس:

شرعت الولائم[3] للاجتماع وذلك في مناسبات عديدة أهمها أفراح الأعراس، للحديث الصحيح (أولم ولو بشاة)[4].

ذهب الجمهور من العلماء على أن الوليمة سنة وحكى في (البحر) الوجوب على أحد قولي الشافعي، وحكاه عن أهل الظاهر[5].

---

(١) هذا وقد لعن الله من يأت المرأة في دبرها، وكذلك قال ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها»، رواه النسائي والترمذي.
(٢) رواه ابن سعد (٨/١٠٧) والنسائي (٢/٦٦) بسند صحيح. انظر: (آداب الزفاف ص ٥٩)، والأذكار النووّية (٢٤٣).
(٣) قال في القاموس: الوليمة طعام العرس وكل طعام صنع لدعوة وغيرها. وأولم: صنع.
(٤) متفق عليه.
(٥) نيل الأوطار (٦/١٩٨) وسبل السلام (٣/١٥٢ ـ ١٥٣).

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة ومنها:

١ ـ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمٰن بن عوف أثر صفرة[١] فقال: ما هذا؟! قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن (نواة) من ذهب، قال: بارك الله لك، أولم ولو بشاة)[٢].

وجاء عن بعض المالكية أن ـ النواة ـ عند أهل المدينة ربع دينار، وفي هذا الحديث دليل على أنه يدعى للعروس بالبركة، وفيه أيضاً خفض لمقدار المهر وعدم التعسف فيه، مما يسهل أمر الزواج وييّسره.

٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: (ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة)[٣].

٣ ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ في قصة صفية أن النبي ﷺ (جعل وليمتها التمر و الأقط والسمن)[٤].

ويدل هذا الحديث على أن الذبيحة ليست شرطاً في الوليمة، بل يجزىء (المعسر) إن لم يجد سعة أن يؤدي الوليمة بأي طعام تيسر ولو لم يكن فيه لحم.

والسنة في الوليمة أن تكون عقب ثلاثة أيام من الدخول

---

(١) صفرة: أثر الزعفران. وقد ورد فيه النهي، والقول بجوازه روي عن مالك وعلماء المدينة، (سبل السلام) (٣/ ١٥٢).
(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم. (سبل السلام ٣/ ١٥٢).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أحمد ومسلم (نيل الأوطار (٦/ ١٩٦)).

لأنه هو المنقول عن النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: (بنى ﷺ على امرأة فأرسلني فدعوت رجالاً على الطعام»[1].

ومن السنة أن يُدعىٰ إلى الوليمة الصالحون من الفقراء والأغنياء لقوله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي»[2].

وعن عمران بن حصين قال: (نهى الرسول ﷺ عن إجابة طعام الفاسقين)[3]. وينبغي عدم حضور الدعوة التي تشتمل على معاصٍ ومنكرات، (كالخمور والصور).

إلا إذا كان القصد إزالة المنكر وإنكاره فإن أُزيل وإلا وجب الرجوع.

ومن السنة لمن حضر دعوة الوليمة أن يدعو لصاحبها بعد الفراغ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه بعد أن فرغ من طعامٍ دُعي إليه، قال: «اللهم اغفر لهم وارحمهم وبارك لهم فيما رزقتهم»[4] وقال أيضاً: «أكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون»[5].

---

(١) اخرجه البخاري (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٤) والبيهقي (٧/ ٢٦٠) واللفظ له، وغيرهما.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم (٢/ ١٢٨) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (آداب الزفاف ص ٦٥).

(٣) انظر: مشكاة المصابيح (٢/ ٩٦٣)، وانظر: (كتابنا السنة مفتاح الجنة ص ٣٧٠)، وتحفة العروس ص ١٤١ وما بعدها.

(٤) رواه مسلم (٦/ ٢٢) وأبو داود (٢/ ١٣٥) وغيرهما.

(٥) رواه أحمد (٣/ ١٣٨) والطحاوي في المشكل (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) وانظر: (آداب الزفاف ص ٨٥).

ويسنُّ أيضاً أن يدعى للزوج وزوجه بالأدعية النبوية الثابتة ومنها:

(اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما)[1].

وقد نهى الإسلام عن التهنئة (بالرفاء والبنين) لأنها كانت تهنئة الجاهلية الأولى.

فعن الحسن أنّ عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة من جشم فدخل عليه القوم فقالوا: (بالرفاء والبنين)، فقال: لا تفعلوا ذلك؟ (فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك). قالوا: فما نقول يا أبا زيد؟ قال: قولوا: (بارك الله لكم وبارك عليكم، إنا كذلك كنّا نؤمر)[2].

شهر العسل:

لقد فُتن الشرق الإسلامي في هذا العصر بمفاتن الغرب ومفاسده واتّبعه في عاداته وتقاليده حتى انخرط في بوتقة الرذيلة، وتقلّب أبناؤه في حمأة الفاحشة وتخّبطوا في متاهات الزيغ والتشكيك، والإلحاد، وهذا كله من مخططات أعداء الإسلام وبخاصة الصهيونية العالمية أو ممّن يسيرون في فلكها.

إن ضلالة (شهر العسل) فتنة دخيلة غزت ديار العرب والمسلمين عن طريق الفرنجة (بلاد الغرب) الذين لا يهتمون بالعفاف والأخلاق ومثلهم الأعلى في الحياة هو شهوة البطن، وغريزة الجنس، وهذا ما يروّج له دعاة الانحلال والفساد في شرقنا العربي.

---

(١) رواه ابن سعد (٨/ ٢٠ ـ ٢١) والطبراني في الكبير (١/ ١١٢) (بسند حسن) وغيرهما.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٥٢/ ٢، والنسائي ٢/ ٩١، وأحمد وغيرهم. وانظره في (آداب الزفاف ص ٩٠).

ومما يؤسف له أن كثيراً من المنحرفين من أبناء أُمتنا قد قلّدوا الغربيين في عاداتهم، ومفاسدهم، فإذا أراد أحدهم ـ مثلاً ـ أن يتزوج نجده قد هيأ نفسه لقضاء أيام زفافه الأولى في إحدى البلاد العربية أو خارج الوطن العربي، وهناك تجرفه تيارات الفساد والانحلال، حيث معاقرة الخمور، ومجالسة أهل السوء والمنكر... أما العاقبة فلا يعلمها إلا الله...؟.

وبهذه المناسبة أودُّ أن أذكر حادثة مفجعة لإِحدى ضحايا (شهر العسل) لعلها تكون عبرة ودرساً للمعتبرين... فقد اطلعت على ما ذكره صاحب كتاب (تحفة العروس) عن مصير إحدى الفتيات ـ النساء ـ من اللواتي قضيْن (شهر العسل) وذكر ما حلَّ بها من فضيحة وعار... ومما قاله: (... علمت أن فتاة تزوجت شاباً يشرب الخمر، فسافر بها لقضاء شهر العسل في أحد الفنادق في لبنان، فأجبرها على الشرب في الليلة الأولى قبل الدخول بها فسكرت، وسكر، ثم خرجت من غرفتها لقضاء حاجتها، ولما رجعت دخلت غرفة غير غرفتها بسبب السّكر. وكان فيها رجل فافترسها وبقيت عنده حتى الصباح، كان زوجها قد استسلم للنوم نتيجة السكر...

فكان ما كان مما لست أذكره
فظُنَّ شراً ولا تسأل عن الخبر[1]

(١) انظر: تحفة العروس (ص٣٤ ـ ٣٥).

وبعد: فهذا بعض ما يجري لروّاد شهر العسل؟ الذين لا يجلبون لأنفسهم إلا الخيبة والفشل والسقوط إلى الدرك الأسفل...؟! فهذه تذكرة فهل من مُدّكر؟!.

وإني لأذكر بالحكمة الخالدة: السعيد من اتّعظ بغيره، والشقيّ من اتّعظ بنفسه؟!...

حقوق الزوجين:

١ ـ حق الزوجة على زوجها:

سنتحدث فيما يلي عن حق الزوجة على زوجها كما نصت على ذلك الشريعة الإسلاية، فقد ورد في ذلك آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩].

وكذلك فقد ورد في هذا الموضوع أحاديث نبوية نذكر منها:

قال رجل من الصحابة: يا رسول الله؟! ما حقّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن نطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح[١] ولا تهجر إلا في البيت»[٢].

(١) أي: لا تقل لها قولاً قبيحاً ومنه (قبّحك الله) ولا تشتمها ولا تسمعها ما تكره، وكذلك يفهم من توجيهات الرسول ﷺ وجوب احترام شخصية المرأة وعدم إهانتها؛ فإن احترامها وتوقيرها يجعلها تنتصر على الضعف في نفسها ويُعزز شخصيتها مما يصونها من الإنزلاق إلى مهاوي الرذيلة والخطيئة.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما (حديث حسن).

وقال ﷺ: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمٰن (وكلتا يديه يمين) الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

قال ابن عباس: (إني أُحب أن أتزيّن للمرأة كما أُحبّ أن تتزيّن لي)[2].

ومن حقوقها على زوجها: أن ينفق عليها بحسب حاله من حيث النفقة واللباس والطعام والسكن والدواء. لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [سورة الطلاق: ٧].

وكذلك على الزوج أن يحميها في عرضها وبدنها ومالها ودينها ومن حقّ القيّم على الشيء حفظه ورعايته، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

وعلى الزوج أن يعلّمها الضروري من أُمور دينها، وإن عجز عن ذلك أذن لها أن تتعلم. وبحضور مجالس العلم للنساء في بيوت الله وغيرها إن كان هناك أمن من الفتنة...

كما عليه أن يحسن عشرتها لقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [سورة النساء: ١٩][3]. ومن حسن المعاشرة عدم

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) انظر: (تحفة العروس ص ١٧٦ وما بعدها).

(٣) وانظر: كتاب: المرأة المسلمة ص ١٠٠ وما بعدها، للشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله.

هضم حقها من الوطء، وعدم أذيتها بسبٍّ أو شتم أو إزدراء أو إهانة، وعدم ضربها إلا في حال نشوزها وتكبّرها فإن للزوج استعمال حق التأديب وهو وعظها أو هجرها في الفراش، أو ضربها ضرباً غير مبّرح.

ومن حسن عشرتها أن لا يمنعها من زيارة أقاربها إن لم يخش عليها الفتنة، وأن يحسن إليها في القول والعمل، وذلك لقول الرسول ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1].

وقوله: «ألا واستوصوا بالنساء فإنهن عوان عندكم»[2].

حق الزوج على زوجته:

وكما أن للمرأة على زوجها حقوقاً، فإن للرجل عليها أيضاً حقوقاً، وهذا ما أمر به الكتاب والسنة فعليهما الإلتزام بهما، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

هذا فقد ألزم الإسلام المرأة بواجبات عليها أن تؤديها لزوجها، وذلك وفق منهج الإسلام الحنيف. فقد قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨][3]. ومن هنا

---

(١) رواه الترمذي (٥/٧٠٩) وابن ماجه.

(٢) رواه الترمذي (٣/٤٥٨)، ومعنى عوان: أي أسيرات.

(٣) لقد جاءت أحاديث كثيرة مؤكدة لمعنى هذه الآية ومبيّنة ما للمرأة وما عليها إذا هي أطاعت زوجها أو عصته، فلا بدّ من إيراد بعضها لعل فيها تذكيراً لنساء زماننا، فقد قال تعالى: ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ وقال =

ندرك أن على المرأة إطاعة زوجها فيما يأمرها به في حدود استطاعتها، فإن هذا مما فضّل الله به الرجال على النساء، كما في الآية السابقة، وثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد[1] لزوجها»[2].

وعنه ﷺ أنه قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتِهِ فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية: «حتى يرضى عنها»[3]. وكذلك فقد جاءت امرأة إلى الرسول ﷺ فقالت: «يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟

فقال رسول الله ﷺ: أبلغي من لقيت من النساء: إن طاعة الزوج وإعترافها بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله!

لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه»[4].

= رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه ـ غير رمضان ـ ولا تأذن في بيته إلا بإذنه). البخاري وغيره.

(١) إن السجود لا يكون إلا لله وحده، والمطلوب من المرأة هو الأخلاص والتقدير والطاعة لزوجها في غير معصية الله».

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) رواه النسائي والبزار (حديث صحيح).

وقال ﷺ: إثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما «... وامرأة عصت زوجها حتى ترجع...»[١] الحديث.

وعن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: «أتيت رسول الله في بعض الحاجة، فقال لي: أيّ هذه! أذات بعل؟ قالت: نعم، قال: كيف أنت له؟ قالت لا آلوه[٢] إلا ما عجزت عنه، قال فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك!»[٣].

يتبين لنا من هذه التوجيهات النبوية الشريفة أنّ للزوج على زوجه حقوقاً كبيرة تقارب حدّ العبادة، وعلى المرأة حقّ الطاعة، وأن تشكره (زوجها) شكراً يليق بمقامه؛ لأنه طريق سعادتها إن التزمت بأمره بما يرضي الله، كما هو سبب شقاوتها إن خالفته وتعدّت حدود الله....

جاء في تفسير ابن الجوزي: «وللرجال عليهن درجة» وقالت ابنة سعيد بن المسيّب: (ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم!...»[٤].

كذلك فقد نهى الإِسلام عن هبة مالها إلا بإذن زوجها، فقد جاء في الحديث الشريف: (لا يجوز لامرأة هبة في مالها إذا ملك زوجها عصمتها! إلا بإذن زوجها)[٥].

---

(١) رواه الطبراني والحاكم.
(٢) أي لا أقصر في طاعته وخدمته.
(٣) رواه النسائي وأحمد وابن عساكر (وإسناده صحيح).
(٤) انظر: (تحفة المودود ص ١٧٩).
(٥) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه (والزيادة له) والحاكم وقال: (صحيح الإسناد ووافقه الذهبي) وهو كما قال: (تحفة العروس ص ١٨٣).

وهذا الحديث الشريف قد جهله كثير من المسلمين حتى العلماء منهم فكثيراً ما يتبجّحون بأن للمرأة حق الهبة في مالها ومطلب الإسلام عدْل، وفطري وكثيراً ما أدى مخالفته إلى النزاع بين الزوجين والتفريق بينهما. وكذلك فإنه لا يحقّ للزوج الإضرار بزوجته وأولاده عبثاً.

وكذلك لا يحلُّ للزوجة أن تطلب الطلاق إلا بحق. وقد جاء في الحديث الشريف: «أيّما امرأة طلبت من زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[١].

ومن الجدير بالذكر أن الحور العين يدافعن عن الرجل الصالح فقد قال ﷺ: «لا تؤذينّ امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا!!»[٢].

وكذلك فقد أعدَّ الله الجنة للمرأة الصالحة جزاء طاعتها لزوجها.

لما في الحديث: «المرأة إذا صلّت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»[٣].

وقال ﷺ: «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[٤].

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه (حديث صحيح).
(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وحسّنه.
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية، وله شواهد يرقى بها إلى درجة الحسن والصحة.
(٤) رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه (ترغيب).

فمن هذه الأحاديث الشريفة وغيرها يتبيّن لنا أن الواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتتجنّب سخطه، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرّف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدّم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وألا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبحٍ إن كان فيه.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخدّ وجهها»[1].

وقال ﷺ: «نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى)[2].

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والإبتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته وفي فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة، وتعاهد الفم بالسواك، وبالمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته، وتركها الغيبة، وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيراً[3].

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها

---

(١) انظر: الكبائر ص ١٧٤ للحافظ الذهبي.

(٢) رواه الطبراني ورواته محتجّ بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي (الترغيب للمنذري).

(٣) انظر: الكبائر ص ١٧٥.

الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها. وأيّما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأيّما امرأة كلحتْ في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه...»[1].

وإني لأذّكر الزوجات بهذا الحديث الجامع (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقّه عليها. والذي نفسي بيده لو أن قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصَّديد ثم أقبلت تلحسه ما أدّت حقّه[2].

أيتها الزوجة المسلمة: إني أُنذرك وأُخطرك، أُنذرك بأن النبي ﷺ، عُرضتْ عليه النار ورأى أكثر أهلها النساء، فقد قال ﷺ: «رأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع!؟ ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: يكفرن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ـ الزوج ـ ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط...»[3].

---

(١) انظر: الكبائر ص ١٧٥ للإمام الذهبي.

(٢) رواه أحمد والنسائي (صحيح الجامع ٧٧٢٥).. لعل هذا الحديث يكون زاجراً للمرأة العاصية المتمرّدة على زوجها، المخالفة لأوامر ربها، وعلى كل زوجة شرسة خارجة على طاعة زوجها أن تتدبَّر نصوص الكتاب والسنة وأن تراجع نفسها قبل يوم الحسرة، وأن تتقي الله في زوجها الذي هو جنّتها ونارها. ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾.

(٣) رواه البخاري..

هذه نصيحة نبوية فعلى الزوجة الامتثال لها وعدم التنكر لها. كما ينبغي عليك أيتها المؤمنة أن تلتزمي بكتاب ربك وسنة نبيّك، واعلمي أن المرأة الولاّجة الخّراجة مذمومة، وذلك مما يؤدي إلى فقد الحياء، وإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان، ولا قيمة لامرأة لا حياء فيها... واعلمي أنك أعجز أن تطيقي عذاب النار، فإن الجبال لو سيّرت في النار لذابت، فأين أنت من الجبال الراسيات والصمّ الشامخات؟ فانقذي نفسكِ من النار فإن متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى...

نكاح المجوسيات والوثنيات:

إعلم يا أخي (زادك الله علماً) إنّما حرم الإسلام نكاح الوثنية والمشركة لأن الزواج من الكافرة والمخالطة معها ـ مع قيام العداوة الدينية ـ لا يحصل السكن والمودة الذي هو قوام مقاصد النكاح، ولأن فيه تعريضاً للولد على التخلق بأخلاق أهل الكفر ولا يرد هذا على نكاح الكتابية لأنه إنما جاز لرجاء إسلامها لأنها لما آمنت بكتاب ورسول فقد آمنت بالكتب والرسل في الجملة، إلا أنها أخبرت بالأمر على خلاف حقيقته.

والزوج يكشف لها حقيقة الإسلام ويدعوها إليه، فكان في نكاح المسلم إياها رجاء إسلامها بخلاف المشركة فإنه لما لم يوجد عندها أصل الإيمان بالشرائع والرسل لم يكن زواج المسلم إياها مظنّة إسلامها فكان تحريمها هو المصلحة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ

﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١].

وكذلك الحال في حرمة نكاح المسلمة الكافر لأن فيه خوف وقوع المؤمنة في الكفر لأن الزوج يدعوها إلى دينه والنساء في العادات يتبعن الرجال ويقلدونهم في الدين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١][1].

جعل الدعاء إلى الكفر دعاء إلى النار لأنه يوجب النار[2]. والعياذ بالله من النار وأهلها.

هذا فقد اتفق العلماء على أنه لا يحل للمسلم أن يتزوج الوثنية ولا الزنديقة ولا المرتدة عن الإسلام ولا عابدة البقر، ولا المعتقدة لمذهب الإباحة كالوجودية ونحوها من مذاهب الملاحدة. ودليل ذلك ما بيناه في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.

قال صاحب المغني: (وسائر الكفّار غير أهل الكتاب ـ كمن عبد ما استحسن من الأصنام والأحجار والشجر والحيوان ـ فلا خلاف بين أهل العلم في تحريم نسائهم وذبائحهم). قال: (والمرتدّة يحرم نكاحها على أي دين كانت)[3].

(١) السورة السابقة الآية نفسها.
(٢) انظر: حكمة التشريع (٦٥ ـ ٦٦) لجماعة من علماء الأزهر، راجعه وصححه عبد الله الصباغ/ مطبعة الدباغ بحماة.
(٣) انظر: فقه السنة ٢/٩٩ ـ ١٠٠.

زواج نساء أهل الكتاب:

وبعد أن تحدثنا عن حرمة زواج المسلم من المشركة كان لا بدّ لنا من إلقاء الضوء على مشروعية زواج المسلم من الحرّة من نساء أهل الكتاب، فقد بيّن الله لنا في كتابه العزيز مشروعية ذلك، ولنستمع: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [سورة المائدة: ٥].

قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرّم ذلك.

وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن زواج الرجل بالنصرانية أو اليهودية، قال: حرّم الله المشركات على المؤمنين، ولا أعرف شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربّها عيسى، أو عبد من عباد الله.

وتزوج عثمان رضي الله عنه نائلة بنت القرافصة الكلبية النصرانية، وأسلمت عنده، وتزوج حذيفة يهودية من أهل المدائن.

وسئل جابر عن نكاح اليهودية والنصرانية فقال: تزوجنا بهنّ زمن الفتح مع سعد بن أبي وقاص(١).

كراهة الزواج منهن:

والزواج بهنّ ـ وإن كان جائزاً ـ إلّا أنه مكروه، لأنه لا

(١) انظر: فقه السنة ٢/١٠١.

يؤمن أن يميل إليها فتفتنه عن الدين، أو يتولى أهل دينها.

فإن كانت حربيّة[1] فالكراهية أشدّ، لأنه يكثر سواد أهل الحرب.

ويرى بعض العلماء حرمة الزواج من الحربيّة[2]. فقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تحلّ، وتلا قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٢٩].

قال القرطبي: وسمع بذلك إبراهيم النخعي فأعجبه.

حكمة إباحة التزوج منهن:

وإنما أباح الإسلام الزواج منهن ليزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام. فإن في الزواج المعاشرة والمخاطبة وتقارب الأسر بعضها ببعض، فتتاح الفرص لدراسة الإسلام، ومعرفة حقائقه ومبادئه ومثله. فهو أسلوب من أساليب التقريب العمليّ بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب[3]، ودعاية للهدى ودين الحق.

---

(١) الحربيّة: المقيمة في غير ديار الإسلام.

(٢) للمزيد: راجع: تفسير المنار: ٢/٣٥٦ وما بعدها. فهو سفْرٌ نافع ومفيد.

(٣) أما المشركة فلا يحل للمسلم الزواج منها لأنه ليس لها دين يحرم الخيانة ويأمرها بالخير فهي تخون زوجها وتفسد عقيدة ولدها، بعكس الكتابية فإنها تؤمن بالله وبالأنبياء وبالحياة الأخرى، وتدين بوجوب عمل الخير مع أنها لا تؤمن بنبوة محمد ﷺ.

فعلى من يبتغي الزواج منهن أن يجعل ذلك غاية من غاياته، وهدفاً من أهدافه[1]. . . .

الملابس الشرعية للمرأة:

كرّم الإِسلام المرأة وصانها عن التبذّل ورفع من قدرها وأمرها بستر جسمها حفظاً لكرامتها، كما أعطاها حقها في الحياة الحُرة الكريمة، الحافلة بالإِعزاز والتكريم والسعادة.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٦].

لقد بيّن الإِسلام الشروط والأوصاف للملابس الشرعية التي تستر المرأة وتصونها عن أنظار الأجانب من الرجال، وهي كما يلي:

١ ـ استيعاب البدن أي شموله كله. إلّا ما استثناه الشارع وما استثنى إلّا الوجه والكفين لعامة النساء.

٢ ـ ألّا يكون الثوب زينة في حدّ ذاته. قال عز وجل: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [سورة النور: ٣١]. فإنه بعمومه يشمل الثياب الظاهرة إذا كانت مزينة تُلفت أنظار الرجال إليها.

٣ ـ ألّا يشفُّ عما تحته. وأن يكون صفيقاً، لأن الشفاف يزيد المرأة فتنة وزينة وبذلك تستحق اللعنة لأنها تكون كاسية بالاسم عارية في الحقيقة. . .

---

(١) انظر: فقه السنة ٢/١٠١ ـ ١٠٣، والحلال والحرام ص ١٧٨ وما بعدها.

٤ ـ وأن يكون فضفاضاً أي غير ضيق، ويجب ألّا يصف الثوب جسم المرأة.

٥ ـ ويجب ألّا يكون فيه أثر للعطور أو الطيب ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»[١].

٦ ـ وألّا يشبه ملابس الرجال: فقد ورد في السنة الوعد والوعيد للرجل الذي يتشّبه بلباس المرأة وبالعكس. قال ﷺ: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»[٢].

٧ ـ وألّا يشبه الملابس التي تظهر فيها نساء غير مسلمات. فعن عبد الله بن عمر قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»[٣].

٨ ـ ويجب ألا يكون من ملابس الشهرة: يجب أن يكون لباس المرأة لباساً عادياً لا يقصد منه الإختيال والافتخار على الأقران، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شُهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً»[٤].

---

(١) رواه أبو داود والنسائي ٢/ ٢٨٣ وغيرهما. انظر: كتابنا: (السنة مفتاح الجنة ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم. للمزيد انظر: (حجاب المرأة المسلمة ص ٦٧ ـ ٦٨).

(٣) رواه أحمد ٢/ ١٦٢ ومسلم ٦/ ١٤٤ وغيرهما وراجع: (نيل الأوطار ٢/ ١٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود ٢/ ١٧٢ وابن ماجه ٢/ ٢٧٨، انظر: (حجاب المرأة المسلمة ص ١١٠).

هذه هي جملة شروط ملابس المرأة المسلمة التي ينبغي أن تلتزم بها فعلى كل مسلم غيور، أن يطبّق هذه الشروط وأن يحققها في ملابس زوجته أو ابنته أو أخته وكل من له عليها حق الولاية والرعاية.

أزياء النساء الفاضحة:

وبعد أن تكلمنا عن الملابس الشرعية للمرأة نوّد أن نلقي الضوء على أزياء النساء الفاضحة التي تفتن الشباب، وتزيد في هيجانهم، وبخاصة المراهقين منهم. حيث لا يستطيع أحدهم أن يشعر بشيء من الإستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة، إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات، الكاشفات عن الجسد ببصره، فضلاً عما يندفع بغريزته إلى ما وراء ذلك.

من الذي يخترع هذه الأزياء؟!

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمّ الفوضى كل الأنحاء، وأن يجتثّوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات... لتنحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها!!..

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا، وأخلاق غير أخلاقنا.

إن شعور التبعية النفسية، والإحساس بالنقص... والانخراط في بوتقة التقليد الأعمى.. هو الذي يحمل النساء غير الواعيات في بلدنا أن ينسقن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء...

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها، ويحيلها إلى مسخٍ شائه باسم الرقيّ والتحضر والتقدمية... ومما يجسّم الخطَر أن تيار العبث بالأزياء لا يقف عند حدّ، بل إنه يولع بكل غريب، ويتجه إلى كل ما يلفت الأنظار ويثير العجب!!.

لقد تفننت الأزياء في إبراز الفتنة والإِغراء فلم تدع لذلك وسيلة إلّا اتجهت إليها مهما بدت معيبة ممجوجة، ومهما امتهنت كرامة الإِنسان، وأحالته إلى سلعة أقل من الحيوان!!.

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل ما يختاره لها العابثون، وقد وقر في أذهان النساء أن التخلف عن هذه (الأزياء العالمية) كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن مواكبة المدنية والتقدم..

ولئن كانت المرأة الأوروبية أو الأمريكية... لا ترى بأساً في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء، فإن المرأة المسلمة لا بد أن ترى في هذا التيار بأساً وأي بأس!!؟.

أن ترى فيه بأساً لما يصيب العزّاب من كبت، وما يجرّهم إلى الفوضى الجنسية والانحلال. أن ترى فيه بأساً لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سراً لتحصل على المال، حتى تظهر بمظهر فاتن جميل حين ترتدي هذه الأزياء!!.

أن ترى فيه بأساً لما يقع بين الأزواج والزوجات من

مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد.

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية، وأن تحافظ على استقامة المجتمع، وطمأنينته، وأن ترحم المراهقين والعزّاب بما تظهر به من مظهر الحشم والكمال، وبما ترتديه من زي الجلابيب والحجاب وإلا... فإنها تعتبر شرعاً حائدة عن مبادىء الإسلام. ومسترسلة في متاهات الفسوق والعصيان، خاضعة للهوى، منقادة للضلال... وبؤرة فساد ومصدراً للميوعة والإنحلال.!!؟

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الاحزاب: ٣٦].

من هم مبتكرو الملابس القصيرة؟!

فإني لأحب أن ألفت النظر في هذا الموضوع إلى نقطة جوهرية في مسألة الأزياء التي نستوردها، هي أن أغلب معامل الأقمشة ومصانع العطور والمساحيق إنما يملكها اليهود في الغرب واليهود هم وراء مغريات النساء، وهم المستفيدون من سيرنا في طريق الأناقة المزعومة؟!!

واليهود كما ثبت في هذا العصر يسعون إلى أن يسيطروا على العالم، ويحكموه بعد القضاء على الحكومات العالمية جميعاً.

وأسلوبهم في السيطرة ذو شقين، أولهما: الإستيلاء على المال في كل بلد ينزلونه، وهذا قد تحقق لهم حيثما وجدوا، لأنهم قوم يقيمون تعاملهم على إبتزاز الأموال بوسائل غير

مستقيمة مثل الربا[١]. وثانيهما: هدم الأخلاق والمثل والقيم والمعتقدات، واليهود يعلمون حق العلم أنهم إذا هدموا الأخلاق تهدمت الشعوب، وانهارت أمامهم. قال الشاعر[٢]:

وإنـمـا الأمـم الأخـلاق مـا بـقـيـت

فـإن هـم ذهـبـت أخـلاقـم ذهـبـوا

ولا عجب، فاليهود هم مبتكرو الملابس القصيرة الفاضحة وذلك لإفساد المجتمع الإسلامي، وهذا من خططهم كما يظهر ذلك بوضوح في بروتوكولات (حكماء صهيون).

ومن هنا نصل إلى النقطة الجوهرية في بحثنا، فقد عمل اليهود على السيطرة على معامل الملابس، والمساحيق والعطور وسواها من مستلزمات (الموضة).

وهم بذلك يتوصلون إلى تحقيق الغرضين، فيسيطرون على المال، ويفسدون الدين والأخلاق.

إنهم يعملون على بيع أكبر مقدار ممكن من الملابس ومنتجات الأزياء إلى نساء العالم، فكلما غيّروا الأنماط زادوا النساء شراء وإنفاقاً، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق القومية للشعوب، فيشيعون التفسخ وينشرون الشهوات، وإنما الملابس القصيرة إبتكار يهودي، فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة، ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة،

---

(١) راجع كتاب (اليهودي العالمي) جمع هنري فورد.

(٢) هو أمير الشعراء أحمد شوقي، المتوفى سنة (١٩٣٢ م) رحمه الله وهذا البيت من درر حكمه.

ويشيع الاختلاط غير البريء بين الشبان والشابات، وتضيع طهارة الفتاة، وتتهدم الأسرة، وتنتشر الأمراض الجنسية، ويبتلى الأطفال الأبرياء، وينشأ جيل ضائع موبوء مريض، كل هذا يصنعه اليهود ونحن غافلون!؟ والمرأة العربية تسعى إلى حتفها وحتف أمتها، فهل آن لها أن تعرف هذا وتفيق من أحلامها؟!!

إن طريق الخلاص قد بيّنه لنا القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم فمن تمسّك به والتزم بتعاليمه نجا ومن تنكّبه ضلّ وغوىٰ.. وحسبنا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

لزوم المرأة البيت:

يرى الفقهاء وجوب لزوم المرأة بيتها، فلا تخرج إلا لقضاء حاجة لقوله عليه الصلاة والسلام لسودة (رضي الله عنها): «وقد أذن الله لكنّ أن تخرجن لحوائجكن»[١].

ويشترط في ذلك أن يكون بإذنه (الزوج). قال المالكية: عليها أن تلزم بيتها، فلا تخرج لمحل تعلم أنه لا يأذن فيه[٢].

وفي المنهاج للنووي رحمه الله: والمرأة ناشزة خارجة عن طاعة الزوج إذا خرجت من مسكنه بغير إذنه[٣].

(١) أخرجه البخاري في باب خروج النساء لحوائجهن (٩/ ٢٧).
(٢) حاشية الدسوقي على شرح الكبير (٢/ ٣٤٥).
(٣) المنهاج بشرح الدسوقي (٣/ ٣٠٠).

وأسقط الأحناف نفقة الزوجة إذا خرجت لعمل، وزوجها عنه غير راضٍ[1]. ذلك أن الأصل هو قرار المرأة في البيت، فلا تخرج إلا لحاجة وبإذن من الزوج. ولأن عقد النكاح الصحيح أوجب على الرجل المهر والنفقة وأوجب عليها القرار في البيت لتكون محبوسة عليه، ولتقوم برعايته وأولاده.

ومن حق الرجل ألا تخرج زوجته من البيت إلّا لحاجة ماسة، لأن خروجها يعطل عليه مصالح كثيرة في نفسه، وفي بدنه، ولهذا فقد جعل الشرع للزوج الحق ألا يأذن لها إلا لزيارة والديها وعيادتهما.

أما خروج المرأة على الوجه الذي نراه الآن في الشوارع والملاهي والمتاجر والأسواق فهو ما لم تقرّه الشريعة الإسلامية ذلك لأن الأصل في التشريع صيانة المرأة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

وعلى هذا فقد شرع الله للمسلمين أن يعملوا على استقرار المرأة في البيت فإذا خرجت لا لحاجة، وبدون إذن زوجها كانت ناشزاً لا تستحق النفقة، وهو ما أجمع عليه العلماء.

وقرار المرأة في البيت يعينها على إسعاد زوجها، ورعاية الأولاد، وأن تكون دائماً في عون الأسرة.

---

(١) حاشية ابن عابدين (٢/ ٦٨٤).

وليس لقرارها في البيت إلا معنى الصيانة، صيانة نفسها، وصيانة زوجها كذلك، فلا تأذن في بيتها إلا بإذن زوجها، ولا تخلو برجل إلا أن يكون ذا محرم.

والأحاديث الصحيحة تؤكد ذلك. فعن علقمة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله؛ أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»[1].

وله ـ أي من حق الزوج عليها ـ ألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه وما أنفقت من نفقة من غير أمره، فإنه يؤدى إليه شطره»[2].

قال الفقهاء: ويستوي في ذلك أن يكون البيت ملكاً له أو ملكاً لها، أو مؤجراً من قبلها أو قبله.

وفي قرارها في البيت تمتعه بها، ولهذا إذا أرادت أن تصوم تطوعاً لا يحل لها ذلك إلا بإذنه، ويحرم عليها أن تصوم تطوعاً إلا أن يأذن لها.

وفي ذلك قال النووي في شرح المهذب: (وسبب هذا

(١) اخرجه البخاري في باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم.
(٢) صحيح البخاري في باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (٩/ ٢٤٢).

التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت، وحقه واجب على الفور، فلا يفوته بالتطوع، ولا بواجب على التراخي)[1].

كذلك فلا تخرج من بيتها إلا بإذنه، ولو كانت ذاهبة للصلاة في المسجد... فعن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها».

واشترط في ذلك الاستئذان، والإِذن بالخروج، كما اشترط أمن الفتنة فإن خيف الفتنة فلا يؤذن لها..

ولقد تحرّى فقهاء المسلمين في كل ذلك المصلحة، وجعلوها وحدها المعيار الذي تبنى عليه قواعد المجتمع المسلم، وعليه فقد رأوا تقديم الواجب على غيره، واحتاطوا في ذلك وبالغوا في الاحتياط، فما كان واجباً لا يقدم عليه دونه.

قال في المهذب: (وللزوج منع الزوجة من الخروج إلى المساجد وغيرها ـ إن كان في المنع مصلحة ـ لأن حق الزوج واجب، فلا يجوز تركه بما ليس بواجب)[2].

ولعل من المفيد أن نذكر أقوال بعض الغربيين ـ في هذا الصدد ـ ومنها:

قالت الدكتوره (إيلين): (إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم والمنزل هي الطريقة الوحيدة لإِنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه).

---

(١) ابن حجر/ فتح الباري (٩/ ٢٤٣) نقلاً عن النووي في شرح المهذب.
(٢) المهذب للشيرازي (٢/ ٦٦).

ولقد اجتمع مجلس (الكونغرس الأمريكي) لمناقشة موضوع منع الأم التي لديها أطفال من الاشتغال خارج البيت مهما كلفها ذلك، فقال عضو منهم في تبرير هذا المنع: (إن الله ـ عز وجل ـ عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج بل جعل مهمتها في البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال). وقال آخر؛ (إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً، إذا بقيت في المنزل الذي هو مقرّ الأسرة وكيانها). وقال ثالث: (إن الأم كالفيتامين إذا حرم الأولاد منها مرضوا وماتوا)[1].

ونشرت جريدة (الإيڤننج ستاندرا) في شهر مارس سنة ١٩٥٣ م بحثاً للدكتوره (ايدالين) بيّنت فيه أن سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها، لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل، وانخفض مستوى الأخلاق، وتنادي الخبيرة الأمريكية بضرورة عودة الأمهات فوراً إلى البيت حتى تعود للأخلاق حرمتها، وللأبناء والأطفال الرعاية التي حرمتها منها رغبة الأم في أن ترفع مستواها الاقتصادي[2].

فتنة الاختلاط:

وضع الإسلام الحنيف قواعد أساسية تحدّد لأتباعه حدودهم التي ينبغي ألا يتجاوزها؛ وذلك حفظاً للمجتمع الإسلامي من التسيّب والضياع.

---

(١) انظر: مجلة التضامن الإسلامي ص ٦٠/ ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م/ مكة المكرمة.

(٢) انظر: مجلة التضامن الإسلامي ص ٥٩/ ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م/ مكة المكرمة.

وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث تبيّن الآداب الإسلامية التي يجب أن يلتزم بها الرجال والنساء في سلوكهم واجتماعاتهم وسائر شئونهم... وهذه بعض النصوص التي ترشدنا إلى ذلك:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩][1].

فالإسلام لا يجيز للمرأة أن تبدي من زينتها ولا من سائر جسمها إلا وجهها وكفيها من غير زينة، وذلك لصيانتها، وحفظ كرامتها، وطهارتها، وكذلك لا يجيز الإسلام أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها، ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها، وفي الحديث الشريف: (ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)[2].

وقال ﷺ: «لا يخلونّ أحدكم بإمرأة إلا مع ذي محرم»[3].

وكما يظهر لنا من هذه النصوص فالإسلام لا يجيز أن تختلط المرأة بالرجال في الحفلات العامة والمنتديات، ولو كانت محتشمة وإنما الذي يجيزه الإسلام أن تجتمع المرأة مع الرجال في ثلاث مواطن[4]:

---

(١) ونلاحظ في هذه الآية الكريمة بأنه ينبغي على المسلمات إطالة ثيابهن وإدناء بعض أطرافها من البعض الآخر، حتى تستر الصدور والظهور وسائر الجسم، لصونهن من الأذى والضرر.

(٢) رواه أحمد.

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: كتابنا (الكاشف الفريد (٢/٣١٦) وما بعدها.

١ ـ مواطن العبادة: يجوز أن تحضر صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الجماعة على أن يكون مكانها منفصل عن الرجال.

٢ ـ في أماكن العلم: فيجوز أن تحضر المرأة مجالس العلم مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم أيضاً، وأن تكون مرتدية اللباس الشرعي. الذي لا يبدي غير وجهها وكفيها.

٣ ـ في ميدان الجهاد حين يُعلن النفير العام: فتخرج للجهاد مع الرجال على أن تكون منفصلة عنهم لها مكانها الخاص وتجمعاتها الخاصة.

وفلسفة الإِسلام في هذه الأحكام متمشية مع فلسفته الخاصة بالمرأة؛ فهو يرى أن إكرامها يكون بالاعتراف بحقوقها التي تقتضيها أهليتها، وبإبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات، حتى تكون سمعتها العطرة ـ كفتاة ـ يتزاحم الشباب على الاقتران بها، وكزوجة يتحدث الناس عن إخلاصها لزوجها واستقامتها، وكأم تعرف كيف تغرس في نفوس أبنائها وبناتها معاني الشرف والفضيلة والكرامة والرجولة الكاملة والأُنوثة الفاضلة[١].

هذه بعض الحقائق الشرعية التي يجب أن تراعى في المجتمع الإِسلامي وما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الرجل والمرأة من حيث الاختلاط أو الاجتماع العام..

أما موقف الغربيين من الاختلاط، فإنّا نجد عقلاءهم قد

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون: ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

أحسُّوا بالضياع والمصير السيء الذي آل إليه مجتمعهم؛ حيث انتهى إلى ما انتهى إليه مصير الرومان، نتيجة الإِفراط في تبرج المرأة واختلاطها، وفي هذا يقول العلامة (لويز برول) تحت عنوان[1]: الفساد السياسي ما يأتي: (إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان، ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله في الزمن الحاضر؛ يعني أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة.

ثم أخذ هذا العالِم يقارن بين العلامات المنذرة اليوم، وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى قال:

لقد كان الرجال السياسيون ـ في آخر عهد الجمهورية الرومانية ـ يعيشون صحبة النساء ذوات الطوابع الخفيفة، اللاتي كان عددهن بالغاً حد الكثرة، فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد؛ ترى الناس اندفعوا إلى تيار الحب البالغ حد الجنون، وراءَ البذخ واللذات)[2].

وقالت الكاتبة الإنجليزية (اللادي كوك) في جريدة (الايكو): إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاءُ ا لعظيم على المرأة، ثم قالت: يا أيها الوالدان، لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها، ومصيرهن إلى ما ذكرنا، وقالت أيضاً:

---

(١) مجلة المجلات: مجلد (١١) عن المرأة بين الفقه والقانون: ص ١٨٦.
(٢) راجع دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي: (٨/ ٦٢١).

(علّموهنّ الابتعاد عن الرجال. أخبروهنّ بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلّنا الاحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم، حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال. ألم تروا أن أكثر أُمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل، والخادمات في البيوت، وكثير من السيدات المعرضات للأنظار، ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن!!. لقد أدَّت بنا هذه الحال إلى حدّ من الدناءة لم يكن تصوّرها في الإمكان، وهذا غاية الهبوط بالمدنّية)[1].

وبعد: فهذه بعض نظرات الإسلام في الاختلاط وهي تكشف عن فداحة فساده؛ إذ أنه سبب للفاحشة، وانحلال المجتمع... وكذلك فقد عرفنا بعض آراء ومفكري الغرب التي تنادي بالابتعاد عن الإختلاط وعودة المرأة إلى بيتها مكانها الطبيعي، وعشَّها الطاهر...

فعلى المسلمين الحذر من مفاتن الإختلاط وأن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله وسخطه...

إننا نناشد فيهم غيرتهم على نسائهم وأعراضهم، ونخاطب فيهم شهامتهم صوناً لمحارمهم، فضلاً عن دينهم وأخلاقهم...

فيا أيها العقلاء وأصحاب الغيرة إحذروا واعتبروا ولا تنخدعوا بسراب الغرب وشعاراته الهدّامة، فالسّعيد من اتعظ بغيره...

(١) انظر: مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا: (٤/٤٨٦).

ذهاب المرأة إلى الكوافير:

أرشدنا الإِسلام الحنيف إلى الأوامر والنواهي التي من التزم بها سعد في الدنيا والآخرة، والحديث عن ذهاب المرأة إلى الكوافير ليزيّنها وهو رجل أجنبي عنها فهو حرام ومخالف لتعاليم الإِسلام، لأن غير الزوج والمحرم لا يجوز له أن يمسّ امرأة مسلمة، ولا يجوز لها أن تمكّنه من أن يمسّ جسدها. ففي الحديث الشريف: (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحلّ له)[١].

وكثيراً ما يحدث أن تبقى المرأة وحدها في محل (الكوافير) فترتكب حراماً آخر، وهو الخلوة بالأجنبي[٢]... وما أدى إلى هذا كله إلا الشرود عن نهج الفطرة والاستقامة والاعتدال الذي هو منهج الإِسلام، وحسب المسلمة الحريصة على دينها وإرضاء ربها أن تتجمّل في بيتها بما أُتيح لها وأن يكون همّها التزّين لزوجها فقط لا لشياطين الشارع، كما هو بدع المدنيّة الوافدة التي تحركها اليهودية العالمية وتجار الفساد والإِنحلال...

ونصيحتنا هي: عدم الذهاب إلى محلات (الكوافير) إلّا إذا كانت صاحبتها امرأة ملتزمة وأمنت الفتنة.. وكذلك ننصح بعدم الذهاب إلى محلات التصوير، أو محلات الأشرطة والفيديو، وما شابهها؛ لأنها مفسدة للأخلاق، ومواطن شبه،

---

(١) رواه الطبراني ورجاله ثقات، رجال الصحيح كما قال (المنذري): ورواه البيهقي أيضاً، والمخيط: آلة الخياطة كالإِبرة والمسلة وغيرهما.

(٢) فتاوى معاصرة ص ١٤.

ووسيلة من وسائل فساد العقيدة والخُلق، فعلى المسلم الغيور وكل من في نفسه بقية نخوة وإيمان، أن يتجنّب وأُسرته مزالق الفتنة ومهاوي الفساد، وألا يخرجوا عن آداب الشريعة.

وصدق الله العظيم: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

لبس الباروكة:

جاء الإسلام الحنيف بمبادىء سامية فدعا إلى التجمّل والتزّين في توازن واعتدال، منكراً على الذين يحرمون زينة الله التي أخرج لعباده. لهذا جعل الزينة من مقدمات الصلاة...

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١][١].

وإذا كان الإسلام شرع التجمّل للرجال والنساء جميعاً فإنه قد راعى فطرة المرأة وأنوثتها، فأباح لها من الزينة ما حرّم على الرجل من لبس الحرير والتحلّي بالذهب...

ولكن الإسلام حرّم بعض أشكال الزينة التي فيها خروج على الفطرة، وتغيير لخلق الله الذي هو من وسائل الشيطان في إغوائه للناس ﴿وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾.

وفي هذا صحّ عن النبي ﷺ: «لعن الواشمة[٢] والمستوشمة، والواشرة[٣] والمستوشرة، والنامصة

(١) وانظر: فتاوى معاصرة ص ١٢ وما بعدها للدكتور القرضاوي.
(٢) الوشم: معروف من قديم، وهو النقش ـ عن طريق الوخز ـ باللون الأزرق.
(٣) الوشر: هو تحديد الأسنان، وتقصيرها بالمبرد.

والمتنمصة[1]، والواصلة[2] والمستوصلة». والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة.

كل هذه الأمور محرّمة ملعون من فعلها أو طلبها على لسان محمد ﷺ. وبهذا نعلم حكم ما يسمى (الباروكة). وما شابهها، وإدعاء أنها مجرد غطاء للرأس كذب وتضليل يخالف الواقع، فأغطية الرأس معلومة بالعقل والعُرف، وإنما هذه زينة وحلْية أكثر من الشعر الطبيعي نفسه. مع ما فيها من الغشّ والتزوير من ناحية، والإِسراف والتبذير من ناحية ثانية، والتّبرج والإِغراء من ناحية ثالثة، وكل هذه مؤكدات للتحريم.

روى سعيد بن المسيب قال: قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها، فخطبنا فأفرج كبّة من شعر (أي قصة ـ كما في رواية أخرى) قال: ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود... إن النبي ﷺ سمّاه (الزور) ـ يعني الواصلة في الشعر.

وفي رواية أنه قال لأهل المدينة: (أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه) ويقول: (إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم)[3].

وهذا الحديث نبهنا على أمرين:

الأول: أن اليهود هم مصدر هذه الرذيلة وأساسها من قبل، كما كانوا مروّجيها من بعد. فتّش عن اليهود وراء كل فساد.

(١) التّمص: هو زالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما أو نحو ذلك.
(٢) الوصل: المراد به: وصل الشعر بشعر آخر طبيعي أو صناعي كالباروكة.
(٣) رواه البخاري.

الثاني: أن النبي ﷺ سمى هذا العمل (زوراً) ليشير إلى حكمة تحريمه فهو ضرب من الغشّ والتزييف والتمويه، والإسلام يكره الغش قال ﷺ: «من غشنا فليس منا»[1]. مع ما ذكرناه من الحكم الأخرى[2].

إن لبس هذه الباروكة حرام، ولو كان في البيت لأن الواصلة ملعونة أبداً فإذا كان في الخارج وليس على رأسها غطاء فهو أشد حرمة لما فيه من المخالفة الصريحة، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [سورة النور: ٣١].

ولا يزعم أحد أن (الباروكة) خِمَارٌ. وإذا كان هذا حراماً على المرأة فهو أشدّ حرمة على الرجل من باب أولى.

أسأل الله أن يجنبنا الزلل وأن يهدينا سواء السبيل

---

(١) رواه مسلم [مختصر مسلم (١٢٣٥)] وصحيح الجامع (رقم ٦٤٠٦).

(٢) انظر: فتاوى معاصرة (ص ١٣ ـ ١٤) للدكتور القرضاوي.

الفصل السابع

المخدّرات (المُسكرات)؟!

- حكم المخدرات.
- الخمر.
- الحشيشة.
- الدخان (التبغ).
- حبوب الكنغو.
- القات.

المخدّرات (المسكرات)؟!

المخدرات (المسكرات):

وإذا كان من المحسوس والمشاهد للناس جميعاً، أن المواد المعروفة الآن (بالمخدرات) كالحشيش والأفيون والدخان والقات وأضرابها، لها من المضار الصحية والعقلية والروحية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية فوق ما للخمر، كان من الضروري حرمتها في نظر الإِسلام، إن لم يكن بحرفية النص فبروحه ومعناه وبالقاعدة العامة الضرورية التي هي أول القواعد التشريعية في الإِسلام، وهي: (دفع المضار وسدّ ذرائع الفساد).

حكم المخدرات؟

أجمع فقهاء الإِسلام[1] على تحريم (المخدرات) التي ظهرت في عهدهم ـ وعلى رأسها الخمر ـ وتبيّنوا آثارها السيئة في الإِنسان وبيئته ونسله، وعرفوا أنها فوق آثار الخمر الذي حرّمته النصوص الصريحة والواضحة في كتاب الله وسنة رسوله وحرّمه النظر العقلي السليم.

(١) فتاوى محمود شلتوت ص ٣٧٣.

لقد قرر الفقهاء حرمتها، وقرَّروا عقوبة تناولها، كما قرَّروا حرمة الاتجار بها وعقوبة المتجرين.

وقرَّروا أن استحلالها كاستحلال الخمر، وقد جاء في كتبهم (ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون؛ لأنها مفسدة للعقل، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، ويجب تعزير آكلها بما يردعه)[1].

وقال ابن القيّم (ت ٧٥١ هـ): (يدخل في الخمر كل مسكر، مائعاً كان أو جامداً، عصيراً أو مطبوخاً، واللقمة الملعونة[2] لقمة الفسق والفجور التي تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن)[3].

الخمر:

الخمر: هي تلك السوائل المعروفة المُعدّة بطريقة تخمّر بعض الحبوب أو الفواكه، وتحوّل النشا أو السكر الذي تحتويه إلى غَوْل (الكحول) بواسطة بعض كائنات حية لها قدرة على إفراز مواد خاصة، يُعد وجودها ضرورياً في عملية التخمّر.

وقد سميت خمراً لأنها تخمّر العقل وتستره أي تغطيه وتُفسد إدراكه[4]... ونحن لا نشك ولا يشك أحد من الناس

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٤.

(٢) اللقمة المعلونة: هي الحشيشة، هذه اللقمة التي تذهب بنخوة الرجال، وتميت فيه الشعور بالمسؤولية، والنخوة والكرامة، ويصبح عضواً شالّاً في المجتمع فيوبئه، ويفسده. وإذن فمن أوجب الواجبات العمل على ردعه وتقليم أظافره لحماية المجتمع من شرّه وفساده.

(٣) انظر: فتاوى الشيخ محمود شلتوت ص ٣٧٤.

(٤) انظر: الكبائر ص ٨٢ وما بعدها.

أن سعادة الإنسان معقودة بحفظ عقله، به يعرف الخير من الشر، والضار من النافع، والهُدى من الضلال، وبه رفع الله شأن الإنسان ففضّله وكرمه على كثير من خلقه.

ولمّا كانت الخمر أم الخبائث فقد حرّمها الإسلام على الناس صيانة للفرد والجماعة؛ لأن الإنسان إذا شربها سكر وإذا سكر فقد وعيه وسُلب إدراكه، وأصبح أشبه بالحيوان فيرتكب كل موبقة، ويأتي كل منكر ويفعل كل فاحشة، إذ لا يميّز بين بنته وزوجته، أو زوجته وخالته، ولهذا وغيره شدّد الشارع الحكيم في أمرها، وبالغ في النهي عنها. وعرضها في مشهد تتأذى منه أشد النفوس غلظة وقسوة. كيف لا؟ وقد نفى الرسول الأعظم الإيمان عن شاربها حيث قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1].

فالخمر من الكبائر والموبقات المهلكة التي ثبتت حُرمتها بالقرآن والسنة والإجماع، ولنستمع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٠ ـ ٩١][2]؟!

(١) رواه بن ماجه (٢/ ١٢٩٩). وراجع: (نيل الأوطار ٨/ ١٩٠ ـ ١٩٣).

(٢) وانظر: (تفسير ابن كثير ٢/ ٩٢ وما بعدها).

وقد احتوت الآية على جملة من أساليب التحريم القويّة ومنها:

١ ـ نظمت الخمرة مع مظاهر الشرك في توحيد الله وعبادته وهي (الأنصاب والأزلام) في سلك واحد.

٢ ـ وصفت الجميع بأنه رجس.

٣ ـ وصفت الآية الخمر بأنها من أعمال الشيطان لقبحها ومفاسدها.

٤ ـ أمرت الآية بإجتنابها (فاجتنبوه) ومعناه أن تكون الخمر في جانب والمؤمن في جانب منها بحيث لا يقربها فضلاً عن أن يتناولها.

٥ ـ علقت الآية على اجتنابه رجاء الفلاح والسلامة من الخسران.

٦ ـ أرشدت الآية إلى أثره السيء في علاقة الناس بعضهم مع بعض؛ بقطع الصلات ويعد لسفك الدماء، وإنتهاك الحرمات...

٧ ـ ومن آثاره الروحية قطع صلة الإِنسان بربه وخالقه[1]...

وكذلك فقد ورد في تحريمه (الخمر) عدّة أحاديث نبوية نذكر منها ما يلي:

---

(١) انظر كتاب الكبائر ص ٨١، وفتاوى الشيخ شلتوت ص ٣٦٠ وما بعدها.

١ ـ عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»[١].

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر». وفي رواية: «ثلاثة قد حرّم الله عليهم الجنة: مدمن خمر، والعاق لوالديه، والديّوث، وهو الذي يُقرّ السوء في أهله»[٢].

٣ ـ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه»[٣].

٤ ـ وروى البخاري ومسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب على منبر رسول الله فقال: أما بعد: «أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهو من خمسة أشياء من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل».

٥ ـ وعن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ نهاهم عن الجعة وهي: (نبيذ الشعير) أي (البيرة)[٤].

الحشيشة:

إن الحديث عن المخدرات يدفعنا للحديث عن الحشيشة. وهي المصنوعة من ورق القنب، وهي محرّمة كحرمة الخمر

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه أحمد والنسائي والبزار.. ومما يجدر ذكره أن الشارع الحكيم قد نهى عن عيادة شاربي الخمر والتسليم عليهم ومجالستهم وشهود جنائزهم، فليعلم.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه، وانظر: المشكاة (٢٧٧٧).

(٤) رواه أبو داود والنسائي. وراجع نيل الأوطار (٧/ ١٥٧).

يحدُّ شاربها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتىٰ يصير في الرجل تخنّث، ودياثة وغير ذلك من الفساد.

والخمر أخبث من جهة أنها تُفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها، ورأى أن أكلتها تعزَّر بما دون الحدّ حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج. ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً، وليس كذلك بل أكلتها ينشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، حتى لا يصبروا عنها وتصدّهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من الدّياثة والتخنّث، وفساد المزاج والعقل، وغير ذلك[1].

لكن لما كانت جامدة مطعومة ـ ليس شراباً ـ تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره، فقيل:

هي نجسة كالخمر المشروبة، وهذا هو الاعتبار الصحيح.

وقيل: لا، لجمودها.

وقيل: يفرّق بين جامِدها ومائعها.

وبكل حال: فهي داخلة فيما حرّم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى.

---

(١) انظر: الكبائر ص ٨٦.

قال أبو موسى: يا رسول الله إفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن (البتْع) وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، و (المزر) وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله، قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال ﷺ: «كل مسكر حرام»[1]. وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

ولم يفرّق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً، على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يُشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام...

هذا فكل ما يضرّ فأكله أو شربه حرام، للقاعدة العامة المقررة في شريعة الإسلام، وهي أنه لا يحل للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئاً يقتله بسرعة أو ببطء (كالسم بأنواعه) أو يضره، أو يؤذيه. ولا أن يكثر من طعام يُمرض الاكثار منه، فإن المسلم ليس ملك نفسه، وإنما هو ملك دينه وأمته، وحياته وصحته وماله ونِعَمْ الله كُلّها عليه وديعة عنده، ولا يحلّ التّفريط فيها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٩].

لقد أجمع فقهاء الإسلام على هذه الحرمة (حرمة الخبائث) وكان في طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨) الذي قال: (هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أم لم

---

(١) رواه مسلم، وانظر: المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٨٧.

يسكر... وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور والذلة، وفيها مع ذلك فساد المزاج والعقل، وفتح باب الشهوة، وما توجبه من الدياثة (فقدان الغيرة) ما هو شرّ من الشراب المسكر. وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار، وعلى تناول القليل، والكثير منها حدّ الشُرب ـ ثمانون سوطاً أو أربعون ـ ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الوجوه، ويعاقب على ذلك كما يعاقب هذا. قال: (وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر، والزنا، ففيه الحد، وما لا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير، والحشيشة مما يشتهيها آكلها، ويمتنعون عن تركها، ونصوص التحريم في الكتاب و السنة على من يتناولها وكما يتناول غير ذلك)[1].

قال بعض العلماء: (إن من قال بحلّ الحشيش زنديق مبتدع)[2].

الدخان (التبغ):

لمّا كان الدخان من الظواهر السيئة التي عمّ بلاؤها في المجتمعات الإسلامية لذا رأيت من الضروري التفصيل في هذا الموضوع الخطير.

من المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم ظاهرة التدخين

(١) فتاوى ابن تيمية ٤/ ٢٦٢ وما بعدها، راجع (السياسة الشرعية) له أيضاً.

(٢) فقه السنة (٢/ ٣٨٥).

وهي أكثر إنتشاراً وأوسع تناولاً من أية ظاهرة أخرى، فحيثما قلّب الإِنسان النظر يجد هذه العادة الذميمة متفشّية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً، ولم ينجُ منها إلّا من غلَّب الإِرادة على الهوى، والعقل على العاطفة، والمصلحة على المفسدة وقليل ما هم. . .

أما فيما يتعلق بأضراره فنذكر الضرر الصحي والنفسي، إذ ثبت بشكل قاطع لا يحتمل الشك أن الدخان «كما قرر أطباء الصحة» يورث الكسل، وسرطان الرئة، ويضعف الذاكرة، ويقلّل الشهية، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ويعيق التنفس، ويهيّج الأعصاب ويميّع الخُلق، ويعوّد على الكسل والاسترخاء.

ومن أخطار الدخان على الجسم التي يتعرّض لها المدخّن نذكر بعض الحقائق:

ففي بريطانيا وحدها يموت أكثر من (٥٠ ألف) نسمة سنوياً بسبب أمراض التدخين، إذا جاز لنا أن نطلق على بعض الأمراض هذه التسمية.

وفي (أمريكا) تقول تقارير الصحة العامة أن مدخّن السجائر يتغيّب عن العمل سنوياً فترة (٢٠٪) عن الفترة التي يتغيّبها غير المدخن.

ومن تأثيرات التدخين على الجهاز الهضمي نذكر ما يلي:

١ ـ تهيّج في الغدد اللعابية والغشاء المخاطي المبطن للفم.

٢ ـ فقدان الشهية ومحو الشعور بالجوع.

٣ ـ زيادة الإِصابة بقرحة المعدة والإثني عشر.

٤ ـ تهيجات عصبية للقولون، ومع طول مدة التدخين يعتاد القولون على هذا التأثير مما يؤدي إلى خمول في وظيفته الفسيولوجية.

٥ ـ زيادة الإِصابة بسرطانات الفم والبلعوم والمريء.

ومن تأثيرات التدخين على القلب والأوعية الدموية نذكر ما يلي:

١ ـ زيادة سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم.

٢ ـ حدوث نوبات قلبية في مرضى القلب خصوصاً المصابين بضيق في الشريان التاجي.

٣ ـ زيادة معدل الإِصابة بالذبحة الصدرية.

٤ ـ نقص وصول الدم إلى الجلد والأطراف نتيجة لإِنقباض الأوعية الدموية.

٥ ـ زيادة معدل الإِصابة بتصلّب الشرايين.

وكذلك من تأثيراته على الجهاز البصري نذكر ما يلي:

١ ـ ضعف حدّة الإِبصار، وضعف القدرة على تمييز الألوان نتيجة لانقباض شرايين الشبكية.

٢ ـ احتمال حدوث ضمور للعصب البصري مما يؤدي إلى حدوث العمى.

ومن تأثيراته على الجهاز العصبي نذكر ما يلي:

١ - نتيجة لتنشيط الجهاز العصبي اللاإرادي قد تحدث إرتعاشات في الأطراف وتقلصات عضلية.

٢ - زيادة إفراز العرق.

٣ - إضطرابات في النوم.

٤ - ضعف في القدرة الجنسية.

أما تأثيراته على الجنين فنذكر ما يلي:

١ - لوحظ أن السيدات اللائي يدخنّ أثناء الحمل ينجبن أطفالاً مبتسرين في الغالب.

٢ - زيادة حدوث الإِجهاض أو موت المواليد بمجرد الولادة[١].

ذكرت مجلة (الشبيكل) الألمانية: (أنه اجتمع عشرة من العلماء الأمريكيين المختصين في مركز البحوث في مدينة (بيثيزدا) الواقعة في ولاية (ماري لاند) الأمريكية وبحثوا تأثير الدخان على الصحيّة الفردية فأجمعوا على أن: نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد (٦٨) بالمائه عنها من بين غير المدخنين[٢] هذا فضلاً عن أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربع دخله أو يزيد وفي هذا ما لا يخفى من إضاعة للمال وخراب للبيوت...

---

(١) انظر مجلة الوعي الإِسلامي، العدد (٢٥٠)، ص ٧٢، تاريخ ١٤٠٥/ الكويت.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإِسلام (١/ ٢١٥).

وبإعتبار أن الدخان ضارٌ صحياً ومالياً، فقد أجمع العلماء والفقهاء، والمجتهدون على أن ما يؤدي إلى الضرر ويوقع في المهالك فاجتنابه واجب، وفعله حرام. للحديث الشريف (لا ضرر ولا ضرار)[1].

ولعموم قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٩].

وكما لا يخفى، فالدخان يدخل في زُمرة الخبائث لضرره على الجسم وتسبّبه الرائحة الكريهة للفم، والله سبحانه قد أحل للإنسان الطيبات وحرّم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه، وسلامة خلقه وتفكيره، وظهوره في المجتمع بمظهر جميل. يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [سورة النساء: ٢] ويقول أيضاً: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

وبما أن الدخان يخدّر العقل ويفتّر الجسم فقد نهى الرسول ﷺ عن كل مفتّر، كما نهى عن كل مسكر ومخدّر. فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتّر)[2]. أي مخدر.

ووفقاً لهذا المبدأ نقول: إن تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضرّ بمتناوله فهو حرام. وخاصة إذا قرر ذلك طبيب

(١) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه بسند صحيح.

مختص بالنسبة لشخص معين ولو لم يثبت ضرره الصحي لكان إضاعة للمال فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا. وقد (نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال)[1]. ويتأكد النهيُّ إذا كان محتاجاً إلى ما ينفعه من مال لنفسه أو لعياله.

ويمكن تلافي أخطار التدخين ومضارّه باتخاذ الإِجراءات التالية:

١ - منع الإِعلان عن السجائر في كل وسائل الإِعلام.

٢ - طبع تحذيرات شديدة من التدخين على كل علبة.

٣ - إقلاع جميع الأطباء عن التدخين فوراً.

٤ - منع التدخين في كل الأماكن العامة.

٥ - رفع الضرائب وزيادة الجمارك بحيث لا يستطيع المدخّن تحمل نفقاته الباهظة مع المراقبة العامة وعدم التلاعب بالأسعار.

حبوب الكنغو:

ومن المخدّرات أيضاً حبوب الكنغو: وهي حبوب ضارة ضرراً عظيماً لكونها صنعت خصيصاً لمقاصد سيئة غير خافية على الفطن، وتحتوي على قدر كبير من المنبهات الضارة وعلى مادة يُروى أنها خليط من مادة الكحول والبنج والأفيون، وتنتج هذه الحبوب مصانع يهودية ليغزوا بها الجيوش المضادة لهم، حينما يأكلها الجنود ليسهروا ثم ينتهي مفعولها الكيماوي،

(١) رواه البخاري.

وبذلك يفقد الجندي أو السائق توازنه وحواسه ويسري سُمّ التخدير في جسمه، ويحدث له ردّ فعل فتخار قواه، ويفقد السيطرة على قيادته فتفلت من يده وتطفح سيارته بركابها على متن الهواء إلى أن تصطدم بنتوءات، أو تهوي بهم في الدركات، كما هو الواقع بين الحين والآخر من حوادث لا يمكن حصرها ذهب ضحيتها عشرات بل مئات من المسلمين ارتفعت ممن ألقوا بأنفسهم وبركابهم إلى التهلكة فأصبحوا خبراً من الأخبار.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من أضرار هذه الحبوب فإنه يمكننا أن نبيّن الأضرار التالية:

١ ـ فقد ثبت من التجارب أن تناول هذه الحبوب يُنشّف الدماغ، ويحدث لصاحبه الخبل أحياناً، وأنه يتولّد عن أكلها إفرازات غير طبيعية تسبب الغثيان والدوار وتضاعف ضربات القلب.

٢ ـ ما رُوي أن ادمان أكلها يسبب تقرص الطحال بنقط سوداء وصفراء تفرز مادة خبيثة تكون في مجموعها قروحاً منتنة، تزداد سوءاً، إلى أن تتعطّل عنده وظيفة الطحال، فتأخذ طريقها إلى التضخّم، والتعفّن والسيلان مع ما يصاحبه من إفرازات غريبة هي المرض الذي يوهن قوى المصاب فلا يزال في هبوط وإنحراف في صحته حتى يُسْلم روحه لبارئها. ويقتل نفسه فما هو عذره عند ربه وقد حرمّ عليه الخبائث وأنذره منها.

٣ ـ إنه يخرّب بيته بيده بما يفعل ويهدد كرامته ويسقط عدالته الشرعية بين المسلمين.

٤ ـ أن يكون قدوة سيئة لمن يقلّدونه من الجهلة وعليه مثل آثامهم من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً للحديث المتقدم. . .

٥ ـ إن هؤلاء الصنف من الناس يفتحون أبواب الشرّ بأيديهم ويدعون الناس إلى الدخول كما تكون بالأقوال تكون بالأفعال، كمن يتناول شيئاً من المخدرات أو المسكرات منها ـ عياذاً بالله من ذلك ـ بالدعوة إلى الضلالة ويفعل هذا مراراً ويقتدي به آخرون يقلّدونه على فسقه، فعليهم مثل آثامهم بما عرفوا الحق، وعاندوه وأعرضوا عنه.

٦ ـ إن ضرر الحبوب (الكنغو) لا يقتصر على متناولها فحسب بل يتعداه إلى ذريته وجلسائه بحكم الإِختلاط وتأثير المساس، وفقدان الإِحساس.

٧ ـ أثبتت التجارب أن هذه الحبوب تفتك بالأجسام مثل أو أضر من فتك الأفيون، والحشيش، لما يصاحب تناولها من سرعة سريان الأمراض لما تقدم.

٨ ـ إن تناولها أحياناً يُحدث التشنجات العصبية، وشلل الأطراف الناتج عن تخثّر الدم، فينتج عن ذلك إرتباك حالته الصحية، ونوبات قلبية تقلق راحة الأعصاب، وتنّغص عيشه، وتكدّر صفو حياته.

٩ ـ ما روي أن هذه الحبوب تحدث زغللة في بصر متعاطيها، فتختلط أمامه المرئيات، وتتغاير الألوان فيرى النوع نوعين، والشاة شاتين، ويرى الشمس صفراء ـ أحياناً ـ وهو في

الطريق في رابعة النهار، وهذه الزغللة تشبه ما يحدث عند السكران إلا أنها أخطر وأطول مُلازمة[(١)]....

القات:

القات: من النباتات التي تزرع في بلاد اليمن وغيرها من البلدان التي تشبه في مناخها مناخ اليمن كالسودان والباكستان وغيرها...

ويكون استعمال (القات) بأن يمضغ مضغاً، وهو ضار جداً، وضرره قريباً من ضرر الدخان (التبغ) وغيره من المخدرات.

وللقات تأثير بالغ على جسم الإنسان، فهو ربما يُضعف المني، ويُظهر الهزال، ويُسبب مرض الكلى.

والغالب أن أولاد صاحب القات يخرجون ضعاف البنية، صغار الأجسام قصار القامة، ومصابون بعدة أمراض خبيثة[(٢)]...

وإن كان من حسن حظ البشر أن (مضغ القات) لم ينتشر في العالم انتشار التدخين (التبغ) إلا أن خطورته على الصحة قد لا تقل عن خطورة الأخير، ولكن لم تكثر الدراسة فيه لاكتشاف كل أضراره...

(١) انظر: الرسائل الأربعة ص ٨١ - ٨٣ للشيخ سليمان الحميضي/ الشئون الدينية بقطر/ ١٤٠١هـ.

(٢) انظر: تطهير المجتمعات ص ١٦٢ للشيخ/ أحمد بن حجر آل بوطامي. وفقه الله/ مطابع علي بن علي/ الدوحة.

أما أضراره المعروفة الآن فهي كثيرة ونذكر منها ما يلي:

١ - ضياع المال وذهاب الأوقات.

٢ - الجناية على الصحة، وإضعاف شهية الأكل.

٣ - وبه يقع التشاغل، عن الصلاة وكثير من الواجبات المهمة.

٤ - قد يترك من يتعاطاه أولاده جياعاً ويشتري القات ويتكاسل عن حضور الجماعات.

٥ - يحطّم الأضراس ويهيج الباسور ويضعف المني، ويفسد الصحة العامة.

٦ - يسبب التهاب المعدة وقرحتها والتهاب الكبد والإِمساك الشديد.

٧ - اختلال نبضات القلب وارتفاع نبضات الدم.

٨ - يزيد من مرض السكري ويفقد الشهية.

٩ - احتصار البول ويقلل حليب الأم المرضع.

١٠ - يسبب الاضطراب في النوم وأعراضاً تشبه الجنون أحياناً[١].

إن استعمال (القات) فيه تبذير وإسراف، وجناية على الصحة، مع أنه حسبما سمعت أنه مفتّر أي مخدّر للأعضاء والأعصاب، وإذا كان كذلك فلا ريب في تحريم تعاطيه،

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٣.

لحديث أُم سلمة: (نهى الرسول ﷺ عن كل مسكر ومفتّر)[1].
هذا مع العلم أن بعض العلماء ذكر أن الأضرار الناتجة من إستعمال (الحشيش) كلها موجودة في القات[2]... والله أعلم.

وإني لآمل لكل ضحايا المخدرات ومنها الدخان والقات أن يعودوا إلى رشدهم ويقلعوا عن هذه القاذورات المضرّة بالصحة والعرض والدين والعقل. والله الهادي إلى سواء السبيل...

(١) رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح.
(٢) المرجع السابق ص ١٦٢.

الفصل الثامن

الغناء والملاهي

- موقف الإِسلام من الغناء.
- الغناء المباح.
- الميسر (القمار).
- ميسر اليانصيب.
- اليانصيب ضرب من القمار.
- الشطرنج.
- النرد (الطاولة).
- الراديو.
- آلة التسجيل.
- التلفزيون.
- السينما والمسرح.
- قضية التمثيل.
- جواز المشاهدة.
- فتن المجلات.

الغناء والملاهي

الغناء:

تعريفه: (بالكسر والمد) هو رفع الصوت مطلقاً.

يقال: غنى بالرجل وتغنى به إذا مدحه أو هجاه.

وتغنى بالمرأة: تغزّل بها، وأظهر محاسنها.

قال ابن الأثير: (كل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب يسمى غناء)[١].

والغناء (بالفتح والمد) الأجزاء والكفاية يقال: رجل مُغني أي مجزي كاف[٢] وبالكسر والقصر (الغنىٰ)[٣] ضد الفقر.

ويطلق الغناء (بالمد والكسر): على الترنّم الذي تسميه العرب (النَّصْب) (بفتح النون وسكون المهملة)[٤] وعلى الحداء (بالمد والكسر) المعروف عند العرب. وعلى مجرد الإِنشاد.

قال ابن الأثير[٥] وابن منظور[٦] في حديث عائشة

(١) النهاية: ٣/ ٣٩٠.
(٢) اللسان: ١٩/ ٣٧٦.
(٣) انظر: هدى الساري ص ١٦٤.
(٤) انظر: الفتح: ٢/ ٤٤٢.
(٥) النهاية: ٣/ ٣٩٢.
(٦) اللسان: ١٩/ ٣٧٤.

رضي الله عنها: (وعندي جاريتان تغنيان بغناء يوم بُعاث) أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بُعاث.

ويطلق الغناء على التمطيط والتلحين بالأشعار على النغمات الموسيقية.

وإذا أُفرد: فالمراد به هذا الأخير وهو الذي يسمى فاعله مغنياً لأنه يحرك به الساكن ويبعث الكامن ويعرض بالفواحش[1].

موقف الإسلام من الغناء:

لا شك أن الصوت الطيب من حيث هو طيب لا يحرم بل هو حلال لأنه يرجع إلى تلذذ حاسَّة السمع بإدراك ما هو مخصوص ولم يقل أحد إنه حرام بمجرّد أنه صوت طيّب!.

(والغناء ظاهرة إنسانية تشترك فيها جميع الأمم، فليست هناك أُمة من الأمم إلا ولها غناء، ذلك من خصائص الطبائع البشرية فكل حاسة من حواس الإِنسان لها مستلذاتها، فالعين تستلذ المناظر الجميلة والمشاهد الأنيقة، والأذن تستلذّ الأصوات العذبة)[2].

ولما كانت الحناجر مختلفة الأصوات في مخارجها كان لها أثر فعَّال فيما تنفر منه الأسماع كخُوار الأبقار ونهيق الحمير.

(١) انظر: الفتح ٢/ ٤٤٢.

(٢) عن مقدمة كتاب (السماع) للأستاذ أبو الوفا المراغي ص ١٢.

فهذا الصوت الطيب أو الحسن ينبغي أن ينظر فيه من حيث هو صوت، فهو إما أن يخرج من جماد كصوت القصب والأوتار أو من حيوان كصوت البلابل والحمام أو من إنسان كصوت النغمات من حنجرة الإِنسان.

فسماع هذه الأصوات ليست حرمتها لكونها طيبة حسنة أو موزونة وإنما حرمتها لأنها أصبحت شعار أهل الفسق[1] والمجنون؛ لكونها تذكر مجالس الفجور كشرب الخمر والزنا، ولهذا قال كثير من السلف[2]: (الغناء رقية الزنا).

فكان تحريم هذه الأصوات من قبيل الاتباع أي حرّمت لأنها تجر إلى الحرام وليس التحريم في نفسها كتحريم الخلوة بالأجنبية؛ لكونها مقدمة إلى التساهل في السوأتين. وحرّم قليل الخمر وإن لم يسكر لأنه يدعو إلى الكثير وما من حرام إلا وله مقدمات تجرّ إليه.

فظهر أن الأصوات المطربة بالأوتار والمزامير حرّمت لأجل ثلاث علل[3]:

إحداها: أنها تدعو إلى الفجور كمجالس شرب الخمور لأن اللذة الحاصلة بها إنما تتمّ بالخمر.

ثانيتها: أن الاجتماع بهذه الهيئة أصبح من عادة أهل الفسق فيمنع التشبّه بهم لأن من تشبّه بقوم فهو منهم.

---

(١) انظر: الاحياء للغزالي ٢/ ٢٦٩، ومفتاح السعادة ٣/ ٣٨٥.
(٢) روى ذلك ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ص ٨٣ (عن فضيل بن عياض).
(٣) انظر: مفتاح السعادة لأحمد مصطفى ٣/ ٣٨٥.

ثالثهما: أنها تطرب فتخرج الإِنسان عن حدّ الاعتدال فبينما الرجل تراه وعليه سمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإِيمان فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله وقلّ دينه وذهبت مروءته فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه وأبدى من سرّه ما يكتمه فيميل برأسه ويهزّ منكبيه ويضرب بالأرض رجليه[1].

وبهذا تبين أنه ليس العلّة في تحريم هذه الأشياء مجّرد الأصوات الطيبة بل لما فيها من فتح الباب إلى الفساد من باب تحريم الوسائل المؤدية إلى الحرام.

الغناء المباح:

أما الغناء الحلال، فهو أنواع:

النوع الأول: غناء بإنشاد الشعر الذي لا فجور فيه ولا يدعو إلى معصية بصورة ليس فيها تخنث ولا تخلع ولا تكسّر. وليس فيه إظهار لما أمر الله بستره عمن لا يحل. وذلك مثل ما كان العرب يستعملونه في حداء الإِبل فقد كان النبي ﷺ يستمع الحداء ويطلب من أحد الصحابة أن يحدو بهم في السفر. ومنه أيضاً إنشاد الشعر على الطريقة العربية في تحسين مخارج الكلام وتبين مقاطعه والتطريب به، بشرط أن لا يصل إلى الحد الذي وصفناه من التخنث المحرّم ومن غير أن يحصل استمتاع محرّم. ويحسن استعمال هذا النوع وخاصة إن كان فيه وصف الكرم والشجاعة والوفاء والمعاني الكريمة.

---

(١) إغاثة اللهفان ص ٢٦٧/ ط حلبي/ ١٣٨١ هـ.

النوع الثاني: من الغناء المباح: غناء المرأة لزوجها وذوي حرمتها وشبيه به غناء الأولاد الصغار والجواري الصغار ولو في مجمع عام.

النوع الثالث: من الغناء المباح: الغناء في الأعياد والأعراس والمناسبات بحيث لا يتصل فيها شيء من المحرمات. ومما يؤسف له أن أكثر الغناء المستعمل في مجتمعنا هو من الغناء المحرّم، وإن ضرره قد تبيّن في ـ شبابنا ورجالنا ونسائنا ـ في أخلاقهم وعاداتهم وأفكارهم. ويمكن الإستعاضة عنه بالغناء المباح الذي يزيد في المروءة، ويُنمي الأخلاق الفاضلة، بل يصنع الرجال ويجعلهم عدة لوقت الشدة[1].

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: الغناء ينبت النفاق في القلب، وسُئِل عن استماع القصائد، فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون.

وقال: التغبير[2] بدعة محدثة.

وقال إسحاق بن عيسى: سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة في الغناء، فقال: إنما يفعله عندنا الفسّاق.

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ أما مالك فإنه نهى عن الغناء،

---

(١) قارن بكتاب [الأجوبة النافعة في المسائل الواقعة ص ٢٩٨].

(٢) المغبِّرة: قوم يتغبّرون بذكر الله (أي يهلّلون ويردّدون الصوت بالقراءة وغيرها) سموا بذلك لأنهم يُرغبون الناس في المغابرة. أي الباقية. وعملهم هذا هو التغبير. ومثلهم: فرق الإنشاد الديني والتواشيح، وإنشاد الموالد، كما هو معروف عند الطُرقيّين وأضرابهم مما يشغل عن القرآن.

وعن إستماعه وقال: إذا اشترى الرجل جارية، فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب.

وكان أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ يكره الغناء، ويجعل سماع الغناء من الذنوب.

وقال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ خلّفتُ بالعراق شيئاً أحدثه الزنادقة يسمى التغبير يشغلون به الناس عن القرآن. وقال: الغناء هو مكروه يشبه الباطل. وقد كان أصحاب الشافعي ينكرون السماع.

هذا قول العلماء فيه، وكراهيتهم له، مع تجريده عن غيره من المحرّمات من حضور النساء، والمرْدان، والدفوف، والشبّابات وغير ذلك.

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله: (وكم فتنت الأصوات بالغناء من زاهد وعابد، قال: وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمى بـ (ذم الهوى)، فمن أراد أن يعرف فتنته وعاقبة أمره فليقف عليه ولينظر ما تمّ على غيره، فينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه، ويحذرهم مكائد الشيطان، ولولا خوف الإطالة لاستقصينا ما ورد في ذلك. ولكن العاقل الفطن الموفق من قبل نصح الناصح بأخصره عبارة وعرف الحق واتبعه بأدنى إشارة.

الميسر (القمار):

الميسر هو: القمار بعينه، وهو مصدر ميمي[1] من يسر كالموعد والمرجع.

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ١٥٤)، وروح المعاني (٢/ ١١٣).

واشتقاقه: إما من اليُسْر لأنه أخذ المال بيسر وسهولة. أو من التجزئة[1] والاقتسام. يقال: يسروا الشيء إذا اقتسموه. فالجزور نفسه يسمى ميسراً؛ لأنه يجزأ أجزاء. فكأنه موضع التجزئة. وكل شيء جزأته فقد يسرته، فالياسر هو الجازر، وقد كان في الجاهلية على نوعين[2]:

النوع الأول: أن يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قامر صاحبه ذهب بماله وأهله. كما جاء في قول ابن عباس: (الميسر هو القمار، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله فأيهما قمر ذهب بأهله وماله)[3].

النوع الثاني: أنهم كانوا يذبحون جزوراً ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءاً يسهمون عليها (بعشرة[4] أقداح) يقال لها (الأزلام أو الأقلام).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [سورة المائدة: ٩٠].

وكذلك فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لصاحبه تعال أُقامرك فليتصدق»[5]. فتحريم الميسر كان نتيجة لأضراره الكثيرة التي تلحق باللاعب وغيره. ومن هذه الأضرار نذكر ما يلي:

---

(١) انظر: الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٣٦.
(٢) انظر: الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي (١/ ١٩٩).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٣٢٤).
(٤) الميسر والقداح ص ٦٠.
(٥) رواه البخاري.

١ ـ أنه من عمل الشيطان وعلى المسلم أن يبتعد عن خطوت الشيطان، لأنه يجلب العداوة والبغضاء بين لاعبي القمار ويورث الأحقاد بينهم...

٢ ـ يجلب الفقر، فكم خرّب القمار بيوتاً عامرة، وأضاع الأُسر. كما يصدُّ عن ذكر الله، وإضاعة الصلاة.

٣ ـ يقضي القمار على الكسب الحلال، ويعرّض الأُمة للبطالة، كما يخرّب اقتصاد البلاد ويدمره.

٤ ـ يلجأ المقامر إلى الاستدانة وإرهاق نفسه بالديون، واللجوء إلى الربا المحرّم[1].

ميسر اليانصيب:

اليانصيب في الأصل: نوع من الميسر، وهو عبارة عن مال كثير تجمعه بعض الهيئات أو الجمعيات أو الشركات المختصة بالقمار وخاصة في البلاد التي تأثرت بالقوانين الوضعية.

تجمع هذا المال من ألوف الناس فتجعل جزءاً كبيراً منه لعدد قليل من دافعي المال، يقسم بينهم بطريقة (الميسر) وتأخذ هي الباقي[2]..

وهذا لا يكون إلا بعد الإِغراء الشديد بأن من يدفع ديناراً يكسب ألف دينار، وذلك بأن تطبع أوراق صغيرة تسمّى أوراق

---

(١) انظر: تطهير المجتمعات (١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) انظر: تحريم النرد والشطرنج والملاهي ص ٦٤ وما بعدها.

(اليانصيب)، تُجعل ثمن كل واحدة منها ديناراً واحداً مثلاً يطبع عليها وتجعل العشرة آلاف التي تُعطىٰ لمشتري هذه الأوراق مائة سهم أو نصيب. تُعرف بالأرقام وتسمى بالنمر جمع (نمرة)..

ويطبع على الورقة المشتراه: عددها، وما تربحه كل واحدة من العشرة الأوائل فيها.. وتجعل باقيها للتسعين الباقية بالتساوي..

وبالترتيب كترتيب (أزلام الميسر) يسمونه (السحب) لأنهم يتخذون قطعاً صغيرة من المعدن ينقش في كل واحدة منها عدد من أرقام الحساب يسمونه (نمرة واحدة) إلى مائة ألف إذا كان المبيع من الأوراق. ويضعونها في وعاء من المعدن كخريطة (القداح) التي تقدمت[1].

فإذا كان يوم السحب أُديرت بعدد الأرقام الرابحة فما خرج منها أولاً يسمى النمرة الأولى، مهما يكن عددها وهي التي تعطي حاملها النصيب الأكبر من الربح كالقدح المُعلَّى عند العرب..

وما خرج منها ثانياً سُميَّ النمرة الثانية.

ويعطى حاملها النصيب الذي يلي الأولى، وهكذا...، حتى إذا ما انتهى عدد (النُمَر) أي الأرقام الرابحة وقف السحب عندها وكان الباقي خاسراً[2].

(١) انظر: المرجع السابق ص٦٥.

(٢) انظر: المنار (٢/٣٢٩). والمجلد السادس من مجلة المنار (ص ٣٧٣).

وهذا النوع وإن كان لا يظهر فيه ضرر العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله كباقي أنواع القمار؛ لأن دافعي المال فيه لا يجتمعون في مكان عند السحب، وقد يكونون في بلاد بعيدة عن موضعه.

ولكن فيه مضار القمار من جهة أخرى، وهو أنه طريق لأكل أموال الناس بالباطل أي بغير عوض حقيقي من عين، أو منفعة، وهذا محرّم بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

اليانصيب ضرب من القمار:

يظن كثير من الناس أن اليانصيب مباح، مع أنه محرّم لأنه ضرب من القمار ولون من ألوانه، لذلك لا ينبغي التساهل فيه والترخيص به باسم (الجمعيات الخيرية)، (والأغراض الإنسانية).. فالذين يجمعون التّبرعات لمثل تلك الأغراض (بالرقص الحرام، والفن الحرام)، فإنهم يجمعون أموالاً خبيثة لا يجوز صرفها في المصالح الدينية... وعليهم أن يدركوا (أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

والإسلام يؤمن بجانب الخير في الإنسان، ولا يتخذ إلا الوسيلة الطاهرة للغاية الشريفة، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر والعمل الصالح وما فيه رضا الله[1].

---

(١) انظر: الحلال والحرام ص ٢٩٢ (بتصرّف).

الشطرنج:

الشطرنج: فارسي معرب: مأخوذ من المشاطرة، وهي المقاسمة؛ لأن كلاً من الطرفين له شطر ما يستحق من اللعب، وهو النصيب.

ولفظة الشطرنج لها معنيان: إما مأخوذه من المشاطرة: إذا كان بالشين المعجمة، أو من التسطير عند التعبئة للرقعة إذا كانت المهملة إلا أن المشهور المعنى الأول.

وذكر ابن خلكان في تاريخه أن أول واضعه هو: صيصة بن داهر الهندي. أحد حكماء الهند القدماء[1].

وورد في الأحاديث تحريم لعب الشطرنج، ولكن هذه الأحاديث لم يثبت منها شيء.

قال ابن حجر العسقلاني: (لم يثبت في تحريمه حديث صحيح ولا حسن)[2].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الشطرنج ميسر الأعاجم). مرّ - رضي الله عنه - على قوم يلعبون بها فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمسّ أحدكم جمراً حتى تُطفأ خير له من أن يمسّها، ثم قال: (والله لغير هذا خلقتم).

(١) انظر: تحريم النرد والشطرنج والملاهي. للحافظ الآجري بتحقيق محمد سعيد إدريس (ص ٧٠).

(٢) انظر: الزواجر ٢/ ٣٢٤، وفقه السنة ٣/ ٥١٣.

وقال أيضاً: صاحب الشطرنج أكثر الناس كذباً. يقول أحدهم: قتلت وما قتل، ومات وما مات[1].

وقال أبو موسى الأشعري: (لا يلعب الشطرنج إلا خاطىء)[2].

وسُئل محمد بن كعب القرطبي عن اللعب بها، فقال: أدنى ما يكون فيه أن اللاعب بها يعرض، أو قال: يُحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل)[3].

وسُئل ابن عمر عنها وهو صحيح عنه، فقال: هي شر من الميسر، ويوافقه قول مالك. وقد سُئل عنها فقال: هي من النرد. وسيمرّ معنا في النرد أنه كبيرة عند أكثر العلماء...

وقيل لإِبراهيم النخعي: ما تقول في اللاعب بها؟ فقال: (ملعون)[4].

لقد اختلف الفقهاء في حكم الشطرنج فمنهم من حرّمه ومنهم من أباحه.

إن أكثر الصحابة والتابعين ومن بعدهم قالوا بتحريم اللعب بالشطرنج. ومنهم أبو حنيفة ومالك وأحمد[5].

والدليل على تحريمه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٣٢١).
(٢)(٣) انظر: المرجع السابق (٢/ ٣٢٢).
(٤) انظر: الزواجر (٢/ ٣٢٢).
(٥) الزواجر (٢/ ٣٢٤)، وفقه السنة (٣/ ٥١٣).

وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ﴾ [سورة المائدة: ٣].

وقد اشترط في إباحته شروطٌ ثلاثة:

١ ـ ألا تؤخر بسببه صلاة عن وقتها، فإن أكبر خطورته في سرقة الأوقات.

٢ ـ ألا يخالطه قمار.

٣ ـ أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا ورديء الكلام.

فإن فرّط في هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول إلى التحريم[(١)].

النرد (الطاولة):

تعريف النرد هو: عبارة عن قطع صغيرة من العاج (سن الفيل) أو العظم أو الخشب وله أوجه ستة، ولكل وجه من الأوجه الستة نقاط مرتبة من الواحد إلى الستة جميعاً وهي منقسمة بحيث يكون مجموع النقاط في وجهين متقابلين سبعة[(٢)].

وقال الجواليقي في المعرب[(٣)]: هو أعجمي معرب. وبه جزم صاحب القاموس وقال: وضعهُ (أرد شير بابك) ولهذا يقال: النرد شير، نسبة إلى واضعه.

---

(١) الزواجر (٢/٣٢٣)، وفتاوى النووي ص ٢٣٩، والحلال والحرام ص ٢٩١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/٣٣٧)، وانظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٢٩.

(٣) انظر: المعرب ص ٣٣١.

وقال الهيثمي[1]: سمي (نرد شير) بالشين المعجمة، والراء نسبة لأول ملوك الفرس من حيث كونه أول من وضعه. ويُقال: أول من وضعه (سابور بن أرد شير) ثاني ملوك الساسان.

هذا فإن كل لعب فيه قمار فهو حرام. والقمار كل ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة. وهو الميسر الذي قرنه بالقرآن: (الخمر والميسر والأزلام).

وقال النبي ﷺ: «من قال لصاحبه تعال أُقامرك فليتصدّق»[2]. يعني أن مجرد الدعوة إلى المقامرة ذنب يوجب الكفارة بالتصدّق.

ومن ذلك اللعب بالنرد (الزهر) إذا اقترن بقمار فهو حرام اتفاقاً. وإن لم يقترن به فقال قوم من العلماء: يُحرّم. وقال بعضهم يُكره ولا يحرّم.

وحجة المحرّمين ما رواه بريده عن النبي ﷺ قال: (من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه)[3].

وما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قال: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»[4] والحديثان صريحان عامان في كل لاعب قامر أو لم يقامر[5].

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٣٤١).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.
(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك (نيل الأوطار ٨/ ١٠٦).
(٥) انظر: الحلال والحرام ص ٢٩٠.

ولقد اتفق العلماء على تحريم النرد مطلقاً. سواء كان بالقمار أو بغيره، وبالتحريم جزم الخطابي في معالم السنن ٢/ ٢٤٢، والبيهقي في شعب الإِيمان ٢/٣٥٨، وابن عبد البرّ في الكافي ٢/ ٢٠٥.

وقال البيهقي: وجملة القول فيهما، (أي النرد والشطرنج) أن اللعب بهما على شرط المال حرام باتفاق. واللعب بهما على غير شرط المال مختلف فيه وتحريمها عندي أشبه..

ونقل الاتفاق أيضاً على تحريمه القرطبي في تفسيره ٨/ ٣٣٧.

وقال شيخ الإِسلام ابن تيمية: (الميسر محرّم بالنص والإِجماع، ومنه اللعب بالنرد والشطرنج وما أشبهه مما يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء)[1].

الراديو (المذياع):

مما لا شك فيه أن استعمال الراديو واقتناءه والاستماع إليه في الشيء المفيد النافع مباح. كالاستماع إلى القرآن الكريم، والاستماع إلى الأحاديث الدينية، والطبية، والتوجيهية... والاستماع إلى الأخبار المحلية والعالمية، والاستماع إلى التمثيليات التاريخية، وغيرها من البرامج المفيدة النافعة...

أما إذا كان الفرد المسلم أو الأب أو المربي يعلم من نفسه أنه لا يستطيع أو لا تستطيع أسرته أن يتحكموا في اختيار

---

(١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٢٦، والفتاوى الكبرى (٢/ ١١).

المفيد النافع، وأن يمنعوا الشر المتخلل أثناء العرض للبرامج. فإنه يحرم اقتناء الجهاز، لما يترتب عليه من مفاسد فكرية ومضار خلقية، وأخطار نفسية واجتماعية...

والأدلة التي تدل على تحريم الراديو في عرض مفاسده هي نفس الأدلّة التي عرضناها في حرمة الغناء والمجون... وإلا فمن يرضى على نفسه أن يستمع إلى أغاني الخنا والزنى والفحش من جهاز الراديو والتلفزيون؟ ومن الذي يرضى على نفسه أن تستمع اسرته إلى ما يثير كوامن الغريزة والشهوة من جهاز الراديو والتلفزيون؟!!

فلا شك أن الذي عنده ذرة من دين، أو خلق، أو نخوة، لا يرضى بل يمنع أي جهاز يدخل بيته يؤدي إلى ضياع العرض والشرف ويحضّ على الزنا، والفساد والفاحشة؟؟!!..

وخلاصة القول: إن جهاز الراديو يجوز إقتناؤه شرعاً، إذا استطاع المسلم أن يتحكم عند الاستعمال باختيار البرامج المفيدة النافعة، وإلا فاقتناؤه من الحرام[1].

آلة التسجيل (المُسَجّل):

إعلم أيها القارىء (حفظك الله) أن آلة التسجيل تختلف عن جهازي الراديو والتلفزيون كل الاختلاف؛ وذلك لأن برامج الراديو والتلفزيون ليست وفق رغبة الإنسان بل إن المستمع أو المشاهد ملتزم ببرامجها، ومجبر عليها.

(١) للمزيد يمكن مراجعة كتاب: حكم الإسلام في وسائل الأعلام (ص ٢٥ - ٢٦).

بينما آلة التسجيل تدخل في حيّز الإرادة البشرية والإِختيار الذاتي في كل ما تثبته من شرائط وما تذيعه من برامج.

وباستطاعة الإِنسان المتبصّر أن يختار لنفسه برامج التسجيل النافعة من الناحية الروحية، والخلقية، والثقافية.

كما أنه في الوقت نفسه يستطيع أن يتخيّر من البرامج الفاسدة كل ما يُفسد الأسرة من ناحية دينها وخُلُقها.

فآلة التسجيل إذن سلاح ذو حدين: يستعمل للخير، ويستعمل للشر.

فإذا أحسن استخدامها في الخير والإِصلاح كان لها أكبر الأثر في إصلاح المجتمع وتكوين الأُمة الفاضلة.

وهذا ما سمعناه عن تسجيل الشرائط للعلماء والكتّاب، والخطباء، والدعاة، وقد انتشرت هنا وهناك، وانتفعت بها الأمة إنتفاعاً محموداً.

وإذا كان الإِعداد لهذه البرامج جيداً، والتحضير لها محكماً... فتقديري أن كثيراً من الأسر المسلمة يستغنون عن الراديو والتلفزيون؛ لاستخدامها آلة التسجيل في الشيء النافع، والبرامج الهادفة...

والذي أخلص إليه بعدما تقدم أن آلة التسجيل إن استحسن إستخدامها في الأمور النافعة، والبرامج المفيدة. فلا يشك عاقل في جواز إقتنائها، لما لها من الأثر الكبير في التوعية، والهداية، والإِصلاح...

التلفزيون:

إنّ التلفزيون نعمة كبرى إذا ما أُستعمل في وجوه الخير والإصلاح، فهو في حدّ ذاته لا يوصف بحلّ ولا حرمة، وإنما يعتريه الحل والحرمة بسبب ما يعرض فيه، فإن كان ما يعرض فيه من النواحي الصحية والعلمية والاجتماعية للتوعية والإرشاد، فلا شك أن مشاهدته مُباحة ولا حرمة في ذلك بشرط ألا يُلهي عن الصلاة أو عبادات واجبة.

وإن كان ما يعرض فيه يثير الغرائز ويدعو للفتنة ويُلهي عن العبادات والطاعات فإنه يكون حراماً[(١)].

والواقع أن أكثر برامجه في هذه الأيام ترمي إلى هدر الشرف، وتوجّه نحو الفساد والإباحية، وتشجع على السفور والإختلاط...

وهذه تكفي إلى تحريم إقتنائه والاستماع إليه ومشاهدته.

والدليل على ذلك:

١ ـ اجماع الفقهاء والأئمة والمجتهدين في كل زمان ومكان على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة: (حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسب، حفظ النفس، وحفظ المال).

وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقواعد أصولية تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية: من أغانٍ

(١) انظر: الأجوبة النافعة ص ٢٩٩.

ماجنة، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة... تستهدف هدر الشرف، وضياع العِرض، وشيوع الزنى والفاحشة... فإنه يُحْرّم النظر إليها، والاستماع لها للحفاظ على النسب والعِرض، وبالتالي: يحرم إقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع.

٢ - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»[١]، فهذا الحديث الشريف يُعدّ قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعَّدها الفقهاء، واستنبطها علماء الأصول، لأن عليها مدار الإِسلام في أوامره ونواهيه، ولأنها تهدف إلى تحريم كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق... بلفظ بليغ موجز[٢]...

وباعتبار أن التلفزيون - في برامجه الحالية - يوجه إلى الميوعة والانحلال، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته... حفاظاً على عقيدة الأسرة وأخلاقها، وقطعاً لدابر الأضرار التي تنجم عنه، وتطبيقاً لقاعدة: (لا ضرر ولا ضرار).

٣ - من القواعد المقررة في الشريعة الإِسلامية قاعدة (سدّ الذرائع).

ومعناها: تحريم المُباح لكونه يؤدي إلى المحرّم. فاعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلّل صار

(١) رواه مالك وابن ماجه والدارقطني..
(٢) انظر: حكم الإِسلام في وسائل الإِعلام ص ٨ - ٩.

اقتناؤه أو استعماله محرّماً لكونه يؤول إلى أسوأ المفاسد وأحط الأخلاق.

٤ ـ إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع، والرقص والمجون.

وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرّم بالنص لما رُوي أن الرسول ﷺ قال: «إنّ الله عز وجل بعثني رحمة وهدىً للعالمين وأمرني أن أمحق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التي تُعبد في الجاهلية....»[١].

ولما روى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه ﷺ قال: «ليكونن في أُمتي أقوام يستحلون الحِر (الفرج)، والحرير والخمر والمعازف».

وباعتبار أن الاستماع إلى المغنيات والنظر إلى الراقصات محرّم بالسُنّة النبوية، لما روى مسدّد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «يُمسخ قوم من أُمتي في آخر الزمان قِردة وخنازير» قالوا: يا رسول الله أمسلمون هم؟ قال: «نعم، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويصومون»، قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا الأشربة (الخمر) فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مُسخوا»[٢].

ولما روى ابن عساكر في تاريخه عن أنس بن مالك

---

(١) رواه أحمد بن حنبل وغيره.

(٢) للمزيد انظر: المصدر السابق (ص ١١ ـ ١٣).

رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من قعد إلى قينْة يستمع منها صَبَّ الله في أُذنيه الآنك (الرصاص المذاب) يوم القيامة».

وباعتبار أن المجون يترتب على مشاهدته إثارة الغرائز وهياج الشهوات لما يصحبه من مظاهر الفتنة، وتكشّف العورات... فهو محرّم بالنص الذي يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر بشكل عام، ويأمر المرأة بالستر والحجاب، وعدم إظهار التبرّج والزينة بشكل خاص قال تعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [سورة النور: ٣٠ ـ ٣١].

وقال في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

فإذا كان السفور وإبداء التبّرج وإظهار الزينة محرّماً على المرأة فلأن تظهر مفاتنها، وتكشف عورتها لتثير غرائز الرجال في رقص أو غناء فهو محرّم من باب أولى[1].

لهذه الاعتبارات كلها كان اقتناء الجهاز التلفزيوني محرّماً لما يُصاحب هذه البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى، وغناء ماجن ورقصات فاجرة، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرّماً،

---

(١) انظر: حكم الإسلام في وسائل الإعلام ص ١٣ وما بعدها.

كذلك لما لها من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق. . .

السينما والمسرح:

لا شك أن استعمال السينما وغيرها من وسائل التوجيه والترفيه نافع إذا ما استعملت في الخير وضروبه، والحكم في شأنها يكون بحسب ما تؤديه وتقوم به، فتكون حلالاً بل قد تستحب وتطلب إذا توفرت لها الشروط الآتية:

أولاً: أن تتنزّه الموضوعات التي تعرض فيها عن المجون والفسق وكل ما ينافي عقائد الإسلام وآدابه. فأما الروايات التي تثير الغرائز الدنيا أو تحرض على الإثم أو تغري بالجريمة فهي حرام لا يحل للمسلم أن يشاهدها أو يشجعها.

ثانياً: ألا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي، وفي طليعة الواجبات الصلوات الخمس التي فرضها الله كل يوم على المسلم فلا يجوز أن يضيع صلاة مكتوبة كصلاة المغرب مثلاً من أجل رواية يشاهدها. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ وفسّر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها.

ثالثاً: أن يتجنّب مرتادها الملاصقة والإختلاط المثير بين الرجال والنساء منعاً للفتنة ودرءاً للشبهة ولا سيّما أن المشاهدة لا تتم إلا تحت ستار الظلام!!

وسأتناول فيما يلي قضيتين هامتين. **الأولى**: قضية التمثيل، **والثانية**: جواز المشاهدة.

١ ـ قضية التمثيل:

التمثيل ومعناه: هو تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي بشخصيات بشرية، أو صور مادية وحسّية[١].

ولو استعرضنا القرآن والسنة الشريفة وتقصّيناهما لوجدنا أن التمثيل بالشيء المحسوس وتجسيد الفكرة بالصورة المادية أمر لا ينكره إلا مكابر أو جاهل.

وهناك بعض الأمثلة:

يقول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

ألم يجسّد القرآن الكريم حقيقة الإنفاق في سبيل الله بحقيقة الحبة المزروعة التي تعطي عوداً يحمل سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، حتى يتوضح للمسلم المنفق كم له من أجر عند الله إذا أنفق درهماً واحداً في سبيل الله، والله يضاعف لمن يشاء وفي ذلك إستنارة لمشاعره وإستجاشة لوجدانه فينفق ماله بلا حساب.

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٥].

---

(١) انظر: حكم الإسلام في وسائل الإعلام ص ٤٠ ـ ٤١.

ألم يشبه القرآن الكريم الحياة الدنيا في زوالها وفنائها بحقيقة النبات الحي الذي لم يدم على حيويته ونمائه حيث يصبح في النهاية هشيماً يابساً مفتتّاً تذروه الرياح؟ حتى لا يغتر إنسان بمظاهر الحياة الفانية ولا ينخدع ببهارجها الزائلة!!... وفي هذا استثارة للمؤمن حتى يعمل لهذا اليوم الباقي، والنعيم الخالد.

وفي السُنّة المشرفة نجد أن الرسول ﷺ كان يستعين على توضيح الفكرة للناس بضرب المثل، وتجسيد الموعظة، ليكون وقع الموعظة في النفس أعظم، وتثبيت الفكرة في الذهن أرسخ.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا إستقوا من الماء مرّوا على من فوقهم وقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعاً»[1].

من هذه النصوص التي أوردناها يتبيّن أن توضيح الفكرة بشيء محسوس وتجسيد الموقف بصورة مادية هو من أسلوب القرآن الكريم، والحديث الشريف في الموعظة والتأثير، والإِقناع، والمحاجّة، واستجاشة العاطفة، وشحذ الهمة،

(١) رواه البخاري وغيره [السلسلة الصحيحة ٦٩].

وترسيخ الفكرة، وهداية الناس إلى الخير، وتثبيت دعائم الإِصلاح في المجتمع...

والخلاصة: فإن التمثيل مباح شرعاً لما أوردناه من نصوص القرآن والسُنّة لكونه يوضّح الفكرة، ويجسّد الواقعة، ويثير العاطفة، ويصوّر الحادثة، وليس هو من قبيل التزوير في شيء، لأن الجمهور يعلم أن هذه المشاهد التي يراها ليست من قبيل الحقيقة، وإنما هي من قبيل التشبيه والتمثيل..

ولكنّ التمثيل ليس مباحاً على اطلاقه، وإنما هو مقيّد بشروط وضعها الإِسلام، وهي مرتبة كما يلي:

١ ـ ألَّا يُمَثّل بشخصيات تاريخية لها قداستها في نفوس المؤمنين كشخصيات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والخلفاء الراشدين... لأن إظهارهم لها يفقد في النفوس قداستهم واحترامهم... والمحجوب دائماً محترم ومقدس ومرغوب...

٢ ـ ألا يظهر في التمثيل أي مظهر من مظاهر المجون والخلاعة كالرقص، والمعازف، وظواهر الخمر، ومقدمات الزنى... لكونها محرّمة في شريعة الإِسلام.

٣ ـ ألا يظهر في التمثيل نساء ورجال أو نساء يراهنّ رجال، لكون الإِسلام يُحرّم السفور والإِختلاط والخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر إليها...

٤ ـ أن يستهدف التمثيل مصلحة الدين، والعلم، والأخلاق، وتربية الفرد، والأسرة والمجتمع.

٥ ـ ألّا يخدم التمثيل نظاماً أجنبياً، أو مبدءاً هدّاماً، أو عقيدة باطنية كافرة... لأن للإِسلام أصالة في العقيدة، وتميّزاً في الأخلاق، ومنهجاً في التوجيه والإِصلاح...

٦ ـ أن يكون الإِختيار للإِخراج والتمثيل، وكتابة المسرحية، من أصناف المؤمنين الواعين الذين يبلّغون رسالات ربهم، ويخلصون لهذا الإِسلام...

فإذا وجدت هذه المواصفات في التمثيل، والممثل والمخرج وكاتب المسرحية... فالإِسلام لا يرى في التمثيل حرجاً، ولا في المسرح بأساً... ما دام التمثيل في خدمة الإِسلام، ومصلحة الفرد والأسرة، والمجتمع، بل يكون وسيلة من وسائل الدعوة، وأداة مهمة من أدوات الإِصلاح في العصر الحديث..

٢ ـ جواز المشاهدة:

إن جواز المشاهدة يتعلق بسلامة التمثيل مما يتنافى مع أدب الإِسلام، ومرتبط ببراءة العرض مما يتعارض مع روح الشريعة... فكل ما يعرض على شاشة السينما، وكل ما يظهر على منصّة المسرح... إذا كان على المواصفات التامة التي سبق ذكرها... فلا مانع شرعاً من النظر إلى التمثيلية المعروضة ومشاهدة المسرحية المجسّدة.

هذا وإذا كانت صالة العرض خالصة مما يشوبها من منكر، وبريئة مما يحيط بها من فساد... أما إذا شاب الصالة منكر، أو حاق بها إثم... كوجود اختلاط بين نساء ورجال،

أو سماع عزف على آلات النغم، أو إظهار لقطات جاهلية من رقص فاجر، وغناء خليع...، أو عرض أشياء بين فترة وفترة تهيج الغريزة، وتثير الفتنة... فلا يجوز شرعاً ارتياد هذه الصالة مهما كان عرض التمثيلية سليماً، ومهما كان الفيلم ذا توجيه وموضوعية، والمتأمل أوضاع السينما والمسرح في البلاد بشكل عام يجد أن الفيلم أو التمثيلية أو المسرحية.... لا بدّ إلا أن تتخلّل فيها عرض لمناظر فاسدة، ومشاهدة مائعة ماجنة.

حتى إن السينما أصبحت اليوم هدفاً للتحلل، والمسرح بات مرتعاً للمجون والإِباحية بل صارت التجارة بالأعراض والجنس باباً للرزق، وميداناً للسبق عند من؟ عند أصحاب المطاعم الخسيسة، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة.. فلا يعقل والحال هذه أن يرتاد المسلم المؤمن بالله واليوم الآخر هذه الأماكن الفاسدة الموبوءة، أو يزجّ نفسه في مواطن التهم مخافة التأثر والوقوع في الحرام، والإِساءة إلى سمعته الاجتماعية في البيئات الإِسلامية المخلصة، ورحم الله من قال:

(رحم الله امرءاً جبّ المغيبة عن نفسه)[١].

هذا، ففي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: «من وقع في الشبهات وقع في الحرام»[٢].

وأودّ أن أُنبّه أنه إذا ما وجد هيئة موثوقة من الدعاة والعلماء العاملين للإِشراف على تخصيص أماكن خاصة مستقلة

(١) حكم الإِسلام وفي وسائل الاعلام ص ٤٥ ـ ٥١.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

ليعرض فيها أفلام علمية، ومسرحيات تاريخية، وتمثيليات إصلاحية، فعندئذ يجوز للشباب المسلم أن يرتادها للإستفادة من برامجها الهادفة وتوجيهاتها السديدة.

ومما لا يخفىٰ، فإن إرتياد السينما أو المسرح بوضعها الحالي اليوم فهو حرامٌ وإثم عظيم.

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١].

فتن المجلات:

لعل من المفيد إلقاء الضوء على المجلات والصحف التي تطالعها الجماهير العربية في مشرقنا الإسلامي...

لقد حذّرنا الإسلام من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فعلينا أن نحذر كل ما يُفتننا عن أخلاقنا وديننا وشرفنا التي هي قوام مجتمعنا..

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا[(١)]

إن الفتن تسري إلى القلوب فتصدّها عن ذكر الله وعن الصلاة كما تسري إلى القلوب السليمة البيضاء فتكسبها شبهة وظلمة، إنها تسري إلى القلوب التي تلين إلى ذكر الله وتخشع لعظمته فتكسبها قسوة وإستكباراً...

(١) هذه الحكمة من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي المتوفي سنة ١٩٣٢ م - رحمه الله -.

إن الفتن تدبّ في القلوب فتفتك بها كما يفتك السُّم في الجسم حتى يهلكه، فعلينا والحالة هذه اجتناب الفتن واجتناب أسبابها، والشيطان ـ والعياذ بالله ـ يجري من ابن آدم مجرى الدم.

وقد أمر النبي ﷺ بالبعد عن الدجّال خوفاً من فتنه، فقال ﷺ: «من سمع بالدجّال فلينأ عنه ـ أي فليبتعد عنه ـ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتّبعه مما يبعث به الشبهات»[(١)].

لقد انفتحت على الأُمة طامة كبرى وبلية عظمى تلك هي الصحف والمجلات الداعية للمجون والفسوق والخلاعة في عصر كثر فيه الفراغ الجسمي والفكري، وسيطرت الفطرة البهيمية على عقول كثير من الناس فعكفوا على هذه الصحف والمجلات، فأضاعوا بذلك مصالح دينهم ودنياهم، وصاروا فريسة لذلك الداء العضال الذي لم ينجُ منه إلا من رحم ربي.

إن المؤسف والمحزن حقاً، والمخيف المروّع أن يكون بين أيدي شبابنا وبناتنا وشيوخنا مثل هذه الصحف والمجلات المشبوهة التي تدعو كتابة وتصويراً[(٢)] إلى التحلل من الفضيلة والتردي في أسافل الأخلاق.

إنها مجلات تنشر الخلاعة والبذاءة، وكلّ ما فيه هدم

---

(١) رواه أبو داود وإسناده صحيح (مشكاة المصابيح ٥٤٨٨) و (صحيح الجامع ٦٣٠١).

(٢) بتصرف عن رسالة (فتن المجلات ص ١٤ ـ ١٦) للشيخ محمد العثيمين/ ط ١٤٠٧ هـ.

للأخلاق ومفسدة للأمة... إنها تعجّ بالأقوال الساقطة الماجنة التي يمجّها كل خلق مستقيم، فهي تحوي صوراً من النساء على أغلفة المجلات وفي باطنها صور فاتنة في أزياء بعيدة عن الفضيلة ومنغمسة في الرذيلة تحرّك من لا شهوة له. إنها كلمات تدعو إلى الموسيقى والعزف المحرّم كما تدعو إلى تعاطي المخدرات والمسكرات، إلى غير ذلك من المنكرات العظيمة الفاحشة التي يندى لها الجبين..

إنني أدعو الآباء والمربين والشرفاء وكل غيور على دينه وشرفه أدعوهم إلى المحافظة على الدين والأخلاق، والبعد عن الفتن ما ظهر منها وما بطن وأحذّرهم من أن تتسرّب هذه الصحف والمجلات المملوءة بالصور الفاتنة والأقوال المضلّة والأزياء المنحرفة إلى بيوتهم، وتقع في أيدي أهليهم فتهلكهم وتطيح بأخلاقهم وقيمهم لأن كل شيء يعرض في هذه الصحف والمجلات سوف يؤثر على من يقتنيها أو يطالعها...

ويمكننا أن نجمل أخطار ومفاسد هذه المجلات في النقاط التالية:

١ ـ إنَّ وجود هذه المجلات في البيوت مانع من دخول الملائكة إليها، للحديث الشريف: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة)[١]، وما ظنك ببيت لا تدخله الملائكة! فاقتناء مثل هذه المجلات حرام، وشراؤها حرام، ومكسبها حرام، وإهداؤها حرام، وكل ما يعين على نشرها بين المسلمين؛ لأنه

---

(١) رواه ابن ماجه (صحيح الجامع ١٩٦٣).

من التعاون على الإثم والعدوان...

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة: ٢].

٢ - ومن مفاسدها: إضاعة المال الذي جعله الله قياماً للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم. وإضاعة المال، صرفه فيما لا نفع فيه، أو مما فيه ضرر، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال(١)...

٣ - إضاعة الوقت الذي هو عند العقلاء، أثمن من المال لأن الحياة هي الوقت وإضاعته خسارة للحياة. وكل إنسان مسؤول عنها كما سوف يسأل عن عمره، وماله... وفي الحديث: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)(٢).

فعليه إذن أن يُفنيه (الوقت) في العمل الصالح كقراءة القرآن ومطالعة السُنّة الشريفة، وفهم العقيدة السليمة، والتفقه في دين الله، ومحاربة البدع، وسائر الشركيات..

٤ - ومن مفاسدها أيضاً: ما يحل للقلب من هيام في الحب، وإغراق في الخيال الذي لا حقيقة له، فهو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً... إلخ.

٥ - إنها تؤثر على الأخلاق والعادات بما يشاهد فيها من

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري والترمذي وغيرهما (صحيح الجامع ٦٧٧٨).

صور وأزياء فينقلب المجتمع إلى مجتمع مطابق لتلك المجتمعات الفاسدة... فعلى المسلم الغيور مقاطعة هذه الصحف والمجلات وإتلافها، ومحاربة مروّجيها.

وحسبنا أن نذكّر - القراء الكرام - بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم: ٦].

الفصل التاسع

فواحش ومنكرات

- الزنا.
- الشذوذ الجنسي.
- إتيان البهيمة.
- الاستمناء.
- السحاق.
- الأمراض التناسلية - مرض الزهري.
- السيلان.
- انتشار الأمراض المعدية.
- الإيدز (الوباء القاتل).

فواحش ومنكرات

الزنا:

الزنا عدوان على الأعراض ولذا فهو أخطر مرض من أمراض المجتمع، إذا ابتليت به أُمة ضاعت كرامتها وانحلّت عراها، ودبّ الضعف والخُوَر فيها...

إن كل أمة ينتشر فيها هذا الوباء الخُلقي فإنها تستحل بنفسها غضب الله سبحانه. ولقد جاء تعبير القرآن الكريم حازماً جازماً في النهي عن هذه الجريمة: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [سورة الإسراء: ٣٢].

إن المتأمل في هذا النص يجد فيه نهياً عن قرب الزنا أي أن الله حرّم علينا أن نسلك طريقاً تقرّبنا من الزنا. فالخلوة بالمرأة الأجنبية حرام، والنظرة واللمس وغير ذلك مما يؤدي إلى إثارة الغرائز وجموح الشهوة، كل ذلك يعتبر قرباً إلى هذه الجريمة النكراء، ولذا فإن الله نهى عن القرب وهذا منطوق الآية الكريمة، فيكون مفهومها النهي المشدّد عن الزنا وهذا ما يفهمه كل عاقل(١).

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٨.

هذا فقد حرص الإِسلام حرصاً شديداً على المحافظة على الأعراض من الدنس والقذف والسمعة السيئة، ولذلك فإنه حرّم الزنا ودواعيه ودعا إلى الزواج ورغّب فيه ونهى عن كل ما يثير الغرائز الجنسية، فنهى عن الاختلاط والرقص والصور المثيرة، والغناء الفاحش، والنظر المُريب، لئلا تتسرّب عوامل الضعف في البيت والانحلال في الأُسرة.

فالعلاقات الخليعة والاتصال الجنسي غير مشروع مما يهدد المجتمع بالفَناء والانقراض فضلاً عن كونه من الرذائل المحقّرة.

كما أن الوقوع في هذه الجريمة النكراء من الأسباب المباشرة في إنتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالأبدان، وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، كمرض الزُّهري والسيلان والقرحة وغيرها.

والزنا أحد أسباب جريمة القتل وإفساد نظام البيت، ويقطع العلاقة الزوجية، ويُعرّض الأبناء للتشرّد والإِنحراف والجريمة.

وفي الزنا ضياع النسب، وتمليك الأموال لغير أربابها، للعُهر والفجور لهذا كانت عقوبة الزنا أقسى عقوبة، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة النور: ٢].

قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني إذا كانا أعزبين غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوّجا ولو لمرّة في العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا.

كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ، فإن لم يستوفِ القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يُعذبان في النار بسياط من نار.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال[1]: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. فقلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال أن تزني بحليلة جارك ـ يعني زوجة جارك ـ فأنزل الله جل وعلا تصديق ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [سورة الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرّم الله عز وجل إلا بالحق.

وفي حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغطٌ وأصوات: قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ـ أي صاحوا من شدة العذاب ـ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني. يعني من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

وعن عطاء في تفسير قول الله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب): قال أشدّ تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم[1]. ويتحقق الزنا الموجب للحد بتغييب الحشفة - أو قدرها من مقطوعها - في فرج محرّم، مُشتهى بالطبع، من غير شبهة نكاح، ولو لم يكن معه إنزال، وحدُّ المحصن الثّيب الرجم - حتى الموت - وذلك حسب اتفاق الفقهاء، رجلاً كان أو امرأة...

أما حدّ البكر الحُر إذا زنا فإنه يُجلد مائة جلدة سواء في ذلك الرجال والنساء وهذا ما اتفق عليه الفقهاء[2]. لقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [سورة النور: ٢].

الشذوذ الجنسي (اللواط):

سنتكلم أخي القارئ - حفظك الله - بعد أن فرغنا من الكلام عن جريمة الزنا سنتكلم عن جرائم أخرى ومنها ما يتعلق بالشذوذ الجنسي... ومن أشنع هذه الجرائم عمل قوم لوط، أو ما يسمى باللواط، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة هود: ٧٦ - ٧٨].

---

(١) انظر: الكبائر للإمام الذهبي ص ٥٢.

(٢) انظر: فقه السنة ٣/٤٠٦ وما بعدها.

هذا فجريمة اللواط من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة، والدين والدنيا، بل وللحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقصى عقوبة فخسف الأرض بقوم لوط، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، جزاء فعلتهم، وأنزل في ذلك قرآناً يُتلى درساً وعبرة.

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ٨٠ ـ ٨٤].

إن انتشار هذه الخطيئة القذرة في جماعة يفسد عليهم حياتهم ويجعلهم عبيداً لها، وينسيهم كل خلق وعُرف وذوق. وحسبنا في هذا ما ذكره القرآن الكريم عن قوم لوط الذين ابتكروا هذه الفاحشة القذرة، وكانوا يَدعَون نساءهم الطيبة الحلال، ليأتوا تلك الشهوة الخبيثة الحرام. ولهذا قال لهم نبيْهم لوط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥ ـ ١٦٦][1].

ودمْغهُم القرآن ـ على لسان لوط ـ بالعدوان والجهل والإسراف والفساد والإجرام.

---

(١) وانظر الحلال والحرام ص ١٦٥.

دخل سفيان الثوري[1] الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال: أخرجوه عني فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، وأرى مع كل صبي بضعة عشر شيطاناً.

وروىٰ أن وفد عبد القيس لمّا قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد، فأجلسه الرسول ﷺ خلف ظهره وقال: «إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر»[2].

ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها مما حرّمه الله ورسوله قال عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

وروى أبو هريرة عن الرسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها»[3].

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: (من مكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقىٰ الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة).

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[4].

---

(١) الثوري هو: عبد الله الكوفي أحد الأعلام ومن أئمة المسلمين وكان مجمعاً على إمامته وإتقانه وحفظه وزهده وورعه (توفي في البصرة سنة ١٦١ هـ).

(٢) رواه الديلمي بسنده. وهذا الحديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع. (ذيل الموضوعات للسيوطي. وانظر الكبائر ص ٥٩).

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٤) رواه الخمسة. إلا النسائي (نيل الأوطار ٧/ ١٣١).

وإنما شدّد الإِسلام في عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها على الفرد والجماعة ومن هذه الأضرار: الرغبة عن المرأة، والتأثير في الأعصاب، وبالانعكاس النفسي في خُلق الفرد والتأثير في المخ، وارتخاء عضلات المستقيم وتمزّقه، ويثير الأعصاب ويُفسد توازن الجسم، ويؤثر على أعضاء التناسل، ويسبب له كثيراً من الأمراض والعلل.. ومنها التفوئيد والدوسنطاريا كما يصيب بالعُقم وعدم القدرة على إنجاب النسل[1]... إلخ.

وقد اختلف أهل العلم في عقوبة الفاعل للواط والمفعول به بعد اتفاقهم على تحريمه، وإنه من الكبائر المُهلكة للأحاديث المتواترة في تحريمه ولعن فاعله.

وذكر بعض الصحابة أن حدّه القتل ولو كان بكراً سواء كان فاعلاً أو مفعولاً[2].

قال الشوكاني: (وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارف هذه الرذيلة الذميمة بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويُعذّب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمرّدين، فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يُصلىٰ من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابهاً لعقوبتهم. وقد خسف الله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبّهم)[3].

---

(١) انظر: فقه السنة ٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣٢.
(٢) نيل الأوطار: (٧/ ١٣٢).
(٣) انظر: نيل الأوطار (٧/ ١٣٣).

هذا، وبعد أن عرفنا رأي الإِسلام في عقوبة اللواط، وهو (قتل فاعله ولعنه) فأرى من المفيد التعرف على رأي الفقهاء في هذه الجريمة البشعة.

لقد أجمع العلماء على حرمتها[1]، ولهم فيها ثلاثة آراء:

أ ـ القتل مطلقاً.

ب ـ الحدّ حدّ الزاني، فيجلد البكر ويرجم المحصن.

جـ ـ التعزير.

إتيان البهيمة:

ومن الفواحش المنكرة التي يندى لها الجبين وتتقزز منها النفوس، جريمة (إتيان البهيمة) التي أجمع العلماء على تحريمها، واختلفوا في عقوبة من فعل ذلك.

وقد ورد في هذه المسألة عدة أحاديث نبوية وآثار سلفية.

فعن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[2].

وعن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»[3].

(١) المرجع السابق (٧/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) رواه الخمسة إلا النسائي (نيل الأوطار ٧/ ١٣١).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: (لا نعرفه إلا من حديث عمرو ابن أبي عمرو (نيل الأوطار ٧/ ١٣٣).

وعن أبي رزين عن ابن عباس أنه قال: (من أتى بهيمة فلا حدّ عليه)[1]. وذكر أنه أصح.

وكذلك فقد روي عن جابر بن زيد أنه قال: (من أتى بهيمة أقيم عليه الحد). كما روي عن علي أنه قال: إن كان محصناً رجم.

وكذلك فقد رُوي عن الحسن: أنه بمنزلة الزاني.

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «من وقع على ذات محرم فاقتلوه ومن وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة)[2].

وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي في قول له وغيرهم، إلى وجوب تعزير من أتى البهيمة، إذ أنه ليس بزنا[3].

وذهب الشافعي في قول آخر إلى أنه يقتل، لما رواه عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة»[4]. وما أحق مرتكب هذه الجريمة الذميمة بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويُعذّب تعذيباً يكسر شهوة المتمردين، وسائر الفسقة والملحدين.

الاستمناء:

استمناء الرجل بيده مما يتنافى مع ما ينبغي أن يكون عليه

(١) رواه الترمذي وأبو داود من حديث عاصم (نيل الأوطار ٧/ ١٣٣).
(٢) رواه ابن ماجه. وانظر: (نيل الأوطار ٧/ ١٣٢). وفقه السنة (٢/ ٤٣٦).
(٣) انظر: نيل الأوطار (٧/ ١٣٤)، وفقه السنة (٢/ ٤٣٦).
(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي...

الإِنسان من الأدب وحسن الخلق، وقد اختلف الفقهاء في حكمه:

فمنهم من رأى أنه حرام في بعض الحالات، وواجب في بعضها الآخر.

ومنهم من رأى أنه حرام مطلقاً. ومنهم من ذهب إلى القول بكراهته.

أما الذين ذهبوا إلى تحريمه فهم المالكية والشافعية والزيدية.

وحجّتهم في التحريم أن الله سبحانه أمر بحفظ الفرج في كل الحالات، إلا بالنسبة للزوجة، وملك اليمين.

فإذا تجاوز المرء هاتين الحالتين واستمنى؛ كان من العادين المتجاوزين ما أحل الله لهم إلى ما حرمه عليهم. يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنين: ٥ ـ ٧].

وأما الذين ذهبوا إلى التحريم في بعض الحالات. والوجوب في بعضها الآخر، منْهم الأحناف فقد قالوا: إنّه يجب الاستمناء إذا خيف الوقوع في الزنا بدونه، جرياً على قاعدة: ارتكاب أخف الضررين.

وقالوا: إنه يحرم إذا كان لاستجلاب الشهوة وإثارتها. وقالوا: إنه لا بأس به إذا غلبت الشهوة، ولم يكن عنده زوجه أو أمة واستمنى بقصد تسكينها.

وأما الحنابلة فقالوا: إنه حرام، إلّا إذا استمنى خوفاً على نفسه من الزنا أو خوفاً على صحته، ولم تكن له زوجة أو أمة، ولم يقدر على الزواج، فإنه لا حرج عليه.

وروي أن الناس تكلّموا في الاستمناء فكرهته طائفة وأباحته أخرى، وممن كرهه ابن عمر، وعطاء.

وممّن أباحه ابن عباس، والحسن وبعض كبار التابعين(١). وأفضل من ذلك (الاستمناء) ما أرشد إليه الرسول الكريم، الشاب المسلم الذي يعجز عن الزواج أن يستعين بكثرة الصوم الذي يعلّم الصبر ويقوي الإِيمان والثقة بالنفس، فلقد قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء»(٢).

إن العادة السرية لها من الأضرار المادية ما يندى له الجبين حياءً وخجلاً. إنها تصيب الجهاز العصبي بالخمول والبلادة، بحيث تجعل صاحبها في حالة خمول تام، كما أنها تكون سبباً في الأمراض الخبيثة، كذلك لها تأثير على المعاشرة الزوجية، كما أَنها تصيب الساقين بالضعف، بحيث لا يقوى من يمارسها على المشي الكثير، وتصيب البصر بالضعف، وتصيب صاحبها بالشيخوخة المبكّرة(٣)....

ونصيحتنا إلى من لم يستطع الزواج فالبديل هو الصوم

---

(١) انظر: فقه السنة ٣/ ٤٣٤ وما بعدها، وقارن بالحلال والحرام ص ١٦٦ وما بعدها.

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر: فقه السنة ٣/ ٤٣٦.

والرياضات الروحية كالصلوات الخمس وقيام الليل وقراءة القرآن وذكر الله اللذان يقذفان النور في القلب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وهناك أيضاً من الرياضة البدنية كالسباحة والمصارعة والرماية والعدو وركوب الخيل كما جاء ذلك في الآثار الشريفة.

وهناك أيضاً: الاحتلام في المنام فإنه متنفّس صحي طبيعي، وعليكم ـ أيها القرّاء ـ اليقظة والحذر من كلام المغرورين بكم وأصلحوا ولا تتبّعوا سبيل المفسدين، وعيشوا حياة الطهر والنقاء، واحذروا طريق الظلمات والمغريات، تعيشوا سعداء أعزاء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

السحاق:

ومعنى السحاق: هو إتيان المرأة المرأة، أي: أن تفعل المرأة بالمرأة مثل صورة ما يفعل بها الرجل، كذا ذكره بعضهم، واستدلّ له بما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «السُّحاق زنا النساء بينهن»[1]. وقوله: «ثلاثة لا يقبل الله منهم شهادة أن لا إله إلا الله: الراكب والمركوب، والراكبة والمركوبة، والإمام الجائر»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، عن واثلة قاله في الجامع الصغير وإسناده ليّن...

(٢) انظر: الزواجر من اقتراف الكبائر ٢/١٤٣.

والسحاق من الرذائل المنكرة، وقد عدّها الإمام ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٤) وغيره من الكبائر المهلكة[١]... ونظراً لشناعة اقتراف هذه الرذيلة فقد اتفق العلماء على تحريمها، للحديث الشريف الثابت عن الرسول ﷺ: «لا ينظر رجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[٢].

وكذلك فقد رُوي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: (عشرة خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الإِزرار، ورمي البندق، والحذف بالحصى، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإِزار، وحل أزر[٣] الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وستزيد عليها هذه الأُمة مساحقة النساء النساء»[٤].

وجاء في بعض الآثار المرفوعة (إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان)[٥].

وأما حكم مباشرة السحاق دون إيلاج فهو التعزير، دون الحدّ، كما لو باشر الرجل المرأة دون إيلاج في الفرج[٦].

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٢) رواه أحمد ومسلم وغيرهما. (فقه السنة ٢/٤٣٦). واستدل العلماء بهذا الحديث على عدم جواز اضطجاع الرجل مع الرجل، والمرأة مع المرأة في ثوب واحد مع التماس ببعض البدن.

(٣) المراد بأزر الأقبية ـ والله أعلم ـ هو محل معقد الإِزار مع الأقبية.

(٤) انظر: الكبائر ص ٥٦ للإِمام الحافظ الذهبي.

(٥) انظر: الجواب الكافي ص ١٩٢.

(٦) انظر: فقه السنة ٢/٤٣٦...

الأمراض التناسلية ـ مرض الزُّهري:

لا بدّ لنا من إلقاء الضوء على الأضرار والمصائب التي تنجم عن الأمراض التناسلية التي تصيب الرجال والنّساء وهي كثيرة ومن أهمها: مرض الزُّهري الخطير.

فالزُّهري هو ثالث مرض في العالم منوط به إزهاق النفوس وتضييع الأرواح وهو أول مرض لا يريح المصاب بالموت حتى يتركه بحال يفتت الأكباد، ويذيب الأفئدة ممثلاً فيه شر تمثيل.

هذا الداء ينتشر في العالم انتشار فاحشة الزنا، وتجد الإِصابة به في لندن وحدها حوالي ١٠٪ أي أن عدد المصابين يبلغ الستمائة ألف شخص، وفي برلين ١٢٪، وفي باريس ١٥٪.

ولقد وجد أنه في (جوتنبرغ) التي يبلغ عدد سكانها [١٣٨١٣٠] نفس يبلغ عدد المصابين ٤٧ ألف شخص.

وقال العلاّمة بنكسين: إنه في ألمانيا بأجملها تجد في كل خمسة رجال رجلين مصابين بهذا الداء.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف شخص يقضي عليهم هذا الداء سنوياً.

أما في مصر فلقد وجد أنه في سنة ١٩٣١م تردد على الأربع عشرة عيادة سرية ٢٥٠ ألف زانٍ مريض بالزهري.

والمعروف أن عدد المصابين في القطر المصري لا يقل

عددهم عن المليونين، ولا يغيب عن البال أن الذين لا تبلّغ إصابتهم إلى الجهات المختصة لا يعلم عددهم غير الله تعالى.

هذا المرض يعدي بمجرد اللمس عن طريق الزنا، أو بمجرد تقبيل المصاب لغيره أو ملامسته وتسبّبه جرثومة خاصة تمسى (الاسبروشيت باليدا).

وتستطيع أن تلمس حقيقة هذا المرض إذا علمت أنه لا يترك جزءاً من أجزاء الجسم حتى يترك فيه آثاره؛ ولا يدع فيه جهازاً حتى يعطّل عمله ويفسد وظيفته[1].

إن ظهور القرحة التآكلية أو التقرحيّة في موضع الإصابة ما هو إلّا الإنذار الخطير بغزو الجراثيم لجميع أجزاء الجسم عن طريق الأوعية الدموية واللمفاوية جميعاً، ومن ثم يحمر الجلد، ويأخذ الأحمرار شكل دوائر وردية لا تلبث أن تأخذ شكلاً خاصاً يتحول إلى ما يسمى بالزهريات الحبيبية بجميع أشكالها وأنواعها؛ أو تتحول إلى حويصلات زهرية، فزهريات مللية، والزهريات الحبيبية لا تلبث أن تتقيّح سريعاً حتى تكون الربيا الزهرية، ويظهر كل ذلك مع تضخم لا يلبث أن يعم غدد الجسم الليمفاوية التي تتقّيح سريعاً إذا ما وصلتها الجراثيم العنقودية والسبحية، وتصيب جلود المرضى بالزهري مظاهر مشوهة لهذا الداء العضال، تعم جميع سطح الجسم، كالطفح الزهري الحبيبي، والثعباني، والنكسي، والعقدي، وكالصلع، والبهق الزهريين، وذلك بجانب إصابة الأظافر، وجعلها مُشوهة

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٢٣٨، وصور من عظمة الإسلام ص ٩٧.

هشّة سهلة الكسر مثقوبة القاعدة، وكذلك الأنسجة المحيطة بها لا تنجو من الالتهاب الدامس الزهري، بل هناك القروح العميقة والأورام الصمغية التي تتغلغل في الجلد حتى تكشف عن العظام وأربطة العضلات وتنتشر في السطح الوحشي للساقين وخلف الفخذين والإِليتين، وخلف الساعدين والمرفقين، وللسطح الوحشي للركبتين، والسطح الخارجي للكتف، وخلف اليدين، وفي السطح الأعلى للقدمين، وفي فروة الرأس فتتلف العضلات، وتتفتت العظام، وتتساقط شظاياها، وتتآكل أجزاؤها، وتغزو الجراثيم مفاصلها، فتصيبها بالورم والاستسقاء ويلتهب غشاؤها الزلالي.

والعين يصيبها الزُّهري، ويهلكها بجراثيمه. ولقد وجد في لندن أن نسبة العمى الزهري تبلغ ٣,٥٪ من مجموع الإِصابات بهذا الداء.

وأما عن الإِصابة في الأذن، فيكفي أن تعرف أن ٢٥٪ من المصابين تفقد آذانهم وظائفها ويصابون بالصمم.

والحاصل فإن أَضرار هذا المرض الخطير تدمّر الإِنسان كلياً حيث يُصاب بالشلل الذي يوصل الزاني إلى القبر بعد أن يذيقه أشد الآلام...؟![1].

السيلان:

أما مرض السّيلان فهو من الأمراض الفتّاكة لهذه الفاحشة

(١) تربية الأولاد في الإِسلام ص ٢٣٨ وما بعدها وقارن بكتاب صور من عظمة الإِسلام ص ٩٧ وما بعدها. وتحفة العروس ص ٣٢٠ وما بعدها.

(الزنا) ويُسبب هذا الداء جرثومة خاصة تسمى (الجونوككس) ولكي تعرف مقدار انتشار هذا المرض في الهيئة الاجتماعية ومبلغ تغلغله في أفرادها، يكفيك أن أذكر مثلاً لذلك من إحصائيات لندن أن ٦٠٪ من عدد أفرادها البالغين مصابون بهذا الداء، ويتراوح عدد المصابين في باريس من ٧٥٪ إلى ٩٠٪، وفي برلين من ٦٠٪ إلى ٧٠٪. وفي نيويورك تجد في كل مائة شخص ٨٠ مصابين بالسيّلان، هذا في أرقىٰ حضارة وأرسخها قدماً في علم الطب، وأكبرها ادعاء للمدنيّة والرقي(١)؟!.

إن من أعراض السيلان (التعقيبة) حدوث ألم وحرقة شديدة عند التبوّل وإفراز سائل صديدي (القيح) في مجرى البول عند الرجال، ومن عنق الرحم ومجرى البول عند النساء، ومن مضاعفات السيلان عند الذكور حدوث الالتهابات في الخصيتين والمثانة، وضيق مجرى البول....

أما عند النساء فيسبب التهاب الرحم والمبايض والكليتين....

ومرض التعقيبة قد يؤدي إلى العقم لدى الرجل والمرأة، وإصابة القناة البولية عند الرجل بقروح تؤدي في الغالب إلى انحباس البول الذي قد يؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان..

وكذلك فلا بدَّ من القول أن هناك أمراضاً خطيرة علاوة على ما ذكرنا ومنها:

---

(١) انظر: صور من عظمة الإسلام ص ١٠٣، وقارن بكتاب (تحفة العروس ص ٣٢٠ وما بعدها).

القرحة الرحوية، والقرحة الأكّالة، التي تصيب الرجال والنساء الذين يرتكبون مثل هذه الفواحش المنكرة[1].

انتشار الأمراض المعدية:

ومن أمراض الزنا واللواط أنه يجلب أمراضاً خبيثة معدية بسبب انتقال الجراثيم الفتاكة من المريض إلى الصحيح، وبسبب القذارة الحاصلة أثناء الجماع، وما أكثر هذه الأمراض السارية التي استفحل خطرها، وتفاقم شرها في المجتمعات التي ينتشر فيها الزنا واللواط، ويعم في ربوعها الفساد والمنكر!!..

وما أصدق ما قاله الصادق الأمين رسولنا الأعظم ﷺ، حين أخبر أن الفاحشة إذا ظهرت في قوم إبتلاهم الله بالأوجاع والأمراض التي لم تكن في أسلافهم فقد قال: «يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ عدّد منها: ...... ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعلم بها علانية إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم....»[2]. ألا فليتذكر أولو الألباب. وما قيمة مجتمع تشرّد أطفاله واندثرت أخلاقه وضاع حياؤه، وتهتك نساؤه وفجر شبابه؟ لا شك أنه مجتمع منحل متفكك مهدّد في كل لحظة بالزوال والدمار وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٦][3].

---

(١) انظر: تحفة العروس ص (٣٢٤ ـ ٣٢٥) (حواشي) وتربية الأولاد في الإسلام ١/ ٢٣٩.

(٢) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي.

(٣) وانظر: تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٢٣٨ وما بعدها.

الإيدز (الوباء القاتل):

الإيدز: وهو ما معناه باللغة العربية: مُتلازمة العوْز المناعي المكتسب. وقد اختلف في ظهوره، فقد قيل إنه ظهر قبل الثمانينات (من هذا القرن) على حدّ تعبير المختصين[1].

ويعتقد معظم الباحثين أن (القرد الأخضر) الذي يعيش في دول إفريقيا الوسطي، أنه كان سبباً ومصدراً رئيساً لفيروس الإيدز، وأن وجود(الفيروس) في دماء القرود الخضراء لا يسبب لها أية مشاكل ومن القرد ينتقل المرض إلى الإنسان.

ومن أهم طرق العدوى والانتشار لهذا المرض نذكر ما يلي:

١ ـ الزنا واللواط، وانتشار بيوت الدعارة.

٢ ـ طريق استعمال إبر غير معقمة.

٣ ـ نقل الدم الملوث إلى الإِنسان السليم.

أعراض المرض:

لقد وجد الباحثون بأن ليس كل من دخل جسمه (فيْروس الإِيدز) يعتبر مريضاً، وأن أعراض المرض ستظهر عليه عاجلاً أم آجلاً، ولكن يعتبر ناقلاً للمرض، وقد ينقله إلى إنسان أو أكثر بطريقة أو أكثر من الطرق السابقة.

وبتقدير الدكتور (جيمس كارن) رئيس فريق البحث عن

---

(١) انظر: كتاب (الإِيدز ص ١٦) للدكتور: علي البيراوي/ ط١ / ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م/ منشورات دار عمّار ـ عمّان.

مرض الإِيدز في مركز الوقاية من الأمراض في اطلنطا، أن عدد المصابين بما يسمى (مرحلة ما قبل الإِيدز) (قبل نهاية عام ١٩٨٥) يتراوح ما بين (٥ ـ ١٠٪) من مجموع المصابين في الولايات المتحدة (١١١٣٢).

وقد دلت تحاليل الدم أن في أمريكا أكثر من مليون أمريكي يحملون فيروس الإِيدز، دون أن تظهر أعراض المرض عليهم، أي أنهم من الفئة الناقلة للمرض[١].

ويمكن إيجاز أعراض هذا المرض على الذين يعيشون في (مرحلة ما قبل الإِيدز) في النقاط التالية:

١ ـ الإِحساس بالتعب والإِنهاك وحكّة في أنحاء متفرقة من الجسم.

٢ ـ حُمّى تدوم أكثر من ثلاثة أسابيع وقد تزيد في ارتفاعها عن ٣٨ مْ.

٣ ـ عرق ليلي، وسعال حاد وجاف دون تحديد سبب معين.

٤ ـ الشعور بالكآبة وآلام في الرأس، وإسهال إنتكاسي دون سبب محدد.

٥ ـ إصابة الفم والمريء بالفطريات وظهور سرطان على الجلد ـ أحياناً ـ وغيرهما من الأعراض التي كثيراً ما يعاني منها

(١) انظر: المرجع السابق ص ٦٦.

الناس، والتي قد تكون أعراضاً لمرض أو أكثر غير الإيدز[١]...

اليهود ينشرون مرض الإيدز:

ذكرت جريدة (دافار) الاسرائيلية أنه وزعت مؤخراً في مدارس ثانوية في فرنسا منشورات تفيد بأن اسرائيليين ويهود يقومون بنشر مرض (الإيدز) في العالم. كذلك ربطت النشرة التي تصدرها هيئة تقاوم الأمراض الجنسية المستعصية، بين مرض الإيدز واليهود.

وقالت الجريدة: أنه جاء في المنشورات التي وزعت في المدارس الثانوية في فرنسا، إن قسماً كبيراً من الجالية اليهودية في فرنسا، قد أصيب بوباء الإيدز؛ وذلك عن طريق النقل من الخارج. وحيث أن مستشارين إسرائيليين خدموا في السابق في [زائير] قد أصيبوا بالمرض بسبب اتصالهم مع عاهرات محليات، وقام هؤلاء بنقل المرض إلى فتيات يهوديات ذهبن لقضاء إجازتهن في الكيان الصهيوني.

وقالت المنشورات: بما أن معظم الباحثين في مرض الإيدز، هم من اليهود، فإن هذه القضية، التي أصبحت حديث الساعة في الكنس اليهودية، لم تتسرب. وأضافت الجريدة أنه جاء في نشرة تصدرها الرابطة المضادة لخطر الأمراض الجنسية، والتي يرأسها طبيب فرنسي هو الأستاذ بيير باربييه أن مرضاً جلدياً نادراً، منتشراً بشكل خاص بين اليهود ممن تتجاوز

(١) للمزيد راجع: كتاب (الإيدز الوباء القاتل: ص ٦٧ وما بعدها).

أعمارهم الستين سنة، قد ظهر لدى الشبان غير اليهود، الذين أُصيبوا بمرض (الإِيدز) ويتم الآن بحث العلاقة بين المرضيين[1].

وفاة قسّ أميركي بمرض الإِيدز:

صرّح كبير أساقفة واشنطن أمس الأول بأن أحد القساوسة قد توفي بمرض (الإِيدز) وأوضح أنه أُعلن ذلك إحتراماً لرغبة الفقيد الذي كان يريد إثارة شفقة الشعب على الأشخاص المصابين بهذا المرض.

وقال (المونسينيور جيمس هيكي): (لقد اتفقت معه في الرأي بأن قول الحقيقة عن مرضه سيثير التعاطف والشفقة وليس المحاسبة والنفور).

وقد توفي الأب (مايكل بيترسون) ـ ٤٤ سنة في أحد مستشفيات العاصمة الفيدرالية وكان أيضاً طبيباً نفسياً، وقد أسس وأدار معهداً متخصصاً في علاج مدمني الخمر والمخدرات من القساوسة.

وأضاف (مونسينيور هيكي) أنه لا يعرف كيف أصيب الأب (بيترسون) بمرض (الإِيدز) وقال: (لم أسأله في ذلك) ورداً على سؤال بشأن موقف الكنيسة إزاء هذا المرض ذكر أنه ليس هناك موقف محدد وفيما يتعلق بالصلة المعقودة بين

(١) انظر: مجلة هدي الإِسلام ص ٩٦ ـ العدد الخامس ـ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م. الأردن ـ عمّان.

(الإيدز) و (الشذوذ الجنسي)، أوضح أنه (إذا كانت نوازع الشذوذ الجنسي ليست خطيئة، فإن ممارسته خطيئة).

وتفيد مجلة ـ ناشيونال كاثوليك ريبورتر ـ المستقلة المتخصصة أن (١٢) قسّاً قد أُصيبوا حتى الآن بمرض الإيدز[١].

الإيدز يهدّد ساحل العاج بالفَنَاء:

تجاوز مرض قصور المناعة المكتسبة (الإيدز) في (أبيدجان) بساحل العاج مرض الملاريا، وجميع الأوبئة التي تعاني منها إفريقيا أصلاً ليصير السبب الأول للوفيات بين الرجال.

فقد أفادت دراسة قامت بها (منظمة الصحة العالمية) في أكبر مشرحتين في العاصمة الاقتصادية لساحل العاج أن (١٥٪) من الموتى الرجال قضوا العام الماضي بسبب (الإيدز)، ويشكل مرض (الإيدز) السبب الثاني للوفيات بين النساء (١٣٪) بعد الاشتراكات المرتبطة بالحمل والولادة.

وفي المناطق (المدنّية) تحتل ساحل العاج المرتبة الأولى في عدد المصابين (بالإيدز) في إفريقيا الغربية بحسب الدراسة، وذلك بسبب امتزاج الشعوب على أرضها، وانتشار أماكن البغاء، وعدم وجود قيود على العلاقات الجنسية...، وتؤكد المنظمة الأفريقية لمكافحة (الإيدز) أن المرض يهدد جميع السكان...

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٠٣.

فالمرض ينتقل في ساحل العاج بشكل خاص من خلال العلاقات بين الجنسين، وكذلك من الأم إلى الطفل، وكذلك من خلال بعض العادات المحلية، مثل تزويج الأرامل الشابات من والد زوجهنّ مما يسهل انتشار المرض[1].

وبعد: فهذه بعض الأمراض التناسلية الخطيرة التي تفتك بالبشرية نتيجة الانحرافات الاجتماعية، والابتعاد عن تعاليم الإسلام... لذلك ينبغي على الحكومات الإسلامية العمل على محاربة هذه المنكرات، وقطع دابرها، وهذا واجب ديني لا يجوز إهماله...

فالفواحش ومنها مرض (الإيدز الطاعون الخبيث) آفات مهلكة ينبغي الحذر منها. وليكن شعارنا: الوقاية خير من العلاج. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

(١) راجع: جريدة الرأي الأردنية ص ٢٢ عدد (٨٢١٥) تاريخ ٧/٧/١٩٩٠ م.

الفصل العاشر

أشراط الساعة

- مدخل.
- علامات اقتراب الساعة.
- اشراط الساعة الكبرى.
- خروج ياجوج وماجوج.
- الدخان.
- خروج الدابة من الأرض.
- طلوع الشمس من مغربها.
- ظهور المسيح الدجال.
- نزول عيسى ابن مريم.
- نار تخرج من اليمن وأخرى من الحجاز.
- ريح طيبة.

أشراط الساعة

مدخل:

رأيت من المفيد أن أتحدث عن هذا الموضوع (أشراط الساعة) لعله يبعث في النفس خوفاً ورهبة من جلال ذلك اليوم المشهود. فهو يوم الطامة الكبرى. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحج: ٢].

هذا فإن من المؤسف، أن الغالبية العظمى من شباب هذا الجيل قد أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات، وبهرتهم زينة الدنيا، وشُغِلوا بها فصرفتهم عن دينهم، وجعلوها أكبر همّهم ومبلغ علمهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وأخشى أن تفرّقهم فتنة الدنيا في خضمّها الواسع البعيد القرار... وغاية قصدي أن أدعو إلى سبيل ربي بالموعظة الحسنة وأرجو أن يتوب العاصي إلى الله فيستغفره.... والله يقبل توبة التائبين.

كان رسول الله ﷺ يهوّن من شأن الدنيا وقد وصفها بأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة وكان يرغّب بالآخرة والسعي لها بالعمل الصالح. فالآخرة خير وأبقىٰ. وكان عليه الصلاة والسلام

حريصاً كل الحرص على أن يتمسك المؤمن بدينه وأن يفرّ بدينه إتقاءاً للفتن قبل أن تتوالى علامات الساعة وأشراطها حيث لا ينفع نفس إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل.

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل، وتشرب الخمر، ويظهر الزنا، وتقلّ الرجال وتكثر النساء، حتى تكون للخمسين امرأة قيّم واحد»[١]. . . . وعنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فهو شجر اليهود»[٢]. وقال: «هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة».

والساعة من أسماء يوم القيامة، ويوم القيامة هو الحادثة الكونية العظمى التي تطوى عندها السماوات والأرض وينتثر فيها هذا النظام الكوني أجمع.

فأما موعد هذا الحدث وزمنه والوقت الذي يكون فيه، فذلك ما أخفىٰ الله تعالى علمه عن الناس كلهم، بما فيهم الرسل والأنبياء، فليس لأحد ـ كائناً من كان ـ من سبيل إلى معرفة ما بقي من عمر الدنيا.

ولقد صرّح القرآن بهذا مكرراً ومؤكداً فقال مرة: ﴿يَسْئَلُونَكَ

---

(١) رواه البخاري والترمذي.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧].

وقال مرة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الملك: ٢٥ ـ ٢٦]. وقال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٢ ـ ٤٤].

وأوضح النبي ﷺ هذا في الحديث الصحيح المتفق عليه، عندما سأله جبريل: متى الساعة؟ حيث أجابه: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

وأما عن علامات الساعة وأشراطها التي تكون بين يديها، فقد حدثنا كل من الكتاب والسنة عن أشراط لها، ولا شك أن جملة هذه الأشراط مما هو معروف من الدين بالضرورة فلا يجوز للمسلم أن ينكرها أو يمتري بها وإن كانت داخلة في المغيّبات التي لم تقع بعد[١].

ولقد تحدثنا فيما مضى عن بعض العلامات الصغرى للساعة، أما أشراط الساعة وآياتها الكبرى، فنراها مفصّلة في الحديث النبوي التالي وهي أساس هذا البحث... فعن حذيفة الغفّاري عن النبي ﷺ أنه قال: «لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: الدخان، والدجّال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها،

(١) انظر: كبرى اليقينيات الكونية ص٣١٩ وما بعدها.

ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب، ونار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[(١)].

لقد تحدثت فيما سبق عن بعض علامات الساعة وفيما يلي بسط وتفصيل لبعض علامات إقترابها ثم اشراطها الكبرى.

علامات اقتراب الساعة:

أودّ أن ألفت نظر القارىء الكريم وبخاصة من استهوته الدنيا وتعلّق بحبائلها التي هي أوهى من خيوط العنكبوت، وإذا كنت أيها العاقل بحاجة إلى الإِيمان كما سبق البيان فأنت بحاجة إليه لتنجو من العذاب بالنيران، ولتكون من أهل الجنان، ولأن عمل الخالق سبحانه ـ يأبى التسوية بين المسلمين والمجرمين ـ ولأن خالق السماوات والأرض بالحق لا بد أن يقيم الميزان في كل قضايا الإِنسان ولأن الذي حفظ خلقك ورعاك وأنت نطفة صغيرة لن يضيعك سُدى.

ولأن هذا الطور الناقص من حياة الإِنسان لا يكمل وتظهر الحكمة منه إلا بالحياة الأخرى ولأن ما تحتفظ به الأرض من سجلاّت لا بد من عرضه مرة ثانية.

ولأن مطامع الإِنسان لا تشبع إلا بما أعدّ لها الخالق في الآخرة لأنها قد خلقت للآخرة ولأن الذي يبدىء ويعيد، وقد بدأ الخلق أول مرة، يسهل عليه أن يعيد الخلق مرة ثانية، ولأن

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

الذي كتب الموت والحياة قد أرسل الرسل الصادقين وأيَّدهم بالدلائل والبينات، فأخبرونا عن المصير، وعن عذاب الله للعصاة في نار وقودها الناس والحجارة، كما أخبرونا عن السعادة الكبرى في جنة،عرضها السماوات والأرض، ولقد أخبرنا الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه خاتم الأنبياء وأن الحساب قد قرب، ولقد حدثنا عن علامات قرب الساعة التي ستأتي بعده عليه الصلاة والسلام فرأيناها الآن قد بدأت تظهر وما كان أحد ليصدّق في الزمن الماضي بأنها ستقع، لولا أن الذي أخبرنا بها هو رسول الله، بتعليم من ربه ونحن اليوم نراها كما أخبرنا رسول الله وغداً يرى أهل النار، ما وعدهم ربهم، كما يرى أهل الجنة، صدق ما وعدهم ربهم... وهذه بعض العلامات التي أخبرنا رسول الله ﷺ:

١ ـ ظهور العجائب التي لا تخطر على بال:

هذا هو زمن العجائب في المخترعات والمبادىء والأخلاق والتنظيمات وفي هذا الزمان شاهدنا من عظائم الأشياء ما لم يكن يخطر لنا على بال، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن هذا الزمان حتى لا تضطرب أفكارنا وتطيش من الأمور العظيمة أفئدتنا. فقال عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم»(١). وقال عليه وعلى آله السلام: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها

(١) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث سمرة بن جندب ورواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير.

عظاماً تقولون: هل كنا حدثنا بهذا فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة»[1].

٢ ـ الحفاة العراة رعاة الغنم العالة سيشيّدون العمائر المتطاولة:

لا يصدّق إنسان من غير المؤمنين أو جاهل بالحديث أن راعي الغنم الحافي الذي لا يملك الحذاء ولا الملبس ولا الطعام يتمكن من بناء العمائر الضخمة ويطاول غيره في البناء حتى رأينا البترول يخرج من أرض الحفاة الرعاة العالة، فإذا هم يتطاولون في البنيان، وصدق رسول الله ﷺ الذي أخبرنا بهذا، قبل وقوعه بقرون فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان فانتظر الساعة»[2].

٣ ـ زخرفة البيوت كما تُزخرف الأثواب:

ما كان أحد من السابقين يتوقع أن يبذل الناس جهداً لزخرفة الجدران والبيوت وتخطيطها كما تخطط الثياب لما يُسبب ذلك من كلفة، ولأن ذلك ليس بالأمر الضروري حتى جاء هذا الزمان ورأينا الزخرفة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ بقوله: «لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشّونها وشي المراحيل)[3]. والمراحيل هي الثياب المخططة.

---

(١) رواه الطبراني والبزار في حديث سمرة. وانظر: عقيدة المؤمن ص٣٣٥ ـ ٣٣٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم. وانظر: (شرح لوامع الأنوار البهية ص٣٣١ وما بعدها).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد. وانظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٢٣٠ وما بعدها.

٤ ـ تقريب أجزاء الأرض:

ما كان يخطر ببال أحد أن أجزاء الأرض ستقرب وتُزوىٰ حتى يتمكن المشاهد أن يشاهد في مرة واحدة تلك الأجواء المتباعدة كما حدث ذلك لرسول الله ﷺ وكما أخبر فقال: «زُويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ مُلك أمتي مقدار ما تزوىّ لي منها».

ولقد أخبر الرسول الكريم أن الأرض ستُزوىٰ في أواخر الزمان فقال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوىٰ الأرض زوياً».

فهذه الأرض قد زويت فرأى راكب الصاروخ مشارقها ومغاربها ورأى الناس معه ذلك، وهذه المسافات قد اختصرت وهذا من زويّ الأرض، وتقارب الزمان، وهذه الأصوات قد سمعت من الأماكن البعيدة والصور قد انتقلت، وهذا من زويّ الأرض وتقارب الزمان، وهذه علامات الساعة، كما أخبر الرسول ﷺ.

٥ ـ حديث السباع ونطق الجماد ونقل أخبار الزوجة إلى زوجها:

هل يمكن للسباع أن تتكلم؟ هذا مستحيل بالنسبة لمن عاشوا قبلنا... لكنها اليوم قد بدأت الكلام وهذه القطط قد بدأ بعضها يُفصح... وغداً تلحقها السباع... لكن هذا من علامات قرب الساعة هكذا أخبرنا رسول الله ﷺ، وغداً تقع الساعة كما وقعت اليوم بعض علاماتها. وكذلك ما كان أحد

يصدق أن الجماد سيتكلم وأن يتمكن من التعرّف على أحوال المنزل ونقل أخباره إلى الزوج بعد مُغادرته بيته، حتى تمكّن الباحثون من صنع جهاز للتنّصت ينقل الأخبار من أي مكان إلى حامل هذا الجهاز فيحمل في النعل على شكل سوط عذبته التي تتحدّث كما قال شاهدنا المذياع (الراديو) قد صُنع على شكل نظارة. ولكن هذا أيضاً من علامات قرب الساعة. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإِنسان وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره بما أحدث أهله من بعده»[(١)].

وهذا هو حديث السباع ونطق الجماد وهذا من علامات قرب الساعة.

٦ ـ نهضة علمية مع جهل بالدين:

كان السائد أن القراءة إذا كثرت دلت على كثرة الفقه وأن الأمراء إذا كثروا، كثر فيهم الأمناء لأن الأمارات والولايات يتحرى فيها الأمانة لكن آخر الزمان قد جاءنا بالعكس من ذلك كما قال عليه السلام: «من اقتراب الساعة كثرة القراء وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء»[(٢)]. ولقد كان العلم دليلاً على قوة الدين والجهل دليلاً على ضعف الدين ولكن العكس هو

(١) رواه أحمد في مسنده عند حديث أبي سعيد الخدري ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وأبو نعيم في الحلية وغيرهم. وانظر: مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر ص١٧١ للشيخ حسن أيوب.

(٢) رواه الطبراني عن عبد الرحمٰن الأنصاري، وانظر: عقيدة المؤمن ص٣٤٠ وما بعدها.

الذي يكون في آخر الزمان كما أخبر الرسول عليه السلام قال: «يكون في آخر الزمان عبّاد جهّال وقرّاء فسقة»[1].

٧ ـ وفرة الأموال وإتساع التجارة وكثرة القراءة والكتابة:

قال عليه الصلاة والسلام: «إن من أشراط الساعة أن يفشو المال وتفشو التجارة ويظهر القلم»[2]. وظهور القلم دليل على كثرة القرّاء والكتّاب.

٨ ـ تعرّي النساء وتمايلهن وجعل الرؤوس كأسنمة الجمال:

ما كان يخطر ببال أحد من نساء المسلمين سيعملن على التعرّي والتمايل واتخاذ كل وسيلة تثير شهوات الرجال. لكن حركة التعرّي مشاهدة رغم وفرة الملابس، فهذه الملابس الضيقة تجعل المرأة كأنها عارية، وهذه الملابس الخفيفة الكاشفة تعرّي الجسم من خلف الكساء الشفاف، وهذه الملابس القصيرة تكشف قدراً كبيراً من جسم المرأة، رغم وفرة القماش والكساء الذي يكسو ما كشف، وهذه حمامات السباحة المختلطة تشاهد فيها المرأة، وقد تجرّدت من ثيابها وكسائها وعرَّت جسمها إلّا الفرج وبعض الثديين!! فهؤلاء هن الكاسيات لكنهن العاريات، ولقد تعمدت أغلب النساء أن يلبسن حذاء بكعب عالٍ يجعل جسم المرأة مائلاً من الخلف إلى الأمام فتميل رؤوس المفتونين وقلوبهم مع ميل قلوب النساء وتمايل أجسادهن، ومع هذا

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية والحاكم عن أنس.

(٢) رواه النسائي عن عمر بن تغلب.

التعرّي والتمايل، تلك التسريحات المختلفة التي تجمع الشعر وكأنه سنام جمل يتمايل، ولقد كشف هذا الرسول عليه وآله الصلاة والسلام فكانت الكلمات كأنها تقاطيع الصورة المشاهدة، فقال: «صنفان من أُمتي في النار لم أرهم: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائل»[1].

٩ - تشبّه الرجال كالنساء والنساء كالرجال:

ما كان يخطر على بال أحد من السابقين أن الرجال سيتشبّهون بالنساء وبالعكس وخاصة في جو النخّوة القبلية الذي يئد البنت حية تخلّصاً من عارها، لكن رسول الله ﷺ يخبر بذلك ويخبر أنه من علامات قرب الساعة فقد قال: «من اقتراب الساعة تشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال»[2].

١٠ - تربية الكلاب وكراهية تربية الأولاد وظهور الفاحشة:

وما كان أحد يتصور أن الناس سيكرهون تربية أولاد من أصلابهم ويقبلون على تربية الكلاب وخاصة في بيئة عربية قبلية تفاخر بالأبناء وكثرتهم.

لكنها النبوة قد كشف الله لرسوله بها حجب الزمان، وأخبر أن ذلك من علامات آخر الزمان، فقال عليه الصلاة

---

(١) رواه مسلم.. والبخت: الجمال. وانظر: (مختصر شرح لوامع الأنوار البهية ص٣٣٢ وما بعدها.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وروى غيره مثله.

والسلام: «إذا اقترب الزمان لأن يربي الرجل جرواً[1] خير له من أن يربي ولداً له، ولا يُوقّر كبيراً ولا يرحم صغيراً، ويكثر أولاد الزنى حتى إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك المداهن»[2].

هذه بعض العلامات قد شاهدناها، وقد أخبرتنا أحاديث الرسول ﷺ عن الكثير ورأينا منها الكثير والذي أخبرنا عن أمارات الساعة قبل ظهور بقرون فرأيناها كما أخبر، هو الذي أخبرنا عن الساعة وأمرها وأحوالها مما يحث العاقل ويدفعه إلى أن يتفكر في مصيره الذي أخبره به الرسل الكرام صلى الله عليهم أجمعين، كما سيدفعه ذلك إلى أن يتفكّر في أمر هذه الدنيا التي تعيش فيها.

أشراط الساعة الكبرى

١ ـ خروج يأجوج ومأجوج:

إنّ خروج يأجوج ومأجوج[3] من الأشراط العظيمة التي دلّت عليها نصوص الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الكهف: ٩٤].

(١) الجرو: هو الكلب الصغير. وانظر: الكواشف الجلية ص٢٣٢، للشيخ عبد العزيز السلمان.

(٢) رواه الطبراني والحاكم عن أبي ذر.

(٣) هاتان الكلمتان عبّر بهما القرآن الكريم عن أمة كبيرة من الناس يفاجىء بها العالم تنسل إليه من كل حدب تنشر الفساد والدمار على نحو مذهل وبطريقة مرعبة.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧].

أما السنة: فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدُخان، والدابّة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم، وظهور المهدي، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين»[(١)].

ولقد ورد في تفسير سورة الكهف عن ذي القرنين أنه كان من الصالحين وأن قوم يأجوج ومأجوج كانوا من المفسدين في الأرض فقام ذو القرنين ببناء سد من الحديد والنحاس بين جبلين فصار ردماً واحداً، وقال: «هذا رحمة من ربي أن يحجز به بين هؤلاء القوم المفسدين في الأرض وبين الناس فإذا جاء وعد ربي... أي الوقت الذي قدّر إنهدامه فيه... جعله دكاً... أي مساوياً للأرض... وهذا شيء لا بدّ من كونه يحدث (وتركنا بعضهم يموج في بعض)، يعني بذلك يوم انهدامه يخرجون على الناس فيمرحون فيهم وينسلون... أي يسرعون المشي من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور للفزع قريباً من ذلك الوقت[(٢)].

(١) رواه ابن ماجه، عن حذيفة بن أُسيد، وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٠١ وما بعدها. وانظر: مع رسول الله وكتبه ص١٨٠.

وفي حديث زينب بنت جحش: (أن رسول الله ﷺ نام عندها ثم استيقظ محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر ما اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بين إصبعيه).

وفي رواية وعقد سبعين أو تسعين قالت: قلت يا رسول الله أَنَهْلك وفينا صالحون؟ قال: «نعم. إذا كثر الخبث»[1].

وعن النواس بن سمعان الحديث الطويل الذي ذكرناه آنفاً والذي فيه خبر الدجّال وعيسى ابن مريم، وفيه: (ويبعث يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرُ أوائلهم على (بحيرة طبرية) فيشربون ما فيها؟ ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماء...)[2].

والحاصل: ففي خروجهم وفتنتهم حديث النواس عند مسلم بروايات وألفاظ، ولم يأتي في مدة مكثهم في الأرض وقدر أعمارهم شيء، بل ظاهر الأحاديث أنهم بمجرد أن يتوسطوا الأرض ويقربوا بيت المقدس يقتلهم الله بالنغّف (أي الدود الذي يدخل آنافهم[3]...). والله تعالى أعلم.

فتلك الآيات وهذه الأحاديث، ذات دلالة قاطعة على أَنّ

(١) رواه الشيخان (مسلم والبخاري). وانظر: مختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٦٤.
(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.
(٣) للمزيد راجع: شرح العقيدة الطّحاوي ص٥٦٥ وكبرى اليقنيات الكونية ص٣٣٦ للدكتور محمد سعيد البوطي.

من أشراط الساعة ظهور هذه الأُمة التي تعثو فساداً في الأرض. فكان الإِيمان بذلك من الضروريات التي لا بدَّ منها للإِيمان بالكتاب والسنة[1].

٢ ـ الدخان:

ومن أشراط الساعة الدخان الذي يكون قبل يوم القيامة قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠ ـ ١٦].

قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الدخان: ١٠][2].

قال ابن عباس، وابن عمر، وزيد بن علي وغيرهم: (هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين)[3].

وأما السنة فكثيرة منها ما أشرنا إليه، ومنها حديث حذيفة عند الطبراني، وفيه أن (من أشراط الساعة دخاناً يملي ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوماً، أما المؤمن

---

(١) الإذاعة ص١٦٦.

(٢) انظر: الإِذاعة ص١٧٤.

(٣) انظر: الإِذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ص١٧٤، والساعة وأشراطها ص٥٠ ـ ٥١.

فيصيبه منه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأُذنيه ودبره»[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الصحيح وغيره.

٣ ـ خروج الدابة من الأرض:

وأما خروج الدابة من الأرض فقد ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨].

وعن عبد الله بن عمرو قال: (حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنساه بعد، سمعت الرسول ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»[2]. أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج

(١) رواه الطبراني. وانظر: حديث مسلم في شرح الطحاوية ص٥٦٤ وعقيدة أهل الأثر ص١٢٨.
(٢) رواه مسلم.

يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة.

وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان، أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات.

وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية[(١)].

٤ ـ طلوع الشمس من مغربها:

قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾[(٢)].
وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

قال أهل العلم: طلوع الشمس من الأُفق الغربي ثابت بالسنة الصحيحة، والأخبار الصريحة، بل والكتاب المنزل على النبي المرسل.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨].

أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنه طلوع الشمس من مغربها. وقال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [سورة القيامة: ٩].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٥٦٦، وانظر: الإذاعة ص١٧٣ وعقيدة أهل الأثر ص١٢٨.
(٢) وانظر: الإذاعة لما كان ويكون ص١٧٠ وما بعدها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعاً فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، والدخان... إلخ)(٢).

وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه). ومفهومه أن من تاب بعد ذلك لا تقبل توبته ولإبي داود والنسائي: (لا تزال تقبل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)(٣). ومجموع هذه الآيات الكريمة والآثار الشريفة دليل على أن من أحدث إيماناً، أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه... (والله أعلم). وذلك لأن حدوث ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على إقترابها ودنوها، فيعامل الشخص في ذلك الوقت معاملة يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر: ٨٤ ـ ٨٥].

---

(١) رواه الشيخان والبيهقي وابن مردويه. وانظر: (شرح العقيدة الطحاوية ص٥٦٦).

(٢) رواه أحمد ومسلم والحاكم وغيرهم.

(٣) سنده جيد وهو من حديث ابن معاوية. انظر: (قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ص٢١٨.

٥ ـ ظهور المسيح الدجّال:

والدجّال لقب له لشدّة تدجيله وكذبه، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل، وهو رجل يهودي الأصل، يظهر من جهة المشرق، فيدّعي بين الناس الصلاح والاستقامة، وعينه اليمنى عوراء جاحظة وطافية بشكل منكر ولا يولد له ولد، ولا يمكّن من دخول مكة والمدينة، ويقتله عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام وكذلك فإنه يدعي الأُلوهية ويتّبعه فيما يدعو الناس إليه، خلق كثير معظمهم من اليهود. ويجري الله تعالى على يده الآيات الباهرة مثل إحياء الموتى وهو من الآيات العظام التي لا تكون إلا للأنبياء، كل ذلك على سبل الفتنة وتضليل الناس(١).

وكذلك فقد فاضت بالآحاديث المتعلقة به جميع كتب السنة، تحذيراً وإخباراً ووصفاً، ولننقل لك بعضاً يسيراً من هذه الأحاديث:

١ ـ فعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجّال، فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور» رواه الشيخان.

٢ ـ وعن حذيفة (واللفظ لمسلم) أن عقبة قال له: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجّال فقال: «إن الدجّال يخرج وإن معه ماء وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء تحرق وأما

(١) انظر: فتح الباري ١٣/ ٨٤، وكبرى اليقينيات ص٣٢٣ وما بعدها.

الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب؛ فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه عذب طيب بارد)[١]. فقال عقبة: وأنا قد سمعته، تصديقاً لحذيفة.

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يخفىٰ عليكم إن الله تعالى ليس بأعور وإن المسيح الدجّال[٢] أعور عين اليمنى، كأنَّ عينه عنبة طافية»[٣].

٤ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال لي صائد (واسمه صاف يهودي الأصل يمارس الكهانة، كان يشاع في المدينة أنه ربما كان هو الدجّال): مالي ولكم يا أصحاب محمد، ألم يقل نبي الله ﷺ إنه يهودي وقد أسلمت، وقال: لا يولد له وقد ولد لي، وقال: إن الله حرّم عليّ مكة وقد حججت. قال: فما زال حتى كاد أن يأخذ في قوله...)[٤].

٥ ـ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب إلا أنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) ـ كافر»[٥].

---

(١) رواه الشيخان. وانظر: (اللؤلؤ والمرجان ٣/ ٩٢٠).

(٢) إنما سمّي الدجّال مسيحاً لأن أحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحاً، كما في جامع الأصول.
وأما تسمية عيسى ابن مريم مسيحاً، فقيل: لمسح زكريا ـ عليه السلام ـ إياه، وقيل: لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، وقيل: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها في سياحته، وقيل: المسيح الصديق، فسيدنا عيسى مسيح الهُدى، وأما الدجّال: فمسيح الضلالة. انظر: (مختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٥٢).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

لقد كان رسول الله يتعوّذ بالله من فتنة الدجّال، فقد ثبت في الصحاح أن الرسول ﷺ كان يقول: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن فتنة القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجّال».

هذا وإن مجموع الأحاديث المختلفة الواردة في حق المسيح الدجال، تبين أنه ذو علامات فارقة كثيرة، وفيها ما يدلل على علاماته (الدجّال) التي اختصّ بها، مما يساعد على معرفته وكشف هويته.

وبمناسبة الحديث عن المسيح الدجّال، أرى من الضروري أن أذكّر (القارىء الكريم) وبخاصة في هذه الأيام أن من أوجب الواجبات على العلماء والدعاة والمصلحين والمعلمين أن يتحمّلوا أمانة نشر رسالة العلم وتبليغها للناس، وأن يبثّوا حديث الدجّال بين الأولاد والنساء والرجال، ولا سيّما في هذا الزمان لحاجة الأُمة الماسة للوقوف على الفتن وبواعثها والشرور التي تنجم عنها، فقد اشرأبت في عصرنا الفتن وكثرت فيه المحن واندرست فيه معالم السنن، حتى أصبح الإِسلام غريباً، فصارت السنة بدعة والبدعة سنة وشرع يتّبع...

هذا، وقد قال ابن ماجه «سمعت الطنافسي يقول: سمعت المحاربي يقول: ينبغي أن يرفع هذا الحديث ـ يعني حديث الدجّال ـ إلى المؤدب (المعلم) حتى يعلّمه الصبيان في الكُتّاب»[١].

---

(١) شرح مختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٥٦.

فما أحرانا أن نطبّق هذه المفاهيم في مدارسنا ومعاهدنا التربوية، ونعلّمها لأبنائنا حتى تنجو الأُمة من الشرور والمفاسد التي عمت بلواها.

وصدق من قال:

عرفت الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد رُوي عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: (يخرج الدجّال في خفة من الدين وإدبار من العلم)[1] ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦ ـ نزول عيسى بن مريم عليهما السلام:

إن نزول عيسى[2] بن مريم ـ عليهما السلام ـ من أهم أشراط الساعة وهو ثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأُمة.

وهو من أخطر الأحداث التي تكون بين يدي الساعة. قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) انظر: شرح مختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٥٦ وما بعدها.

(٢) ومعنى نزوله: إنه يهبط إلى الأرض بعد احتجابه عنها كل هذه الحقبة الطويلة من الدهر في مكان ما من ملكوت الله عز وجل، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولًا نبياً، فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإِسلامية وينفذ شريعة محمد ﷺ الناسخة لجميع الشرائع السابقة دون أن يَؤيِّد (عيسى) خلال ذلك بوحي جديد من الله عز وجل. انظر: (كبرى اليقينيات الكونية ص٣٢٥).

يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

ومحل الشاهد قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾. والمعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى إلّا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام فالضمير في (قبل موته) عائد، كما هو واضح من سياق الآيات إلى (عيسى ابن مريم) وهو نصّ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يمت بعد.

قال الحافظ ابن كثير معلّقاً: (ولا شك أن هذا هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك. فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبّه لهم، فقتلوا الشّبه وهم لا يتبيّنون ذلك،ثم إنه رفعه إليه وإنه باقٍ حيٌّ وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلّت عليه الأحاديث المتواترة التي سنورد بعضها ـ إن شاء الله ـ قريباً، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلّف عن التصديق به واحد منهم)[١].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٥٧٧).

جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف: ٥٧ ـ ٦١](١).

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وإليك بعضاً منها(٢).

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٩].

٢ ـ وعن حذيفة بن أُسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة، قال إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات: (الدخان(٣)،

---

(١) للمزيد من الأحاديث راجع: كتاب (التصريح بما تواتر من نزول المسيح) تأليف الشيخ محمد أنور الهندي.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) قال جمهور المفسرين: إنه الدخان الذي تحدث عنه القرآن في قوله تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يُغشى الناس هذا عذاب مبين﴾** وهو دخان يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشويّ على النار، من شدة القيح والحرارة الذي ينتابهما. انظر: (تفسير ابن كثر: ٤/ ١٤٠).

والدجّال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

٣ ـ وما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، بشأن الدجّال، وفيه: (فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهْرودَتَين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلّا مات، ونفسه تنتهي حيث طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله. ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة... الحديث)[2].

فهذه بعض الأحاديث تنصّ على نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، وهنالك أحاديث كثيرة أُخرى لا مجال لسردها هنا، وإنها أحاديث متواترة عن الرسول ﷺ.

والخلاصة: فقد أجمع المسلمون على الإعتقاد بنزول عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ في آخر الزمان على النحو وبالصفة التي ذكرها لنا رسول الله ﷺ، وأنه إنما رفع ببدنه حيّاً إلى السماء كما بيّن الله عز وجل صريحاً واضحاً في محكم تبيانه. والله على ما يشاء قدير.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد وابن ماجه.

٧ ـ نار تخرج من اليمن وأُخرى من الحجاز:

١ ـ ذكر الخبر الوارد في ظهور نار من أرض الحجاز:

أ ـ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ»[(١)].

ب ـ وعن ابن عمر (ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس، قالوا يا رسول الله: فما تأمرنا قال: عليكم بالشام)[(٢)].

وقيل: من وادي برهوت تسير سير بطيئة الإبل تسير بالنهار، وتقيم بالليل تغدو وتروح، وقيل: من حبس سيل.

٢ ـ النار التي تخرج من قعر عدن:

قال أحمد عن حديث سفيان الثوري عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر عن حذيفة بن أُسيد عن ابن شريحة العقاري قال: ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر وهذه النار تسوق الموجودين في آخر الزمان من سائر أقطار الأرض إلى الشام منها. . . . وهي بقعة المحشر والنشر.

وقال في الفتح: (إبتدأ خروجها من عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها)[(٣)]. وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: «يحشر الناس على ثلاثة طوابق: راغبين وراهبين، واثنان

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث الليث.
(٢) أخرجه أحمد والترمذي، وقال حسن صحيح. وانظر: الإذاعة ص١٧٦.
(٣) انظر: الإذاعة ص١٧٦. ومختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٨٤.

على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار فتقيل معهم حيث قالوا وتبيت منهم حيث أَمسوا»[١].

ومن المفيد أن نذكر أن حشر الناس أحياء إلى الشام يكون قبل يوم القيامة، قاله القرطبي والخطابي وصوّبه القاضي عياض، وأما الحشر من القبور على ما في حديث ابن عباس مرفوعاً كما في الصحيحين وغيرهما (تحشرون حفاة عُراة غرلاً) هو يوم القيامة. قاله الحكيم الترمذي والغزالي والحافظ ابن حجر وغيرهم[٢].

٨ ـ ريح طيبة:

وهذه الريح من أشراط الساعة، حيث قبض روح كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من إيمان، ويبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم وتأتي ريح من قبل الشام، أو من اليمن، وقيل: هما ريحان شامية ويمانية، ثم يبقى شرار الناس حتى لا يقُال في الأرض (لا إله إلا الله) وعليهم تقوم الساعة[٣]..

٩ ـ رفع القرآن من المصاحف والصدور:

ومن علامات الساعة رفع القرآن العظيم من الصدور والسطور وهي من أشدّ معضلات الأمور.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) انظر: الإِذاعة لما كان وما يكون ص١٧٧.

(٣) انظر: كتاب الإِذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ص١٧٥.

قال في البهجة: (قرّر الأئمة أنه يرفع أولاً من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون، وليس حرف مكتوب فيها، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون شيئاً منه محفوظاً، حتى يقول الحافظ للآخر، وقد سأله الآخر: كنت أحفظ شيئاً نسيته، ما أدري ما هو)[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (يدرس الإسلام كما يدرس وشيُ الثوب حتى يدُرىٰ ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة «لا إله إلا الله» فنحن نقولها)[2].

وهناك آثار غير ما ذكرنا ومنها: أن تهدم الكعبة وظهور المهدي ويتقارب الزمان وتقصر الأيام بحيث تكون السنة شهراً كما في حديث أبي هريرة عند مسلم.

وهناك علامات أخرى للساعة ونكتفي بما ذكرنا. . . . والحمد لله رب العالمين. . .

---

(١) انظر: مختصر لوامع الأنوار البهيّة ص٣٧٤، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ص١٧٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه بسندٍ قوي والحاكم والبيهقي. . .

الفصل الحادي عشر

مسائل متفرقة

- الشفاعة.
- الرسول لا يشفع في المفسدين.
- شروط الشفاعة المطلوبة.
- سؤال القبر وعذابه.
- الضغطة في القبر.
- عذاب الكفار في قبورهم.
- مستقر الأرواح.
- ما ينجي من عذاب القبر.
- فضل الجهاد والمجاهدين.
- من الذين تصلي عليهم الملائكة.
- من تلعنهم الملائكة.
- التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار.
- آخر من يدخل إلى الجنة وآخر من يخرج من النار.
- أهل الكبائر لا يخلدون في النار.
- أهوال الجحيم.

- أسماء اليوم الآخر.
- مسك الختام.

مسائل متفرقة

يتناول هذا الفصل مسائل متفرقة وتدور حول جوانب مختلفة من العقيدة واليوم الآخر وغير ذلك وهي مرتبة على النحو التالي. . .

الشفاعة:

فأما الشفاعة فهي في الحقيقة مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل لمن شاء من عباده في ذلك الموقف.

ويتجلى هذا الموقف بأشكال مختلفة، فمنها: أن يغفر الله لمن شاء من عباده العصاة ما لم يكن من أهل الكفر والشرك.

قال تعالى موضحاً هذه الحقيقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء: ٤٨].

وأصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا إذا ضمّه إليه وسُميّ الشافع شافعاً لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب مشفوع له.

فالشفاعة من الأمور التي ثبتت في الكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة.

قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. ففي الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن. قال تعالى عن الملائكة: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النجم: ٢٦]. فبيّن الله الشفاعة الصحيحة وهي التي تكون بإذنه ومن ارتضى قوله وعمله)[١].

والشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأئمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: وهي العظمىٰ الخاصة بنبيّنا محمد ﷺ، حيث يشفع الرسول ﷺ في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: (آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليهم).

النوع الثاني: وهي الشفاعة الثانية فيشفع ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

النوع الثالث: وهي الشفاعة الثالثة فيشفع ﷺ فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها[٢].

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا[٣] الجنة بغير

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص١٤١.

(٣) في الأصل: يدخلون بدل يدخلوا.

حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له الرسول ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب[1]، والحديث مخرّج في الصحيحين.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه (أبو طالب) أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في (التذكرة) بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة محمد: ٤٨][2]. قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم. وفي (صحيح مسلم) وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة»[3].

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث. وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث[4]. وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً.

---

(١) متفق عليه، وهو الذي قال فيه ﷺ: (سبقك بها عكاشة).
(٢) رواه مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره (الأحاديث الصحيحة رقم (٥٤ ـ ٥٥).
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٤٠ وغيره.
(٤) للمزيد راجع: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٢.

وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات[1].

ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2].

والحاصل: أن للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلّو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لأهله، والإسلام يشفع لأهله، والحجر الأسود يشفع لمستلمه (ولكن لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون). ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥][3].

الرسول لا يشفع في المفسدين:

إن مجرد إنتسابنا للرسول ﷺ، مُحال أن يكون سبباً في شفاعة الرسول لنا، فهذا وهْم باطل. وكم في أمة الرسول ﷺ من أناس فسقوا وضلّوا عن سبيل الله الذي دعا إليه الرسول، وأمر أُمته باتباعه؟

فالذين بلغهم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر: ٧].

(١) ومن المفيد أن نذكر أن (المقام المحمود) الذي وعد الله رسوله به، إنما هو المنزلة التي تخوله هذه الشفاعات المختلفة في أهل المحشر عامة، وفي أُمته خاصة. قال ابن جرير الطبري: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة في الناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. وللمزيد انظر: تفسير قوله تعالى: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** من سورة الإسراء في ابن جرير الطبري وابن كثير..

(٢) صحيح، وله طرق وشواهد، (المشكاة) (٥٥٩٨ ـ ٥٥٩٩).

(٣) وانظر: مختصر الأنوار البهيّة ص٢٢٥ وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه: ١٢٤].

ويبلغهم قول رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»[(١)].

الذين بلغتهم هذه الآيات والأحاديث، ثم هجروا كتاب الله ونبذوا سنة رسوله الأمين، وأعرضوا عما فيهما من الهدى والحق وجروا وراء التقاليد والبدع والشرك والأهواء، واتبعوا غير سبيل المؤمنين كيف تتحقق لهم الشفاعة؟ وهل في وسع الرسول ﷺ أن يشفع؟ قال الله تعالى في محكم كتابه عنهم: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الزمر: ١٩].

ثم إن الجزاء في الآخرة معلّق على الأعمال والمقدمات، لا على الشفاعات والمحسوبيات، والإنساب والأحساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١][(٢)].

شروط الشفاعة المقبولة:

وآخر القول في هذا أن كل ما تقدم من الشفاعات الثابتة للأنبياء والعلماء والشهداء هو مقيّد بثلاثة قيود، فلا تتمّ الشفاعة لعبد من عباد الله تعالى إلا بعد توفرها له، وتلك القيود هي:

---

(١) رواه مالك في الموطأ.

(٢) وانظر كتابنا (مصرح الشرك والخرافة ص٦٧٦ ـ ٦٧٧).

١ ـ أن لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب تبارك وتعالى له. وذلك لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: والاستفهام هنا للنفي؛ أي لا أحد يشفع إلا بإذنه تعالى.

٢ ـ أن لا يشفع أحد في آخر إلّا إذا كان الله تعالى قد رضي عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله. وذلك لقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]. فإنه صريح في نفي الشفاعة عن أحد لم يرتضه تعالى لذلك.

٣ ـ أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر، وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين في النار بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البيّنة: ٦].

ولهذا وجب أن ينقطع طمع العبد في غير الله تعالى: فلا يطلب الشفاعة من أحد، ولا يسألها من غير الله عز وجل، إذ الشفاعات كلها لله تعالى؛ وليس لأحد سواه منها شيء، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [سورة الزمر: ٤٤]. وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

ومن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من الله تعالى، وليقل: اللهم شفّع في نبيك، أو: اللهم ارزقني شفاعة نبيك، أو يا رب اجعلني ممن تشفّع فيهم نبّيك، وليُتبع سؤاله الشفاعة من الله بالعمل الموجب لها، والمقتضي تحقيقها وهي:

١ ـ الإِخلاص لله تعالى في العبادة ونفي الشرك عنه تعالى

للحديث الصحيح: (من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه)[1].

٢ ـ كثرة الصلاة: لما صحّ عنه ﷺ: أنه سأله أحد الصحابة مرافقته بالجنة فقال له: (فأعنّي على نفسك بكثرة السجود)[2].

٣ ـ الصلاة على النبي ﷺ، وسؤاله الوسيلة له؛ وذلك لحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلّا لبعد من عباد الله، وأرجو أنا هو. فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»[3].

سؤال القبر وعذابه:

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يُسأل بعد موته قُبر أم لم يُقبر فلو أكلته السباع أو أُحرق حتى صار رماداً، أو نُسف في الهواء، أو غرق في البحر، لسئل عن أعماله، وجوزي بالخير خيراً، وبالشر شراً. وإن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً.

قال ابن القيّم: (مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا

(١) رواه البخاري: (١/ ٣٥).
(٢) رواه مسلم: (١/ ٥٢).
(٣) رواه مسلم: (٢/ ٤).

مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه، وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وصحيح أبي حاتم: أن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع قرع نعالهم، حين يولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة، والصلة، والمعروف، والإحسان عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني أصلي، فيقولان: إنك ستصلي، أخبرنا عما نسألك عنه؟ أرأيتك[1] هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمد ﷺ، أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله، فيقال له على ذلك حييت، و على ذلك مِتّ، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب إلى

(١) أرأيتك: أخبرنا.

الجنة، فيقال له: هذا مقعدك، وما أعدّ الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينوّر له فيه، ويعاد الجسد لما بدىء منه، وتجعل نَسمتُه[1] في النسم الطيب، وهي طير معلق في شجر الجنة، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧]. وذكر في الكافر ضد ذلك إلى أن قال: ثم يضيق عليه قبره إلى أن تختلف فيه.

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب... وكان لك بها فضل اعتناء عرفت صحة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن.

وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء، وتتّصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية.

ولها بعد المفارقة صحة، ومرض، ولذة، ونعيم، وألم، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهناك الحبس، والألم، والعذاب، والمرض والحسرة، وهناك اللذة والراحة، والنعيم والإطلاق.

وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الطفل في بطن أمه!

---

(١) نَسمتُه: أي روحه.

وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار[1].

الضّغطة في القبر:

أُقدّم فيما يلي بعض الأحاديث النبوية التي تبين أن ضغطة القبر لا يفلت منها إلا من رحم ربّك! ومنها:

١ ـ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرّك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمة، ثم فرّج عنه»[2].

٢ ـ وعن أبي أيوب أن صبياً دفن، فقال رسول الله ﷺ: «لو أُفلت أحد من ضمَّة القبر لأُفلت هذا الصبي»[3].

٣ ـ وعن عائشة عن النبي ﷺ قال: «للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»[4].

عذاب الكفار في قبورهم:

١ ـ عن هانيء مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف

---

(١) انظر: مختصر لوامع الأنوار البهية (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥).. والكواشف الجليّة ص٥٥٩.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٥٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٣، ٢٧٤) وغيرها.

(٣) أخرجه النسائي والطحاوي وإسناده صحيح. ومما يذكر أن من أسباب عذاب القبر عدم التنزّه من البول والنّميمة والغيبة..
رواه الطبراني في (الكبير).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٢) وابن حبّان (٣١١٥) والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

على قبر بكى حتى يُبَلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال إنّ رسول الله ﷺ، قال: «إنّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قطّ إلا القبر أفظع منه»[١].

٢ ـ وعن أنس بن مالك عن الرسول ﷺ: «أنه دخل حائطاً من حوائط بني النجار فسمع صوتاً من قبر، قال: «متى دفن صاحب هذا القبر؟ فقالوا: في الجاهلية، فسُرَّ بذلك، وقال: لولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»[٢].

٣ ـ وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يرسل على الكافر حيّتان، واحدة من قبل رأسه، والأخرى من قبل رجليه يقرصانه قرصاً كلما فرغتا عادتا إلى يوم القيامة»[٣].

٤ ـ وعن ابن مسعود أن الرسول ﷺ قال: «إن الموتى ليعذّبون في قبورهم حتى إنّ البهائم لتسمع أصواتهم»[٤].

٥ ـ وعن أبي أيوب الأنصاري قال: خرج رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن ماجه والترمذي والبيهقي وغيرهم، وحسّنه الألباني في المشكاة رقم (١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٠٣) ومسلم (٢٨٦٨) والنسائي (٤٠٢) وغيرهم.

(٣) ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣/ ٥٥) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٠٤٥٩) وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣/ ٥٦) وقال: رواه الطبراني في (الكبير) وإسناده حسن. وصححه الألباني في (صحيح الجامع ١٩٦١).

بعد ما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال: «يهود تعذّب في قبورها»[1].

وعن أنس بن مالك أن نبيَّ الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه حتى إنه لَيَسمَع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - محمد - فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أَبدَلَك الله مقعداً من الجنة، وأما الكافر والمنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أُذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من عليها غير الثقلين»[2].

مستقر الأرواح:

عقد ابن القيّم فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء في مستقر (الأرواح)[3]، ثم ذكر القول الراجح فقال: (الأرواح متفاوته في مستقرها في البرزخ أعظم التفاوت).

١ - فمنها أرواح في أعلى عليّين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهم متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإِسراء.

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٢) أخرجه أحمد (٣/١٢٦)، والبخاري (١٣٣٨)، (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) وغيرهم.
(٣) بسط (رحمه الله) هذا الموضوع في كتابه القيم (الروح) وهو بحث نافع.

٢ ـ ومنهم أرواح في حواصل طير خُضر تسرح في الجنة حيث شاءت. وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدَيْنٍ عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش (أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: (الجنة) فلما ولّى، قال: إلا الدَّيْن سارّني به جبريل آنفاً».

٣ ـ ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة. كما في الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة».

٤ ـ ومنهم من يكون محبوساً في قبره، كحديث الشَّملة التي غلّها[1]، ثم استشهد فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها لتشتعل عليه ناراً في قبره».

٥ ـ ومنهم من يكون مقرّه باب الجنة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قُبّة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»[2]. وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب، حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. ومنهم من يكون محبوساً في الأرض، لم تعلُ روحه إلى الملأ الأعلى فإنها

(١) غلّها: سرقها من الغنيمة قبل القسمة.

(٢) رواه أحمد، وانظر: الكواشف الجليّة ص٥٥٧ ـ ٥٥٨.

كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها، ومحبته وذكره والأنس به، والتقرّب إليه، بل هي أرضية سفلية، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك.

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره، والتقرب إليه والأُنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ، ويوم القيامة، والله تعالى يُزوّج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد ويجعل روحه (يعني المؤمن) من النّسم الطيب (يعني الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه) فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها، وإخوانها، وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

٦ ـ ومنها أرواح تكون في تنّور الزّناة والزّواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم بالحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيّها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليّين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض[١].

يتبين لنا مما سبق أن ضغطة القبر لا ينجو منها إلا من رحم الله سبحانه، كما أن البهائم تسمع أصوات المعذبين في قبورهم، كما أن عذاب القبر يكون من عدم التطهر ونشر النميمة . .

أما الكفار (والعياذ بالله) فأمرهم أشدّ وأنكى، حيث

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥٤ ـ ٤٥٥) [بتصرف].

يعذبون العذاب الذي يستحقّونه: إذ يسلّط الله عليهم العذاب الشديد في قبورهم، وتنهال الأفاعي والحيات عليهم باللدغ والقرص، ويبقون في العذاب السرمدي إلى يوم القيامة.... نسأل الله العفو والعافية.

هل يعرف الميت أحوال أهله وأصحابه في الدنيا؟!:

من المعلوم أن الموت يكون بعد مفارقة الروح الجسد. وأن الروح تبقى مدركة تسمع من يزورها وتعرفه وترّد عليه السلام وتحسُّ لذّة النعيم وألم الجحيم. (والله أعلم).

ولنستمع إلى ما يقوله شيخ الإسلام أحمد بن تيمية المتوفي سنة (٧٢٨ هـ). وفي هذا الصدد يقول: (وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا، وأن ذلك يُعرض عليه، وأنه يرى ويدري ما يُفعل عنده، ويسرّ بما كان حسناً، ويتألم بما كان قبيحاً؟).

ورُوي أن عائشة رضي الله عنها: بعد أن دفن عمر رضي الله عنه، كانت تستتر وتقول: (كان أبي وزوجي، فأما عمر فأجنبيٌّ).... تعني أنه يراها. (وروي أن الموتى يسألون الميت عن حال أهليهم، فيعرّفهم أحوالهم. وأنه ولد لفلان ولد وتزوجت فلانة...)[1].. أ.هـ.

ما يُنجي من عذاب القبر:

١ ـ من مات في البطن... للحديث الذي يرويه أبو

---

(١) انظر: كتاب العقائد الإسلامية ص٢٣٦ وما بعدها.

هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «من مات في البطن فهو شهيد»[1].

٢ ـ من مات يوم الجمعة أو ليلتها، لحديث عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاهُ الله فتنة القبر»[2].

٣ ـ الرباط في سبيل الله.... عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه وأمِن الفتّان»[3].

٤ ـ من مات مرابطاً في سبيل الله... فعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات مرابطاً في سبيل الله أَمنهُ الله من فتنة القبر»[4].

٥ ـ الشهادة في سبيل الله. فعن عبادة بن الصامت أنّ رسول الله ﷺ قال: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له من أول دفعةٍ من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلّى حلية الإيمان، ويُزوج من الحور العين، ويُشفّع في سبعين إنساناً من أقاربه»[5].

٦ ـ من يُصلي عليه مئة أو أربعون... فعن عائشة عن

(١) أخرجه الإمام مسلم.
(٢) أخرجه الإمامان أحمد والترمذي.
(٣) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.
(٤) أخرجه الطبراني وصححه الألباني في (صحيح الجامع (٦٤٢١).
(٥) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني في (أحكام الجنائز ص٣٥ ـ ٣٦).

رسول الله ﷺ قال «ما من أحد يموت يصلي عليه أمة يبلغون أن يكونوا مئة فيشفعون إلّا شفّعوا فيه»[١].

٧ ـ وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلّا شفّعهم الله فيه»[٢].

فضل الجهاد والمجاهدين:

منذ بزوغ فجر الإِسلام وانتشار نوره عبر المعمورة والأعداء يكيدون له ولمنتسبيه ليلاً ونهاراً سراً وعلانية. وقد جاءت تلك الحملات الخبيثة بلفيف من طواغيت الكفر والإِلحاد، والنفاق، الذين بذلوا ـ وما يزالون يبذلون ـ جهوداً حثيثة ومكائد خبيثة، ليصدّوا الناس عن سبيل الله حسداً من أنفسهم، وتنكراً للحق والخير والمثل السامية التي حملها هذا الدين وتحلّى به أهله ودعاته.

لقد حاول أعداء الإِسلام التشكيك في الدين وأحكامه، وصرف المسلمين عن أداء فرائضه، ومنها، شعيرة (الجهاد المقدس)[٣] وكان على رأس هؤلاء: اليهودية والباطنية، والزنادقة، والصليبية الحاقدة، والإِستعمار وأدواته كالاستشراق.

---

(١) أخرجه ابن حبّان في (الإِحسان) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم.

(٣) يهدف الجهاد في الإِسلام إلى غاية مُثلى نبيلة، هي العمل على نشر العقيدة الدينية الربانية، فالمؤمنون بالله مدعوون لنشر الإِسلام بين الأمم والشعوب حباً للخير وغيرةً على الإِنسانية وطاعة لله، لتخليصها من الكفر والإِلحاد لتعود إلى فطرتها، وتخضع لتعاليم ربها ودينها، حتى يقام العدل والحق بين الناس ويتفيؤا بظلال الإِسلام فيعم الخير والمحبة والوئام. هذه هي غاية الجهاد المقدس في أصول تعليم الأديان كلها، وليس لها وراء ذلك أي غاية أخرى.

ومنها مِلل ونحل شتى: كالقاديانية، والبهائية وبعض فرق الصوفية الضّالة.

لقد تسابق المسلمون الأوّلون على حمل راية الجهاد وطبّقوها عملياً، فصنعوا تاريخاً فريداً، وساسوا الأمم والشعوب، ورفعوا راية [لا إله إلا الله]. وكما لا يخفى، فالجهاد الحقيقي هو الذي يراد به وجه الله وإعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في سبيل مرضاة الله سبحانه.

أما إذا ما أُريد به شيء دون ذلك ـ من حظوظ الدنيا ـ فهو ليس بجهاد، وليعلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىءِ ما نوىٰ»[1].

وفي فضل الجهاد والرباط في سبيل الله والحث عليهما، فقد وردت نصوص مستفيضة نذكر منها:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [سورة التوبة: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة النساء: ٧١][2].

---

(١) فقرة من حديث شريف. رواه البخاري.

(٢) انظر: كتابنا (الكشاف الفريد ٢/ ٣٠٥ وما بعدها).

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩].

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين، والتحذير من تركه، فهي أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر. وهذه بعضها:

ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. وموضع سَوْط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها. والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها».

وقال الرسول ﷺ: «ما اغبّرت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسّهُ النار»(١).

وكذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة وإذا استنفرتم فانفروا»(٢). أي إذا طُلب منكم الخروج(*) إلى الحرب فاخرجوا(٣).

---

(١) رواه البخاري. وانظر: كتابنا (الكشاف الفريد ٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧).

(٢) رواه البخاري.

(*) قال صاحب المغني: (ويتعيّن الجهاد في ثلاثة مواضع: أحدها: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف، وتعيّن عليه المقام، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا...﴾ والثاني: إذا نزل الكفار بلداً تعيّن عليه قتالهم ودفعهم. والثالث: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه للحديث الشريف (إذا استنفرتم فانفروا..) إن أرض الإسلام اليوم وأوطانه وبلاده في أيدي الغصابين فالجهاد عليهم الآن فريضة محكمة... فإلى متى؟

(٣) راجع: فقه السنة (٢/ ٦٢٣).

وقال أيضاً: «يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن»[1].

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد، والدعوة إليه والترغيب فيه كثيرة جداً، وما سلف ذكره يكفي ويشفي، ويحفّز الهمم،ويحرك النفوس إلى المنازل الرفيعة، والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة...

ولا يفوتني أن أذكر أن من أفضل مراتب الجهاد في وقتنا الحاضر، (فضلاً عن مقارعة الأعداء بالسلاح).. الدفاع عن الشريعة الإِسلامية ضدّ الهجمات الداخلية والخارجية، فالهجمات الداخلية تتمثَّل بهذا السيل الجارف من البدع والخرافات، والشركيات التي شحنت بها المؤلفات والكتب والمجلات، فلوَّثت أفكار الكثير من المسلمين.

وأما الهجمات الخارجية فهي تتمثَّل في ذلك الهجوم العنيف الذي يخطّط له وينفذه الشرق و الغرب ودوائر الإِستشراق ضد الشريعة الإِسلامية، ووصفها بالرجعية تارة وبالنقص تارة أخرى... وهيهات أن يحققوا مآربهم وأحلامهم الطائشة. فهم دعاة باطل وضلال..!! ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الصف: ٨].

من الذين تُصلّي عليهم الملائكة:

أما الذين تصلّي[2] عليهم الملائكة فيصعب حصرهم، ومنهم:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، =

١ ـ الذين يصلّون في الصف الأول: عن البرّاء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله وملائكته يصلّون على الصف الأَول»(١).

٢ ـ الذين يمكثون في مصلاّهم بعد الصلاة: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مصلاّه، الذي صلى فيه، ما لم يحدث، أو يقم، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»(٢).

٣ ـ الذين يسدّون الفرج بين الصفوف: روى أحمد وابن ماجه والحاكم بإسناد حسن، عن عائشة أن الرسول ﷺ قال: «إن الله تعالى وملائكته يصلّون على الذين يَصِلون الصفوف، ومن سدّ فرجةً رفعه الله بها درجة»(٣).

٤ ـ الذين يتسحَّرون: وفي صحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى وملائكته يصلّون على المتسحّرين»(٤).

٥ ـ الذين يصلّون على النبي ﷺ: روى أحمد في مسنده والضياء في (المختارة) عن عامر بن ربيعة بإسناد حسن، أن

= وصلاة الملائكة الدعاء. وقال غيره: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، والدعاء للناس (تفسير ابن كثير ٣(٥٠٦).

(١) رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه، انظر: (صحيح الجامع ٢/ ١٣٣).
(٢) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٦/ ٢١).
(٣) صحيح الجامع ٢/ ١٣٥.
(٤) صحيح الجامع ٢/ ١٣٥.

رسول الله قال: «ما من عبد يصلّي عليَّ إلا صلّت عليه الملائكة، ما دام يصلّي عليَّ، فلْيُقل العبد من ذلك أو ليكثر»[1].

٦ ـ معلّم الناس الخير: «روى الطبراني والترمذي بإسناد صحيح عن أبي أُمامة أن الرسول ﷺ قال: «إن الله وملائكته حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت في البحر ليصلّون على معلم الخير»[2].

٧ ـ الذين يؤمّون المساجد؛ وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «إنّ الملائكة تصلّي على الذي يأتي المسجد للصلاة. فتقول: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه اللهم تُب عليه ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»[3].

٨ ـ الذين يعودون المرضىٰ: عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من امرىء مسلم يعود مسلماً إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلّون عليه في أي ساعات النهار كان حتى يمسي، وأي ساعات الليل كان حتى يصبح»[4].

هذه بعض النماذج من الأعمال الصالحة التي تصلّي الملائكة من أجلها على أصحابها، وهي إن دلّت على شيء، فإنما تدل على مبلغ ما يحظى به المؤمن من محبة الله وهدايته له، يقول عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

---

(١) المرجع السابق ٥/ ١٧٤.
(٢) انظر: رياض الصالحين ص٣٣٨.
(٣) راجع: رياض الصالحين ص٢٨٠.
(٤) رواه ابن حبّان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٥/ ١٥٩).

من تلعنه الملائكة؟:

ورد في الكتاب والسنة أن الملائكة تلعن الكفرة وأصحاب المعاصي والذنوب والمبتدعة، وفيما يلي بيان هذه الأصناف:

١ ـ المرأة التي لا تستجيب لزوجها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح»[١].

٢ ـ من سبّ أصحاب رسول الله: ففي معجم الطبراني عن ابن عباس بإسناد حسن أن الرسول ﷺ قال: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين»[٢].

٣ ـ الذي يشير إلى أخيه بحديدة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[٣].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعلّ الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[٤]. إنّ الإِشارة بالسلاح على المسلم من أخيه محرّمة لما في ذلك من رهبة وخوف تحلّان به، فضلًا عن أن الشيطان قد يُطغي المسلم فيقتل أخاه، وكثيراً ما حدث أمثال هذا في مجتمعاتنا الحديثة

(١) متفق عليه. انظر: مشكاة المصابيح الحديث (٣٢٤٦).

(٢) لمعرفة المزيد من حكم سبّ الصحابة راجع كتابنا: السنة مفتاح الجنة (١٨٣ ـ ١٨٩).

(٣) رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، الحديث (٣٥١٩).

(٤) متفق عليه، مشكاة المصابيح، الحديث (٣٥١٨).

خطأ وبدون قصد وخصوصاً بعد تطور صناعة الأسلحة. (كما يقع في مناسبات الأفراح).

٤ ـ الذي يؤوي محدثاً أو مبتدعاً: ومن الذين تشملهم لعنة الله وملائكته الذين يحدثون في الدين ويبتدعون فيه البدع ويتلاعبون في أحكامه وفق أَهوائهم ونزواتهم أو يؤون من يفعل ذلك ويحمونه من طائلة العقاب ويتستّرون على ضلاله. لما ورد في الحديث الصحيح: (من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة، صرفاً ولا عدلًا)[١].

٥ ـ الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله: لقد صبّ الله جام غضبه ولعناته على من يحول دون تنفيذ حكم الله في الأرض كقتل القاتل عمداً بالمال والجاه ـ كما يفعل شيوخ العشائر اليوم ـ كما تلعنهم الملائكة والناس اللعنات التي يستحقونها جزاءً وفاقاً، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من قتل عمداً فقود يديه، فمن حال بينه وبينه، فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين»[٢].

٦ ـ الكفرة والطواغيت والملاحدة: إن لعنة الله وملائكته، منصبّة على الكفرة والطواغيت تلاحقهم في المحيا والممات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦١][٣].

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم (صحيح الجامع ٦/٨).
(٢) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح.
(٣) وانظر: حقائق الإيمان ص١٦٧ ـ ١٧٠.

من هذه النصوص وغيرها، يتبيّن لنا: أن لعنات الله والملائكة تطارد هذه الأصناف المذكورة أينما حلّوا لأعمالهم المنكرة جزاءً وفاقاً. قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢].

التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار:

وبعد أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يدور بينهم حوار ومناقشة، فيذكر كل واحد ما كان منه من عمل في الدنيا وما ناله من جزاء في الآخرة.

ولا يُقال كيف يتم التخاطب بين الفريقين مع البعد بين الجنة والنار، ومع التفاوت الكبير بينهما، فإن ذلك شأن من شؤون الآخرة التي لا اطّلاع لنا عليها ولا علم لنا بها، والله سبحانه سيطوِّر خلق الإنسان ويجعله على صورة أخرى غير الصورة المعهودة، ويعطيه حواس أُخرى أقوى من حواسه التي أعطاها إياه في الدنيا. وقد استحدث أخيراً ما يقرّب هذا من أمثال أجهزة التلفزيون، فالناس مع بعد بعضهم عن بعض يتمكنون بواسطتها من المشاهدة والسماع ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الواقعة: ٦٠ - ٦١].

وفي القرآن الكريم إخبار عما يدور بين أهل الجنة وأهل النار من خطاب مع وجود سور فاصل بينهما، فهو من جهة

أهل الجنة فيه الرحمة، ومن جهة أهل النار فيه العذاب، فنؤمن بذلك ونكل علم حقيقته إلى علّام الغيوب.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحديد: ١٢ ـ ١٥][1].

وفي مشهد آخر يعرض القرآن لوناً من ألوان الخطاب بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٤٤ ـ ٤٥].

ثم بعد ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا

---

(١) وانظر: العقائد الإسلامية ص٢٩٧ وما بعدها.

وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٠ ـ ٥١].

وبعد أن استمعنا (أخي القارئ) إلى الحوار والنقاش الذي يجري بين أهل الجنة وأهل النار ندرك مَدَى الفوز والسعادة والحال والمآل الذي يؤول إليه أصحاب الجنة الذين آمنوا بالله وعملوا لما بعد الموت، وتحملوا المشقّة والضَّنْك في حياتهم الدنيا، ثم ربحوا الدار الآخرة وفازوا بنعيمها. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

وأما أهل النار: فقد كانوا في الدنيا على النقيض من أهل الجنة إذ اتَّبعوا شهواتهم وتنكّبوا لتعاليم دينهم وهدي نبيّهم. وبذلك استحقوا النار، جزاءً وفاقاً، لما اقترفوه من سوء عملهم ولنستمع إلى ما يقوله القرآن في حق أمثالهم: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات: ٣٦ ـ ٣٩].

وبعد: فلعلَّ في هذا عبرة للمعتبرين وتحذيراً للغافلين...

آخر من يدخل إلى الجنة، وآخر من يخرج من النار:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسعفه[1] النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الله

(١) تسعفه النار: أي تلفحه لفحاً خفيفاً يغيّر بشرته.

الذي نجّاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: يا رب أدنِني من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها، فيقول الله يا ابن آدم اتعاهدني آن أَعطيتكها ألا تسألني غيرها؟ فيقول: يا رب لا اسألك غيرها. ويعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب أدنِني من هذه لأستظل بظلها أو أشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ لعلي إن أعطيتك منها تسألني غيرها. فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن الأوليين. فيقول: يا رب أدنني من هذه أستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب لا أسألك غيرها، وربه يعذره، لأنه رأى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها. فإذا أَدنى منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي يا رب أدخلني الجنة، فيقول: يا ابن آدم ما يُضيرني[1] منك، أيرضيك أن أعطيتك قدر الدنيا ومثلها معها؟! فيقول: يا رب أتستهزىء بي، وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مِمّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقيل: مِمّ تضحك؟ فقال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء بي وأنت رب

(١) ما يضيرني منك: أي ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك.

العالمين، فيقول: إني لا أستهزىء بك، ولكني على ما أشاء قادر[1].

أهل الكبائر لا يخلّدون في النار.

اعلم أخي القارىء ـ حفظني الله وإياك ـ أن أهل الكبائر من أُمة محمد ﷺ إذا ماتوا وهم موحّدون لا يخلّدون في النار... وذلك ردّاً لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار. لكن الخوارج تقول: بتكفيرهم والمعتزلة تقول: بخروجهم عن الإِيمان لا بدخولهم للكفر بل لهم منزلة بين المنزلتين.

فأهل الكبائر لا يخلّدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا ـ الله تعالى ـ عارفين. وهم في شيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]. وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته وذلك بأن الله تعالى تولّى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين لأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا وليّ الإِسلام وأهله، ثبتنا على الإِسلام حتى نلقاك به[2]...

لقد اختلف العلماء في الكبائر وهم على أقوال، فقيل:

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص٤١٧ بتصرف.

سبعة، وقيل: سبعة عشر، وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه. وقيل: ما يسدّ باب المعرفة بالله. وقيل: ذهاب الأموال والأبدان. وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها. وقيل: لا تعلم أصلًا. أو: أنها أخفيت كليلة القدر. وقيل: إنها إلى السبعين أقرب. وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وقيل: إنها ما يترتب عليها حدٌّ أو توعّد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب. وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارات السلف[1] في تعريف الصغائر: منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدّين: حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة. ومنهم من قال: كل ذنب لم يُختم بلعنة أو غضب أو نار. ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا ولا وعيدٍ في الآخرة، والمراد بالوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدّرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب، وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنّه كبيرة، [كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك][2].

أهوال الجحيم:

لعلّ من المفيد أن نذكر بعض ما يتعلق بأهوال الجحيم

(١) في الأصل: عبارة قائليه.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص٤١٧ وما بعدها.

مآل الكفرة والملحدين، فلعلّ في هذا عبرة موعظة لمن تنكّب الطريق السويّ طريق الهدى والرشاد، لعل في هذا ما يعيدهم إلى رشدهم فيسلكوا طريق الحق والصواب. . .

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الجحيم وصفاً تشيب منه النواصي، وتنخلع منه القلوب، كي يرتدع الغاوون عن غيّهم، فذكر أن وقودها الناس والحجارة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم: ٦]. وأنها لا تشبع مما يُلقى فيها، بل تطلب المزيد دائماً، حتى لا يبقى فيها مكان خالٍ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾؟! [سورة ق: ٣٠].

قال مجاهد: ليس هناك قول، وإنما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلأت حتى لم يبق فيها مكانٌ خالٍ.

وفيما يلي وصف الأحوال أهل النار. . .

(١) طعامهم الزّقوم: وهي شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المنتن الرائحة. ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ[1] ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الصافات: ٦٢ ـ ٦٧].

(١) أي محنة للظالمين بإرغامهم على الأكل منها.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

(٢) وثيابهم من نار: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الحج: ١٩ ـ ٢٢].

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إنّ الجحيم ليصبُ على رؤوسهم، فينفذ الحميم، حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»[1].

(٣) وجهنم تحيط بالمعذبين من كل جانب: فهي فراش وغطاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأعراف: ٤٠].

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الزمر: ١٦].

(٤) وأهل جهنّم لا يموتون، فيستريحون، ولا يحيون الحياة الهنيئة! ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأعلى: ١١ ـ ١٣].

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٥) أهل النار محجوبون عن الله: قال تعالى:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ وهـذا هـو أشـد العذاب.

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سـورة النساء: ٥٦].

ففي هذه الآية: أن النار كلما أكلت جلودهم بدّلهم الله جلوداً غيرها والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي الطبقة الجلدية، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية، فالإحساس فيها ضعيف، لذلك يعلم الطبيب أنّ الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً بخلاف الحرق الشديد الذي تجاوز الجلد إلى الأنسجة، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً...

فالله تعالى يقول لنا: إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يجدّده كي يستمر الألم بلا انقطاع، ويذوقوا العذاب الأليم، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. ومن شدة الهول، وقسوة العذاب يودّ المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه، ولكن لا ينفع فداء ولا يقبل رجاء.

---

(١) انظر: كتاب الطب والإسلام للدكتور عبد العزيز إسماعيل. ففيه بسط وتفصيل.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المعارج: ١١ ـ ١٥].

٦ ـ أهون الناس عذاباً: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ قال: «أهون الناس عذاباً من له نعلان وشراً كان من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي المرْجل، ما يرى أن أحداً أشدّ منه عذاباً، وأنّه لأهونهم عذاباً»[١].

أسماء اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفَناء عالمنا هذا فيموت كل من فيها من الأحياء، وتتبدّل الأرض غير الأرض، والسموات ثم يبعث الله الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى. وقد اهتم القرآن اهتماماً بالغاً بتقرير الإيمان بهذا اليوم فربطه بالإيمان بالله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

كما أن القرآن يكثر من ذكره له ولا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه (اليوم الآخر) مع تقريبه للأذهان تارة بالحجة والبرهان وتارة بضرب الأمثال.

إنّ المتتبّع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

كثيرة، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم[1]، ومن أسماء هذا اليوم:

١ ـ يوم البعث: قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الروم: ٥٦].

٢ ـ ويسمى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [سورة الزمر: ٦٠].

٣ ـ ويسمى الساعة: قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [سورة القمر: ١]. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحج: ١].

٤ ـ ويسمى الآخرة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى: ١٦ ـ ١٧].

٥ ـ ويسمى يوم الدين: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة: ٣]. أي يوم الجزاء.

٦ ـ ويسمى يوم الحساب: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة غافر: ٢٧].

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية ص٢٦١ وما بعدها.

٧ ـ ويسمى يوم الفتح: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة السجدة: ٢٩].

٨ ـ ويسمى يوم التلاق: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ [سورة غافر: ١٥].

٩ ـ ويسمى يوم الجمع والتغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[1] [سورة التغابن: ٩].

١٠ ـ ويسمى يوم الخلود: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة ق: ٣٤].

١١ ـ ويسمى يوم الخروج: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة ق: ٤٢].

١٢ ـ ويسمى يوم الحسرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة مريم: ٣٩].

١٣ يوم التناد: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾[2] [سورة غافر: ٣٢].

١٤ ـ ويسمى الآزفة: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾[3] [سورة النجم: ٥٧ ـ ٥٨].

---

(١) التغابن: يوم التغابن فيه تغابن أهل الجنة وأهل النار، ويقال يوم الذهول للذي يحصل بين الناس من شدة الهول.

(٢) التّناد: يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار.

(٣) الآزفة: القريبة يوم القيامة.

١٥ ـ ويسمى الطّامّة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾[1] [سورة النازعات: ٣٤ ـ ٣٥].

١٦ ـ ويسمى الصاخّة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[2] [سورة عبس: ٣٣ ـ ٣٧].

١٧ ـ ويسمى الحّاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾[3] [سورة الحاقة: ١ ـ ٣].

١٨ ـ ويسمى الغاشية: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾[4] [سورة الغاشية: ١].

١٩ ـ ويسمى الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾[5] [سورة الواقعة: ١ ـ ٣].

أسماء النار (الجحيم):

لا شك أن الله سبحانه وتعالى سيكافىء الأبرار بالجنة ونعيمها، كما أنه سبحانه سيجازي الفجار بالجحيم عقاباً لهم على ما اقترفوه من كبائر الإثم والفواحش والجحيم هذه هي دار العذاب، ولها تسميات عديدة نذكر منها:

---

(١) الطّامّة: الداهية، لأنها تطم على كل شيء؛ أي تعلوه وتغطيه، أي أنها تعلو على سائر الدواهي.
(٢) الصّاخّة: تصخ: أي تصم الآذان من شدتها.
(٣) الحاقة: سمي اليوم بذلك؛ لأن فيه تظهر حقائق الأمور، وهي مأخوذة من حق الشيء إذا ثبت ووجب، لأن حصولها واجب.
(٤) الغاشية: الداهية التي يغشى هولها الناس.
(٥) الواقعة: لأنها ستقع قطعاً، لا محالة.

١ ـ الهاوية: وهي المكان المنخفض كثيراً الذي لا يرجع من يسقط فيه:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [سورة القارعة: ٨ ـ ١١].

٢ ـ السعير: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ٥].

٣ ـ لظى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المعارج: ١٥ ـ ١٨].

أي أنها شديدة نزع جلدة الرأس، وتجذب إليها من أعطى ظهره للحق وتولى منصرفاً عن الطاعة، وجمع المال، ووضعه في وعاء؛ لشدة حرصه عليه وافتتانه بالدنيا.

٤ ـ سقر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المدثر: ٢٦ ـ ٣٠].

أي أنها لا تبقي على شيء ما يطرح فيها بل تحرقه، ولا تتركه يخرج منها، وأنها تسوّد الجسم وتشوهه.

٥ ـ الحطمة: وهذا ما نجده في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ[1] ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ[2] ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ[3] ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾[4].

السبع الموبقات:

لا شك أن المحرمات في الشرع كثيرة لا يمكن حصرها

---

(١) الحطمة: كثير التحطيم والتكسير لما يلقى فيها.

(٢) الموقدة: الملتهبة التهاباً شديداً.

(٣) مؤصدة: أي مغلقة.

(٤) في عمد ممددة: أي مغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها.

هنا لضيق الوقت. فإن كل باب من أبواب الحياة فيه نهي من الله تعالى، فذلك النهي يدل على التحريم.

ففي البيع والشراء تحريم كالغش والتدليس والمراباة. وفي معاملة الناس تحريم كتحريم الظلم والكذب والغدر والخيانة. وفي اكتساب الرزق والمراء كتحريم الغضْب والسرقة. وفي المآكل تحريم كتحريم الخمر والميتة ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله وفي الكلام تحريم، كتحريم السّباب والمراء. ولكن أكبر تلك المحرمات وأعظمها عند الله إثماً سبع، هي التي أخبر عنها النبي ﷺ في قوله: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

فهذه هي الكبائر السبع التي من اجتنبها كفَّرت عنه سيئاته، وادخل الجنة. كما قال عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء: ٣١].

وبعض الروايات الأخرى في الأحاديث عدَّت من الكبائر أشياء أخرى منها:

اليمين الغموس، والإلحاد في حرم مكة، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر، والزنا، وقول الزور. والله أعلم.

(١) صحيحا البخاري ومسلم (الجامع الصغير).

جريمة الانتحار:

نهى القرآن الكريم عن قتل النفس وكرَّر النهي عن هذه الجريمة ونفّر منها بوعيد تنخلع له القلوب المؤمنة، حيث توعّد القاتل بجهنم، وبالخلود فيها، وبغضب الله، ولعنته، وبعظم العذاب الذي أُعدّ للقاتل. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النساء: ٩٣](١).

والنهي عن قتل المؤمن بغير حق يتناول باطلاقه كل نفس مؤمنة. ونفس القاتل، ونفس غيره سواء. فالإِنسان منهي عن قتل نفسه، وقتل غيره.

فكلتاهما نفس حرّم الله قتلها. وإذا كان من المألوف في الطباع البشرية أن يثور الإِنسان على غيره فيقتله شفاء لحقده، فيكون هذا نقصاً في إنسانيته وشذوذاً عما تنادي به الشريعة من حرمة النفس البشرية، فإن من الشذوذ الفادح أن يثور الإِنسان على نفسه بسبب فقر أحاط به، أو مرض طالت مدته، أو فشل في تجارة، أو إخفاق في تعليم، أو بأسباب غرامية يصطدم بمفاجآتها، فلا يجد لديه عزيمة يدفع بها الثورة على نفسه فيقع في هذه الجريمة المنكرة.

إنّ نكبة الإِنسانية بقاتل نفسه أفظع من نكبتها بقاتل غيره، وإن كان كلاهما قاتلًا لنفس حرّم الله قتلها، وكلاهما هادم

(١) وانظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٥ وما بعدها.

لعمارة شادها الله. ولكن الأول قتل نفسه ليموت، والثاني قتل غيره ليحيا[1].

عن النبي ﷺ قال: «كان فيمن قبلكم رجل به جُرح، فجزع، فأخذ سكيناً فحزّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: (بادرني عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة»[2].

ومن هذا نعلم أن جريمة الانتحار تحرّم على صاحبها دخول الجنة.

وعلى المصلحين والمربين أن يعملوا على اختفائها من المجتمع، إذ هي سقوط للإنسان من رتبة التكريم، ومقام الخلافة في الأرض... وعلى كل مسلم أن يكافحها ليؤدي ما عليه من حق لا حق لا بناء مجتمعه الإسلامي الكريم.

مسك الختام في الصلاة على خير الأنام:

سنعقد في هذه الخاتمة مسائل يجدر بمحبي السنة معرفتها والوقوف عليها لتدبّرها وإذاعتها... واعلم يا أخي أن هذا المبحث ـ مسك الختام ـ من المباحث التي يجب أن يعتني بها المسلم ويحافظ عليها. وقد قصدت بتأخيره التفاؤل بأن يختم الله الكريم لنا ولكم به قولًا وعملًا... نسأله ذلك... وفيما يلي بعض هذه المسائل:

المسألة الأولى: معنى الصلاة على النبي ﷺ:

---

(١) انظر كتاب الكبائر ص١٢٣ ـ ١٢٤ للحافظ الذهبي.

(٢) رواه الشيخان.

وأصل هذه اللفظة في اللغة يرجع إلى معنيين وهما:

١ ـ الدعاء والتبريك ٢ ـ العبادة.

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة: الدعاء[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

قال المبرّد: (أصل الصلاة الرحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله)[(٢)].

المسألة الثانية: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ آيات قرآنية، وأحاديث نبوية كثيرة نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً»[(٣)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليَّ واحدة صلّى الله عليه عشراً، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥٠٦.
(٢) جلاء الأفهام ص٨٣، والشفا (٢/١٣٧).
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه النسائي في سننه (١/١٩١) وسنده صحيح.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»(٢).

أما الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ فنجملها فيما يلي:

١ ـ امتثال أمر الله تعالى ٢ ـ حصول عشر صلوات من الصلوات على المصلي مرة واحدة.

٣ ـ يرفع له (المصلي) عشر درجات ويكتب له عشر حسنات، ويُمْحىٰ عنه عشر سيئات.

٤ ـ إنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها فقد قال ﷺ: «من صلى عليّ أو سأل لي الوسيلة، حقّت عليه شفاعتي يوم القيامة»(٣).

٥ ـ تقوم مقام الصدقة لذوي العسرة، وهي سبب لقضاء الحوائج..

٦ ـ إنها زكاة للمصلي وطهارة له وسبب لنجاته من أهوال يوم القيامة.

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي. وانظر: كتابنا (السنة مفتاح الجنة ص٤٥٥ ـ ٤٥٧).
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٣) حديث صحيح له عدة طرق، أخرجه مسلم (٤/٢) وأحمد (١٦٨/٢) وغيرهما. راجع (فضل الصلاة على النبي ص٥١).

٧ ـ إنها سبب لنيل رحمة الله له ودوام محبته للرسول ﷺ.

٨ ـ إنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه...

المسألة الثالثة: مواطن الصلاة على النبي ﷺ.

الصلاة على النبي ﷺ تكون تارة واجبة وتارة مستحسنة، وذكر العلماء لها مواضع كثيرة منها:

١ ـ وأهمها الصلاة في آخر التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته واختلفوا في وجوبها فيها[1].

٢ ـ في التشهد الأول وآخر القنوت، وفي صلاة الجنازة وبعد التكبيرة الثانية.

٣ ـ في خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء.

٤ ـ بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة وعند الدعاء.

٥ ـ عند دخول المسجد وعند الخروج منه وعند اجتماع القوم وقبل تفرقهم.

٦ ـ عند ذكره ﷺ وكتابة اسمه ﷺ وعند الفراغ من التلبية وعند استلام الحجر الأسود.

٧ ـ عند الهم والشدائد وطلب المغفرة وعند تبليغ العلم وتعليمه والقاء الدروس...

---

(١) لتفصيل هذه المسألة: راجع جلاء الإفهام ص١٩٣ وما بعدها.

٨ ـ أول النهار وآخره وعقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه وعند وقوع الخوف والفقر..

٩ ـ عند خطبة الرجل المرأة في النكاح وعند العطاس وبعد الفراغ من الوضوء ودخول المسجد.

١٠ ـ عقيب الصلوات، وعند الذبح، وعند كل كلام ذي بال، فعن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام: «كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به وبالصلاة عليّ فهو أقطع ممحوق من كل بركة»[١].

وبعد: فهذه بعض المسائل التي أرجو أن يتدارسها المسلمون ويعملوا بها وهي ترفع درجة قائلها وناشرها، وبها تنال شفاعة نبينا الأعظم اللهم شفّعه فينا آمين.

هذا ما تيسر جمعه وأعان الله على اختياره، نسأله العصمة والسداد وأن يلهمنا الحق والرشاد. والحمد لله أولًا وآخراً. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

---

(١) جلاء الإِفهام ص٢٦١.

ثبت بأهم المصادر والمراجع(*)

القرآن الكريم.

- أحكام الجنائز وبدعها: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ط٢، ١٤٠٦هـ.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث: للدكتور محمد حسين الذهبي، ط١، مصر ١٩٧١م.
- إحياء علوم الدين: للشيخ أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، ط٢، مصر.
- الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ـ للشيخ محمد صديق القنوجي البخاري، دار الإيمان، بيروت ١٢٠٤هـ.
- إعلام الموقعين، لابن القيم، شركة الطباعة المتحدة سنة ١٣٣٨هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للعلامة ابن قيم الجوزية، مصر، ١٣٨١هـ.
- بدائع الفوائد لابن القيّم، ط أولى، مصر.
- البداية والنهاية: للحافظ المؤرخ إسماعيل بن كثير، ط مصر.
- تحفة العروس: للشيخ محمود الاستانبولي، ط٢ مكتبة الحضارة، دمشق.
- تحريم النرد والشطرنج والملاهي: للحافظ الأجوري، تحقيق محمد سعيد إدريس، ط أولى.
- تربية الأولاد في الإسلام: للشيخ عبد الله علوان، ط أولى.
- الترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ) الحلبي، ١٩٣٣م.
- تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات: للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي مطابع علي بن علي، الدوحة، قطر.

(*) مرتبه هجائياً مع مراعاة إغفال أل التعريف من أولها.

- تفسير القرآن العظيم: للمفسر الحافظ ابن كثير، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- تفسير المنار: للعلامة محمد رشيد رضا، دار المعرفة ط٢، ١٩٧٣م، بيروت.
- جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ الأندلسي، دار الفكر، بيروت.
- الجواب الكافي: للإمام ابن قيّم الجوزية، ط٢، المطبعة السلفية مصر، ١٣٩٧هـ.
- الأجوبة النافعة عن الأسئلة الواقعة: للشيخ عبد الرحمن الفارس، الكويت، ١٩٧١م.
- حجاب المرأة المسلمة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي.
- حكم الإسلام في وسائل الإعلام: عبد الله علوان، دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٠هـ، بيروت.
- حقائق الإيمان بالملائكة والجّان: للمؤلف ط سنة ١٩٨٧ بيروت.
- الحلال والحرام في الإسلام: د. يوسف القرضاوي، ط٥ منشورات المكتب الإسلامي ١٣٨٩هـ.
- الروح: للإمام ابن القيّم، ط٢ مطبعة صبيح، القاهرة ١٣٦٣هـ.
- الزواجر من اقتراف الكبائر: الإمام أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، ط١ البابي الحلبي ١٩٧٠م.
- الساعة وأشراطها: للعقيد محمود مراد، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ١٩٧٠م.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام: الصنعاني، ط٤، ١٩٦٠م مطبعة الحلبي.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- السنّة مفتاح الجنّة: للمؤلف ط ١٩٨١م.
- شرح العقيدة الطحاوية: تحقيق جماعة من العلماء، دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق جماعة من العلماء دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق.

- صحيح الجامع وزيادته: العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ط٢، ١٤٠٦هـ.
- صحيح مسلم: الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، ط١، ١٣٧٥هـ.
- صور من عظمة الإسلام، للشيخ عبد الحميد كشك، ط أولى.
- العبودية: لشيخ الإسلام ابن تيميّة، ط٢.
- الاعتصام: للإمام الشاطبي، ط دار التحرير التجارية مصر، سنة ١٣٨٨هـ.
- عذاب القبر ونعيمه: عكاشة عبد المنان الطيبي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- العقائد الإسلامية: للشيخ سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الفتاوي: للشيخ محمود شلتوت، دار الشروق ط٥، ١٩٧١م.
- الفتاوى الكبرى: لأحمد بن تيميّة (ت سنة ٧٢٨هـ). دار المعرفة، بيروت.
- فتاوى معاصرة: الدكتور يوسف القرضاوي، ط أولى.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، البابي الحلبي ١٩٥٩م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن آل اشيخ، الرياض ١٤٠٣هـ.
- فقه السنة: للشيخ سيّد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٩هـ.
- قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ـ صديق حسن خان، تحقيق: د. عاصم القريوتي ط١ ١٤٠٤هـ.
- قواعد التحديث: للعلامة جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكبائر ـ للحافظ الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كبرى اليقينيات الكونية: دكتور محمد رمضان البوطي، ط٢ دار الفكر ١٣٩٠هـ.
- كتاب الإيدز: للدكتور علي البيراوي، ط١، ١٤٠٦هـ، منشورات دار عمّار، عمّان.
- كشف الخفا ومزيل الالباس، للعجلوني، مكتبة التراث الإسلامي.
- الكشّاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد: للمؤلف، ط١٩٨٣ قطر.
- الكلم الطيب لابن تيمية: تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢.
- لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٨هـ.

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وزارة الأوقاف الكويتية سنة ١٣٩٧هـ.
- المحلى: لابن حزم الأندلسي، بتحقيق أحمد شاكر، دار الفكر.
- مختصر لوامع الأنوار البهيّة لابن سلوم، طبعة أولى، مصر.
- المرأة المسلمة: للشيخ أبو بكر جابر الجزائري ط٢ دار الكتب السلفية، القاهرة ط١٤٠٦هـ.
- مشكاة المصابيح: للخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، ط٢ المكتب الإِسلامي، بيروت ط١٣٩٩هـ.
- مصرع الشرك والخرافة: للمؤلف، ط١٩٧٨م، الدوحة، قطر.
- المعجم المفهرس لألَفاظ القرآن الكريم: وضع العلّامة محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ.
- نيل الأوطار: للعلّامة محمد علي الشوكاني، ط البابي الحلبي، ١٩٥٢م.
- الوابل الصيّب لابن القيّم: بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ورفيقه، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- الحوليات والدوريات (مجلّات وصحف عربية مختلفة).

من آثار المؤلف

١ ـ مصرع الشرك والخرافة (مجلّد) الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م دار رمادي الدمام.
٢ ـ السنة مفتاح الجنة (مجلّد) ط بيروت سنة ١٩٨١م.
٣ ـ الكواكبي مصلحاً وأديباً سنة ١٩٨١م.
٤ ـ الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد «مجلّدان» ط قطر سنة ١٩٨٣م.
٥ ـ الإِمام ابن القيم مصلحاً وأديباً (مجلّدان) سنة ١٩٨٥م.
٦ ـ حقائق الإِيمان بالملائكة والجان (مجلّد) ط، بيروت سنة ١٩٨٧م.
٧ ـ إعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين (مجلّد) ط عمّان سنة ١٩٨٩.
٨ ـ مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات، الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م دار رمادي ـ الدمام.
٩ ـ القراءات والأحرف السبعة.
١٠ ـ ترجمة القرآن الكريم.
١١ ـ ابن القيم وآراؤه التربوية.
١٢ ـ الإِمام ابن باديس وآراؤه التربوية.
١٣ ـ الإِمام الماوردي وآراؤه التربوية.
١٤ ـ أعلام الفكر والإِصلاح.
١٥ ـ سنن الصلوات الخاصة وبدعها.

الفهرس